الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية

تأليف

المحدث الكبير الحجة الثبت القدوة
صاحب التصانيف الكثيرة عبد الرؤوف
المناوي
المتوفى سنة إحدى وثلاثين وألف



الناشر
دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

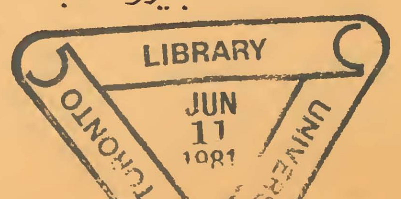
الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية

تأليف

المحدث الكبير الحجة الثبت القدوة صاحب التصانيف
الكثيرة زين الدين عبد الرؤف بن تاج العارفين بن على
ابن زين العابدين الحدادى ثم المناوى القاهرى
المتوفى سنة إحدى وثلاثين وألف

وعليه ﴿ النفحات السلفية ﴾ بشرح الأحاديث القدسية
لخادم العلم الشريف ﴿ محمد منير الدمشقى الأزهرى ﴾

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت لبنان



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرح قلوب احبابه باحاديثه القدسية ، والصلاة والسلام على خاتم انبيائه الناطق بالحكمة وجوامع الكلم الكلية، وآله وصحبه الباذلين جهدهم فى نشر العلوم والمشاريع الشرعية والعرفية ٭

اما بعد فيقول افقر الورى الى ربه الغنى محمد منير بن عبده اغا الدمشقى الازهرى طلب منى جماعة من طلبة العلم فى المعاهد الدينية ان اختار لهم كتابا فى الاحاديث القدسية وانشره كى ينتفعوا به مع بيان مخرج الحديث فنقبت عن ذلك مدة فعثرت على رسالة للشيخ الولى المحدث عبد الرؤف المناوى الحدادى والد محمد تاج الدين فى دار الكتب المصرية فندبت أحد علماء الازهر الى نقلها عن اصلها وبعد ان تم ذلك قابلتها وصححتها ولما وجدت فيها بعض احاديث يحتاج الى شرح وايضاح علقت عليه بقدر الحاجة الماسة لذلك وارجو الله ان يوفقنى الى نشر الكتب النافعة التى تنهض بالامة وتذكرها بسلفها وما كانوا عليه من المجد والعز والسيطرة على غالب ممالك المعمورة ٭

واذكر هنا تعريف الحديث القدسى والفرق بينه وبين الحديث النبوى وبينه وبين القرآن الحكيم ليكون القارىء على بصيرة منها ٭

اقول: الحديث القدسى هو ما اخبر الله تعالى به نبيه بالهام او منام فاخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن ذلك المعنى بعبارة من نفسه ، والحديث النبوى ما يضاف الى النبى ﷺ لفظا ومعنى فيقال حديث نبوى ولا يقال له حديث قدسى ، والقرآن هو اللفظ المنزل على محمد ﷺ للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته ، وفرق الفقهاء بينهما بان القرآن معجز وكونه معجزة باقية على مر الدهور محفوظة من التغيير والتبديل ، وحرمة مسه للمحدث وتلاوته لنحو الجنب وروايته عند الامام احمد وكراهته عند الشافعية، وتسمية الجملة منه آية وسورة، ويعطى قارؤه بكل حرف عشرة

حسنات وان الصلاة لا تكون الا بالقرآن، وان جاحد القرآن يكفر بخلاف جاحد الحديث القدسي والنبوي ، وانه لابد فيه من كون جبريل عليه السلام واسطة بين النبي ﷺ وبين الله تعالى بخلاف الحديث القدسي وغير ذلك مما هو مذكور في محاله والله اعلم.

وقال منلا على القارى عليه رحمة البارى: الحديث القدسي مايرويه صدر الرواة وبدر الثقات عليه افضل الصلوات واكمل التحيات عن الله تبارك وتعالى تارة بواسطة جبرائيل عليه السلام وتارة بالوحي والالهام والمنام مفوضا اليه التعبير باى عبارة شاء من أنواع الكلام.

﴿ تنبيه ﴾ وجد في خطبة هذه الرسالة أنها لمحمد المدعو تاج الدين ابن المناوى الحدادى ، وفي طرة الرسالة - جمع الحقير الفقير الراجى فضل ربه القدير محمد المدعو تاج الدين المناوى الحدادى - وفي فهرس دار الكتب المصرية محمد تاج الدين بن على بن زين العابدين - وفي كشف الظنون هو للشيخ محمد المعروف بعبد الرؤف المناوى الحدادى المتوفى سنة ١٠٣٥ أوله الحمد لله الذى نزل أهل الحديث أعلى منازل الشرف» الخ وهذا كله خلاف الحقيقة ، والصواب - على مايظهر من ترجمة الحافظ عبد الرؤف بن تاج العارفين بن على بن زين العابدين الحدادى ثم المناوى القاهرى - إنه لعبد الرؤف الا أنه لم يكمله بل تركه مسودة فجاء ولده محمد المدعو تاج الدين وأكمله بعد أن بيضه ونسبه إلى نفسه لأن والده عبد الرؤف عجز في آخر عمره بسبب الامراض من تكميل كثير من مؤلفاته - على ما جاء في كتاب خلاصة الاثر - فكان ولده محمد تاج الدين يستملي منه التآليف ويسطرها لذلك نسب ولده محمد تاج الدين هذه الرسالة لنفسه في خطبتها وهذا ما اهتديت اليه بعد بحث عميق، والله هو الهادى للصواب اليه المرجع والمآب *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نزل أهل الحديث اعلى منازل التشريف؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الشريف العفيف؛ وآله وصحبه المعصومين فى المقال عن التبديل والتحريف *

وبعد فيقول العبد الضعيف، الراجى عفو ربه الرءوف اللطيف محمد المدعو تاج الدين بن المناوى الحدادى، كفاه الله شر المناوى والمعادى: هذا كتاب اوردت فيه ما وقفت عليه من الأحاديث القدسية الواردة على لسان خير البرية مرتبا له على حروف المعجم، سائلا الله أن يغفر لى ما ارتكبته من الزلل ويرحم، إنه على ما يشاء قدير وبالأجابة جدير، وسميته «الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية»؛

١ قَالَ اللهُ تَعَالَى: «ابْنَ آدَمَ أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ سَبْعَ آيَاتٍ ثَلَاثٌ لِى وَثَلَاثٌ لَكَ وَوَاحِدَةٌ بَيْنِى وَبَيْنَكَ فَأَمَّا التِّى لِى فَالْحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ. الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. وَالَّتِى بَيْنِى وَبَيْنَكَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ مِنْكَ العِبَادَةُ وَعَلَىَّ العَوْنُ. وَأَمَّا الَّتِى لَكَ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» رواه الطبرانى فى معجمه الاوسط عن أبىّ بن كعب:

ش خاطب الله عباده بخطاب عام شامل المؤمن والكافر الذكر والانثى الحر والعبد بقوله «ابن آدم» أى إن الله سبحانه وتعالى انزل سبع آيات ثلاثا مختصة بالله تعالى أولها الحمد لله، الحمد والثناء على الحقيقة لا يكون الا لله جل اسمه وتنزهت صفاته فكل فرد من افراد الحمد إنما هو لله سبحانه وتعالى حقيقة لان النعم منه واليه، والثانية الرحمن الرحيم يعنى ان هذين الوصفين هما من خواص اسمائه ونعوت جلاله فهو جل جلاله الرحمن أى المنعم بجلائل النعم والرحيم أى المنعم بدقائقها *

قال أبو على الفارسى: الرحمن اسم عام فى جميع انواع الرحمة يختص به تعالى والرحيم إنما هو فى جهة المؤمنين قال الله تعالى: (وكان بالمؤمنين رحيما) * والثالثة مالك يوم الدين أى مالك يوم الحساب والجزاء يوم يدين الله العباد باعمالهم ويجازى كل عامل بما عمله واكتسبه، وثلاثا مشتركة بين الرب تعالت اسماؤه وبين العبد، وهى اياك نعبد واياك نستعين أى لا نعبد الا اياك ولا نستعين الا بك فنخصك بالعبادة والاستعانة فى جميع الامور لا نفعل عبادة ما الا لذاتك وعظمة جلالك فكل عبادة لغيرك او فيها غيرك شرك ومردودة على صاحبها والاستعانة والالتجاء والمعونة لا تكون الا بك جل اسمك وعز ثناؤك ومنك فمن استعان بغيرك او اشرك معك غيرك فقد اشرك وجحد نعماءك وضل سواء الطريق، منك العبادة وعلى العون اى فعلى العبد المخلوق القيام بالعبادة التى امره الله جل ذكره بها وحضه عليها ومنه طلبها ومن الله جل جلاله المعونة والتسديد والقدرة عليها وتسهيلها والتوفيق لها والتيسير لفعلها والمحافظة عليها، وأما التى هى خاصة بالعبد فاهدنا الصراط المستقيم الخ بان يدعو الله سبحانه فى السراء والضراء بان يهديه إلى دين الحق الواضح الذى لا اعوجاج فيه والصراط السوى الذى هو دين الاسلام الدين الخالص الدين المشتمل على سعادة الدارين صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

غير المغضوب عليهم الذين فسدت اراداتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه ولا صراط الضالين الذين فقدوا العلم فهم هائمون فى الضلالة لا يهتدون إلى الحق. اللهم أصلح حال الامة الاسلامية واهدهم للتمسك بالكتاب الحكيم وسنة من هو بالمؤمنين رحيم

٢ «ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك» رواه الترمذى والبيهقى عن أبى هريرة *

ش امر من الله تعالى لعباده ان يفرغوا قلوبهم الى عبادته تعالى لا يشغلوها بالسوى فتملأ صدورهم غنى فلا ينظروا إلى الدنيا وزهرتها ولا إلى مافى ايدى الناس بل الدنيا بايديهم دون قلوبهم يأخذون الزاد للاخرة كمثل المسافر ليس له من سفره الا المرور الى مقصده، وهذه طريقة السلف الصالح والقرون الاول، ويسد فقره بان لا يحتاج إلى احد وتشبع نفسه وتزهد فى الدنيا؛ وان لم يفعل ما أمره الله به من ذلك ملأ الله صدره شغلا بأن يكون همه الدنيا لا يشبع من حطامها لانهماكه فيها وشرهه ولم يسد فقره بل يكون دائما محتاجا فيه اظاهر الفقر وإن كان لديه مال كثير واسأل الله السلامة من الدنيا والميل اليها *

٣ ابن آدم اذكرنى بعد الفجر وبعد العصر ساعة أكفك مابينهما» رواه مسلم فى الزهد وأبو نعيم عن أبى هريرة *

٤ ابن آدم اكفنى أول النهار اربع ركعات أكفك بهن آخر يومك» رواه الامام أحمد وأبو يعلى عن عقبة بن عامر الجهنى

٥ «ابْنَ آدَمَ صَلِّ لِي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ» رواه أحمد عن أبي مرة الطائفي *

٦ «ابْنَ آدَمَ عِنْدَكَ مَا يَكْفِيكَ وَأَنْتَ تَطْلُبُ مَا يُطْغِيكَ لَا بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ وَلَا مِنْ كَثِيرٍ تَشْبَعُ إِذَا أَصْبَحْتَ مُعَافًى فِي جَسَدِكَ آمِنًا فِي سِرْبِكَ عِنْدَكَ قُوتُ يَوْمِكَ فَعَلَى الدُّنْيَا الْعَفَاءُ» رواه ابن عدي والبيهقي عن ابن عمر *

ش أي يا ابن آدم عندك ما يسد حاجتك على وجه الكفاف وأنت تحاول اخذ ما يطغيك ويحملك على الظلم ومجاوزة الحدود الشرعية والحقوق المرعية يا ابن آدم لا بقليل من الرزق تقنع أي ترضى وتكتفي بما قسم لك ولا من كثير تشبع بل لا تزال شرها نهما تتطلع لما في ايدي الناس يا ابن آدم اذا اصبحت أي دخلت في وقت الصباح والحال أنك معافى أي سالما من الآلام والآثام في جسدك وبدنك آمنا في سربك - بكسر وسكون أي نفسك - او بفتح وسكون - مذهبك وملكك عندك قوت يومك وهو ما يقوم بكفايتك في يومك وليلتك او ما يسد الرمق فعلى الدنيا العفاء - بفتح العين المهملة - أي الهلاك والدروس وذهاب الاثر ه

قال الزمخشري: ومنه قولهم عليه العفاء اذا دعا عليه ليعفو أثره والمعنى إذا كنت كذلك فقد جمع الله لك ما تحتاجه من الدنيا فدع عنك ما عداه واشتغل بما يقربك إلى الله، قال الغزالي: ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث مع أنه وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله فيها، ومر سليمان عليه السلام على بلبل بشجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال أتدرون ما يقول؟ قالوا: الله ونبيه أعلم قال يقول: أكلت نصف تمرة فعلى

الدنيا العفاء ، وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا ، وقال صالح بن جناح لابنه: إذا مر بك يوم وليلة وقد سلم فيهما دينك ومالك وبدنك وعيالك فأكثر الشكر لله فكم من مسلوب دينه ومنزوع ملكه ومهتوك ستره ذلك اليوم وأنت فى عافية ، ومن هنا نشأ زهد الزاهدين فاستراحت قلوبهم بالزهد واكتفوا بالورع عن الكد وتفرغت قلوبهم وأعمالهم لبذل الجد فى سبيل الحمد وميز القريب من البعيد والشقى من السعيد والسادة من العبيد وهذا هو المهيع الذى قبض بسطة وجوه القلوب فلم يبق للعاقل حظ فيما زاد على كسرة تكسر شهوته وسترة توارى عورته وما زاد متجر إن أنفقه ربحه وان ادخره خسره ٭ وفيه حجة لمن فضل الفقر على الغنى وقد أفاد مطلع الحديث أن الصحة نعمة عظيم وقعها جزيل نفعها بل هى أجل النعم على الاطلاق ، وفى إشعاره أعلام بأن العالم ينبغى له أن لا يغفل عن وعظ الناس إذ الانسان لما جبل عليه من الغفلات لا بد له من ترغيب يشده وترهيب يرده ومواعظ ترققه وأعمال تصدقه واخلاص يحققه لترتفع أستار الغفلة عن عيون القلوب وتكتسب الاخلاق الفاضلة لتصقل الصدأ عن مرائى النفوس ، ولقد هز القلوب بحسن هذا النظم وبلاغة تناسبه وبراعة ربطه وحسن انسجامه إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد افاده المؤلف فى فتح القدير ، والحديث فيه مقال ٭

٧ «أَحَبُّ مَا تَعَبَّدَنِى بِهِ عَبْدِى النُّصْحُ لِى - وفى رواية - لِكُلِّ مُسْلِمٍ» رواه أحمد عن أبى أمامة الباهلى . والحكيم . وأبو نعيم ٭

٨ «أَحَبُّ عِبَادِى الَىَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْراً» رواه أحمد . والحكيم . وأبو نعيم عن أبى أمامة والترمذى عن أبى هريرة ٭

٩ «اذا ابتليت عبدى المؤمن فصبر فلم يشكنى الى عواده أطلقته من أسارى ثم أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل» رواه الحاكم عن ابى هريرة ٥

ش الابتلاء الاختبار والامتحان والتجربة ، قال القتيبى: يقال من الخير أبليته أبليه إبلاء ومن الشر بلوته ابلوه بلاء، والمعروف أن الابتلاء يكون فى الخير والشر معا من غير فرق بين فعليهما، ومنه قوله تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) والعواد الزوار وكل من أتاك مرة بعد أخرى فهو عائد وإن اشتهر ذلك فى عيادة المريض، والمعنى -والله أعلم- أن العبد المؤمن اذا ابتلاه الله باحدى بلايا الدنيا فليصبر وليحتسب الله فى أجره وإذا اجتمع بأحد من أصدقائه وأوليائه فلا يظهر له الجزع والضجر والألم وأنه أصيب بكذا وكذا لأن هذا شكوى من الله الى عباده وهذا لايليق بل يبدى الفرح والسرور لأن أكثر الابتلاء يكون للعظماء المقربين والاتقيا. المصلحين ليثبتوا ويصبروا فيكونوا قدوة وأسوة لغيرهم من الضعفاء ومرضى القلوب فاذا فعل ذلك أطلق من إسار التقليد والتكليف وغفر له ذنوبه وكفر عنه سيئاته فكان مع النبيين والشهداء والصالحين اللهم اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين ٥

١٠ «اذا ابتليت عبدى بحبيبتيه ثم صبر عوضته عنهما الجنة» يعنى عينيه رواه احمد عن أنس والطبرانى عن جرير ٥

ش حبيبتيه تثنية حبيبة والمراد بهما عيناه وأطلق عليهما ذلك لانهما أحب أعضاء الانسان اليه وأنفعهما وليس الابتلاء بالعمى لسخط بل لدفع مكروه يكون بالبصر ولتكفير ذنوب وليبلغه إلى درجة لم يكن يبلغها بعمله ،

وسبب الحديث ما أخرجه البيهقي عن أنس أيضا بلفظ «قال مر بنا ابن أم مكتوم فسلم فقال رسول الله ﷺ: الا أحدثكم بما حدثني جبريل إن الله يقول حق علي من أخذت كريمتيه أن ليس له جزاء إلا الجنة»، ورواه البيهقي أيضا عن أنس بلفظ «قال قال رسول الله ﷺ حدثني جبريل عن رب العالمين أنه قال «جزاء من اخذت كريمتيه الخلود في داري والنظر الى وجهي» وعبر هنا بكريمتيه لكرمهما عند الانسان لما فيهما من المنافع ولذلك نفى المولى جل ذكره الحرج عمن فقدهما، ومما يناسب المقام قول حبر الأمة عبد الله بن العباس رضي الله عنهما لما عمي في آخره عمره:

ان يأخذ الله من عيني نورهما ففي فؤادي وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مشهور

١١ «اذا ابتليت عبدًا من عبادي مؤمنًا فحمدني على ما ابتليته فأجروا له ما كنتم تجرون له» وهو صحيح رواه احمد والطبراني في المعاجم الثلاثة عن ابي الأشعث الصنعاني »

ش في الحديث دلالة على أن العمل الذي يعمله المبتلى قبل ابتلائه مكتوب له ومدخر عند الله ثوابه لا ينقطع بابتلائه كقيام الليل والاوراد وغير ذلك مما كان يعتاده قبل أن يحل به الابتلاء فسبحانك يارب من خالق كريم وإله بعبادك رؤف رحيم *

١٢ « اذا تقرب الي العبد شبرًا تقربت اليه ذراعًا واذا تقرب الي ذراعًا تقربت منه باعًا وإذا أتى الي مشيًا أتيته هرولة» رواه البخاري عن انس وابي هريرة . وابو عوانة ، والطبري عن سلمان

هذا الحديث يدل على أن الله سبحانه و تعالى يتصف بالتقرب والهرولة وللعلماء فى ذلك مذهبان، مذهب أهل الرعيل الاول من لدن الصحابة الى آخر القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية وهو أن الله تعالى و تبارك متصف بجميع ماورد فى الكتاب الحكيم وما جاء فى السنة الصحيحة السمحة التى ليلها كنهارها وعلى الخلق أن تؤمن بذلك وتقر بلسانها وتعتقد بجنانها ان الرب تعالت اسماؤه وتنزهت صفاته يتصف بها اتصاف رب خالق ليس كمثله شىء وليس كمثلها شىء، ولا شك ولا ريب ان ما اتصف به خالقنا ورازقنا يغاير ما اتصف به العبد المخلوق المربوب لان الله تعالى قد اطلق كثيرا من الاوصاف على ذاته المقدسة فى القرآن المجيد التى ليس كمثلها شىء واطلقها نفسها على عبده المخلوق الضعيف - راجع كتاب التوحيد لابن خزيمة تجد ما يسرك ويذهب ما اختلج فى ضميرك - وانى لاعجب كل العجب من بعض علمائنا المتقدمين وأساطين المحققين كيف يفرون كل الفرار عند مايسمعون مثل هذه الالفاظ وانها تسند الى الله جل ذكره وتعالت اسماؤه حقيقة ويجتهدون لتأويلها طاقتهم ويوردون تشكيكات واحتمالات توقع العامى فى امر دينه وتذهب به المذاهب وتصرفه عما فطر عليه * وماذا عليهم لو وافقوا علماء السلف فى ذلك ووصفوا الله بما وصف به نفسه فى محكم تنزيله وعلى لسان رسوله وحبيبه محمد سيد الاولين والآخرين وعليه كان الصحابة اجمعون حقيقة لا مجازاً وقالوا عند ذكر كل صفة من صفات الرب الحكيم ليس كمثله شىء وهو السميع العليم، وليس كذلك فى جانب صفات المخلوق الحادث فان صفاته لها مثل وتتغير وتتفاوت ويطرأ عليها مايضعفها أو يزيدها قوة الى غير ذلك مما نشاهده ونراه *

وهاك جملة من كلام المؤولين لذلك تحاميا من الوقوع فى التشبيه على

ظنهم وفرارا من اعتقاد ان الرب يتصف بصفات هي تشبه صفات العبيد على زعمهم، فرحم الله المتقدمين وغفر ماللمتأخرين ٥

قال الحافظ خاتمة المتأخرين ابن حجر العسقلاني في كتابه -فتح الباري بشرح صحيح الامام البخاري- عند الكلام على هذا الحديث في باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه . قال ابن بطال: وصف سبحانه نفسه بأنه يتقرب إلى عبده ووصف العبد بالتقرب اليه ووصفه بالاتيان والهرولة كل ذلك يحتمل الحقيقة والمجاز فحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات وتداني الاجسام وذلك في حقه تعالى محال، فلما استحالت الحقيقة تعين المجاز لشهرته في كلام العرب فيكون وصف العبد بالتقرب اليه شبراً وذراعاً واتيانه ومشيه معناه التقرب اليه بطاعته وأداء مفترضاته ونوافله ويكون تقربه سبحانه من عبده وإتيانه والمشي عبارة عن اثابته على طاعته وتقربه من رحمته ويكون قوله أتيته هرولة أي أتاه ثوابي مسرعاً، ونقل عن الطبري أنه انما مثل القليل من الطاعة بالشبر منه والضعف من الكرامة والثواب بالذراع فجعل ذلك دليلا على مبلغ كرامته لمن أدمن على طاعته أن ثواب عمله له على عمله الضعف وأن الكرامة مجاوزة حده الى ما يثيبه الله تعالى، وقال ابن التين: القرب هنا نظير ماتقدم في قوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) فان المراد به قرب الرتبة وتوفير الكرامة، والهرولة كناية عن سرعة الرحمة اليه ورضا الله عن العبد وتضعيف الأجر قال: والهرولة ضرب من المشي السريع وهي دون العدو، وقال صاحب المشارق: المراد بما جاء في هذا الحديث سرعة قبول توبة الله للعبد أو تيسير طاعته وتقويته عليها وتمام هدايته وتوفيقه والله أعلم بمراده، وقال الراغب: قرب العبد من الله التخصيص بكثير من الصفات التي يصح أن يوصف الله بها وإن لم تكن على الحد الذي يوصف به الله تعالى نحو

الحكمة والعلم والحلم والرحمة وغيرها وذلك يحصل بازالة القاذورات المعنوية من الجهل والطيش والغضب وغيرها بقدر طاقة البشر وهو قرب روحانى لا بدنى وهو المراد بقوله «اذا تقرب العبد منى شبرا تقربت منه ذراعا» * اه وهنا كلام كثير للعلماء المتأخرين كالفخر الرازى وامام الحرمين واضرابهما *

واغرب من ذلك انى لازمت شيخا جليلا كان يدعو الى السنة ومذهب السلف وينفر من البدع وكان حريصا على ذلك سالكا مهيع التقشف ولباس الصوف وله تلاميذ وأصحاب فى مصر وغيرها كثيرون ولهم هيئات وسمات وكل يدعو الى ما يدعو اليه ذلك الشيخ ولكن من الاسف عند ما قرب أجله وحانت منيته ألف كتابا فى التوحيد هدم فيه ما كان بناه مدة حياته ورجح فيه مذهب الخلف وادعى ان السلف اولوا ولم يبينوا وأما الخلف فاولوا وبينوا الى غير ذلك مما زحزح مركزه من قلوب خواص أصحابه وسقط من اعينهم وكسد سوق الكتاب فرحمه الله وغفر له *

١٣ اذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِى مُؤْمِنًا فَحَمِدَنِى وَصَبَرَ عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ فَانَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطَايَا وَ يَقُولُ الرَّبُّ لِلْحَفَظَةِ إِنِّى قَيَّدْتُ عَبْدِى هَذَا وَابْتَلَيْتُهُ فَاجْرُوا عَلَيْهِ مَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْأَجْرِ » وهو صحيح رواه احمد وابو يعلى وحميد بن زنجويه وابو نعيم وابن عساكر عن شداد بن اوس *

ش قوله «مؤمنا» قيد فى ذلك لان من اتصف بالايمان عمل باحكامه من صلاة وصيام وحج وزكاة الخ ولا جدال فى ان من كان كذلك وابتلى باشياء منعته من اداء نوافله واوراده لجدير باستحقاق الثواب حين كان صحيحا سليما *

١٤ «اذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا» رواه القضاعى والديلمى والحكيم الترمذى عن انس ه

ش سئل رسول الله ﷺ عن الصبر الجميل قال صبر لاشكوى فيه ، وقال من بث فلم يصبر ، والاستحياء صفة من صفات الرب جل ذكره وفيه الكلام السابق، والديوان هو ما يكتب فيه اعمال العبد ه

١٥ اذا ذكرنى عبدى خاليا ذكرته خاليا وإذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من الملأ الذى ذكرنى فيه» رواه الطبرانى عن ابن عباس ه

ش قوله خاليا اى منفردا ليس معه احدا ما سرا فى نفسه اوجهرا، والملأ - مهموز - جمعه املاء الجماعة. وقد جاء تفسيره فى كثير من كتب اللغة كالنهاية وغيره اشراف القوم وروساؤهم ومقدموهم الذين يرجع الى قولهم، وعلله بعضهم بقوله سموا بذلك لملاءتهم بما يلتمس عندهم من المعروف وجودة الرأى او لانهم يملئون العيون ابهة والصدور هيبة ، والانسب بالمقام هنا ان يفسر بالاعم ؛ ولا يخفى على العاقل ما فى هذا الحديث من اعتناء الرب تباركت اسماؤه وتنزهت صفاته بعبده المؤمن الذاكر اللهم اجعلنا من الذاكرين الله فى السر والجهر ه

١٦ «اذا بلغ عبدى أربعين سنة عافيته من البلايا الثلاث من الجنون والجذام والبرص واذا بلغ خمسين سنة حاسبته حسابا يسيرا واذا بلغ ستين

سَنَةً حَبَّبْتُ إِلَيْهِ الْإِنَابَةَ وَإِذَا بَلَغَ سَبْعِينَ سَنَةً أَحَبَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَإِذَا بَلَغَ ثَمَانِينَ كُتِبَتْ حَسَنَاتُهُ وَأُلْقِيَتْ سَيِّئَاتُهُ وَإِذَا بَلَغَ تِسْعِينَ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ أَسِيرُ اللهِ فِي أَرْضِهِ فَغُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَشُفِّعَ فَإِذَا بَلَغَ أَرْذَلَ الْعُمُرِ كَتَبَ اللهُ لَهُ مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي صِحَّتِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَإِنْ عَمِلَ سَيِّئَةً لَمْ تُكْتَبْ»

رواه الترمذي عن عثمان بن عفان .

ش قوله عبدي الاضافة اضافة تشريف والمراد بالعبد العبد الصالح المتقي المتبع المأمورات المجتنب المنهيات ، والجذام علة رديئة تنتشر في البدن كله فيفسد مزاج الاعضاء وهيئتها ، والبرص بياض يظهر في ظاهر البدن يشوه هيئة الانسان، وهما داء ان عافانا الله واياك منهما ، وارذل العمر ما اذا بلغ الهرم حتى يعود كهيئته في حال صباه لا يعقل من بعد عقله الاول شيئا وهو سن الخرف والعته نسأل الله السلامة منه ، ففي الحديث ترغيب من الله تعالى الى عباده ان يواظبوا على الطاعات ويجتهدوا في الاعمال المرضية من حين نشأتهم فيحفظوا من البلايا والامراض في حال كبرهم

١٧ «إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ» .

رواه مالك والبخاري والنسائي عن أبي هريرة .

ش فيه اثبات صفة المحبة لله تعالى وكذلك الكراهة وفيهما ما تقدم من الاختلاف بين العلماء في ذلك من ابقائهما على حقيقتهما مع التنزيه أو تأويلهما بان المحبة ارادة الخير للعبد وهدايته اليه وانعامه عليه ، وكذلك يقال في الكراهة، والأسلم التفويض كما هو مذهب السلف ، وفيه ترغيب المؤمن

بان يحب الموت لانه لقاء الله فيلاحظ العبد لقاء الله فيجتهد فى الطاعات ويكثر من النوافل ليكون ابيض الوجه نقى العمل ذا صفات حميدة فيستحق الانعام وإن كان كل ذلك بفضل الله وإحسانه ٥

١٨ «اذا قبضت كريمة عبدى وهو بها ضنين فحمدنى على ذلك لم ارض له ثوابا دون الجنة» رواه الطبرانى وابن حبان وابو نعيم عن العرباض بن سارية

١٩ «اذا اخذت كريمتى عبدى فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى الا الجنة اذا حمدنى عليهما» رواه الترمذى عن انس ٥

٢٠ «اذا أخذت كريمتى عبدى فصبر واحتسب لم ارله ثوابا دون الجنة» رواه البخارى عن انس واحمد عن ابى أمامة

ش تقدم شرح الحديث وعبرهنا فى الحديث الاول بالكريمة بالافراد وفى الثانى بالتثنية -كريمتى- وفى الثالث كذلك. الكريمة العين-وعبر عنها بذلك لانها اكرم الاعضاء وانفعها للانسان ، وقوله ضنين اى بخيل ٭ ففيه حث على الصبر اذا بلى الانسان بمصائب الدنيا لان كل شىء بحسبه من الاجر والثواب ٥

٢١ «اذا هم عبدى بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة فان عملها كتبتها عشر حسنات الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم اكتبها عليه فان عملها كتبتها سيئة واحدة» رواه الشيخان والترمذى وابن حبان عن ابى هريرة ٥٥

٢٢ «اذا هم عبدى بسيئة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له سيئة فان تاب منها فامحوها عنه واذا هم عبدى بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها بعشرة امثالها الى سبعمائة ضعف» رواه ابن حبان عن أبى الدرداء.

٢٣ «اذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فاذا عملها فاكتبوها عشراً» رواه الشيخان عنه

ش الهم ترجيح قصد الفعل تقول هممت بكذا أى قصدته بهمتى وهو فوق مجرد خطور الشىء بالقلب، قال ابن فارس: الهم ماهممت به وهممت بالشىء هما من باب قتل إذا أردته ولم تفعله ، ووقع لمسلم فى رواية همام عن أبى هريرة بلفظ «إذا تحدث» وهو محمول على حديث النفس لتوافق الروايات الاخرى ، قال الحافظ ابن حجر : ولكن ليس قيداً فى كتابة الحسنة بل بمجرد الارادة تكتب الحسنة نعم ورد مايدل على أن مطلق الهم والارادة لا يكفى فعند أحمد وصححه ابن حبان والحاكم من حديث خريم بن فاتك رفعه «ومن هم بحسنة يعلم الله أنه قد أشعر بها قلبه وحرص عليها» وقد تمسك به ابن حبان فقال بعد إيراد حديث الباب فى صحيحه : المراد بالهم هنا العزم ثم قال : ويحتمل أن الله يكتب الحسنة بمجرد الهم بها وإن لم يعزم عليها زيادة فى الفضل، وقوله «ولم يعملها يتناول نفى عمل الجوارح وأما عمل القلب فيحتمل نفيه أيضا إن كانت الحسنة تكتب بمجرد الهم كما فى معظم الأحاديث لا أن قيدت بالتصميم كما فى حديث خريم ، ويؤيد

الأول حديث أبى ذر عند مسلم « إن الكف عن الشر صدقة » وقوله فى الحديث الاول « كتبتها له حسنة » اى لمن هم بالحسنة ولم يعملها ، وفي رواية البخارى حسنة كاملة، ومعنى قوله « كتبتها » آمر الملائكة الحفظة بكتابتها بدليل ما فى الحديث الثانى والثالث وما فى رواية البخارى عن أبى هريرة فى كتاب التوحيد بلفظ « إذا اراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها » وفيه دليل على أن الملك يطلع على ما فى قلب الآدمى اما باطلاع الله اياه أو بأن يخلق له علما يدرك به ذلك ، ويؤيد الأول ما أخرجه ابن أبى الدنيا عن أبى عمران الجونى « قال ينادى الملك اكتب لفلان كذا وكذا فيقول يارب إنه لم يعمله فيقول انه نواه » وقيل بل يجد الملك للهم بالسيئة رائحة خبيثة وبالحسنة رائحة طيبة ، وأخرج ذلك الطبرى عن ابن معشر المدنى ، وجاء مثله عن سفيان بن عيينة ، ورأيت فى شرح مغلطاى أنه ورد مرفوعا قال الطوفى: إنما كتبت الحسنة بمجرد الارادة لأن ارادة الخير سبب الى العمل وارادة الخير خير لأن ارادة الخير من عمل القلب، واستشكل بأنه إذا كان كذلك فكيف لا تتضاعف لعموم قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وأجيب بحمل الآية على عمل الجوارح والحديث على الهم المجرد، واستشكل أيضا بأن عمل القلب اذا اعتبر فى حصول الحسنة فكيف لم يعتبر فى حصول السيئة ، وأجيب بأن ترك عمل السيئة التى وقع الهم بها يكفرها لأنه قد نسخ قصده السيئة وخالف هواه ، ثم ان ظاهر الحديث حصول الحسنة بمجرد الترك سواء كان ذلك لمانع أم لا ، ويتجه ان يقال: يتفاوت عظم الحسنة بحسب المانع فان كان خارجيا مع بقاء قصد الذى هم بفعل الحسنة فهى عظيمة القدر ، ولا سيما إن قارنها ندم على تفويتها واستمرت النية على فعلها عند القدرة وان كان الترك من الذى هم من قبل نفسه فهى

دون ذلك الا ان قارنها قصد الاعراض عنها جملة والرغبة عن فعلها ولا سيما ان وقع العمل فى عكسها كأن يريد أن يتصدق بدرهم مثلا فصرفه بعينه فى معصية فالذى يظهر فى الأخير ان لا تكتب له حسنة اصلا ، وأما ماقبله فعلى الاحتمال ، افاده الحافظ ابن حجر فى فتحه .

والضعف فى اللغة المثل وضعفاه مثلاه وأضعافه أمثاله ، قال الخليل: التضعيف أن يزاد على أصل الشيء فيجعل مثليه وأكثر وكذلك الاضعاف والمضاعفة، وقال الأزهرى الضعف فى كلام العرب المثل هذا هو الأصل ثم استعمل الضعف فى المثل ومازاد وليس للزيادة حد .

قال الحافظ : والتحقيق أنه اسم يقع على العدد بشرط أن يكون معه عدد آخر فاذا قيل ضعف العشرة فهم أن المراد عشرون ومن ذلك لو أقر بأن له عندى ضعف درهم لزمه درهمان أو ضعفى درهم لزمه ثلاثة .

وقوله «واذاهم بسيئة» الخ ظاهره اطلاق كتابة الحسنة بمجرد الترك وقدجاء مقيداً فى صحيح البخارى من حديث الاعرج عن أبى هريرة ولفظه «اذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة» : ونقل القاضى عياض عن بعض العلماء أنه حمل حديث ابن عباس على عمومه ثم صوب حمل مطلقه على ماقيد فى حديث أبى هريرة قال الحافظ ابن حجر قلت : ويحتمل أن تكون حسنة من ترك بغير استحضار ماقيد به دون حسنة الآخر لما تقدم أن ترك المعصية كف عن الشر والكف عن الشر خير ، ويحتمل أيضا أن يكتب لمن هم بالمعصية ثم تركها حسنة مجردة فان تركها من مخافة ربه سبحانه كتبت حسنة مضاعفة، وقال الخطابى : محل كتابة الحسنة على الترك أن يكون التارك قد قدر على الفعل ثم تركه لأن الانسان لا يسمى تاركا

إلا مع القدرة ويدخل فيه من حال بينه وبين حرصه على الفعل مانع كأن يمشي الى امرأة ليزني بها مثلا فيجد الباب مغلقا ويتعسر فتحه ومثله من تمكن من الزنا مثلا فلم ينتشر أو طرقه ما يخاف من أذاه عاجلا ، ووقع في حديث أبي كبشة الانماري ما قد يعارض ظاهر حديث الباب وهو ما أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه بلفظ «انما الدنيا لأربعة» فذكر الحديث وفيه «وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يعمل في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يرى لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل . ورجل لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهما في الوزر سواء» فقيل الجمع بين الحديثين بالتنزيل على حالتين فتحمل الحالة الأولى على من هم بالمعصية هما مجردا من غير تصميم والحالة الثانية على من صمم على ذلك وأصر عليه وهو موافق لما ذهب اليه الباقلاني وغيره ، قال المازري : ذهب ابن الباقلاني - يعني ومن تبعه - الى ان من عزم على المعصية بقلبه ووطن عليها نفسه انه يأثم وحمل الأحاديث الواردة في العفو عمن هم بسيئة ولم يعملها على الخاطر الذي يمر بالقلب ولا يستقر قال المازري ، وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ونقل ذلك عن نص الشافعي ويؤيده قوله في حديث ابي هريرة فيما اخرجه مسلم من طريق همام عنه بلفظ «فأنا اغفرها له مالم يعملها» فان الظاهر ان المراد بالعمل هنا عمل الجارحة بالمعصية المهموم به وتعقبه عياض بأن عامة السلف واهل العلم على ما قال ابن الباقلاني لاتفاقهم على المؤاخذة بأعمال القلوب لكنهم قالوا ان العزم على السيئة يكتب سيئة مجردة لا السيئة التي هم ان يعملها كمن يأمر بتحصيل معصية ثم لا يفعلها بعد حصولها فانه يأثم بالأمر المذكور لا بالمعصية ، ومما يدل على ذلك حديث «اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار

قيل هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه» والذى يظهر انه من هذا الجنس وهو أنه يعاقب على عزمه بمقدار ما يستحقه ولا يعاقب عقاب من باشر القتل حسا وهنا قسم آخر وهو ان من فعل المعصية ولم يتب منها ثم هم ان يعود اليها فانه يعاقب على الاصرار كما جزم به ابن المبارك وغيره فى تفسير قوله تعالى: (ولم يصروا على مافعلوا) ويؤيده أن الاصرار معصية اتفاقا فمن عزم على المعصية وصمم عليها كتبت عليه سيئة فاذا عملها كتبت عليه معصية ثانية، قال النووى: وهذا ظاهر حسن لا مزيد عليه وقد تظاهرت نصوص الشريعة بالمؤاخذة على عزم القلب المستقر كقوله تعالى (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) الآية، وقوله (اجتنبوا كثيراً من الظن) وغير ذلك *

وقال ابن الجوزى اذا حدث نفسه بالمعصية لم يؤاخذ فان عزم وصمم زاد على حديث النفس وهو من عمل القلب قال: والدليل على التفريق بين الهم والعزم ان من كان فى الصلاة فوقع فى خاطره ان يقطعها لم تنقطع فان صمم على قطعها بطلت، واجيب عن القول الأول بأن المؤاخذة على اعمال القلوب المستقلة بالمعصية لا تستلزم المؤاخذة على عمل القلب بقصد معصية الجارحة اذا لم يعمل المقصود للفرق بين ما هو بالقصد وما هو بالوسيلة، وقسم بعضهم مايقع فى النفس اقساما يظهر منها الجواب عن الثانى أضعفها ان يخطر له ثم يذهب فى الحال وهذا من الوسوسة وهو معفو عنها وهو دون التردد وفوقه ان يتردد فيه فيهم به ثم ينفر عنه فيتركه ثم يهم به ثم يترك كذلك ولا يستمر على قصده وهذا هو التردد فيعفى عنه أيضا وفوقه ان يميل اليه ولا ينفر عنه لكن بل لا يصمم على فعله وهذا هو الهمّ فيعفى عنه أيضا وفوقه أن يميل اليه ولا ينفر عنه يصمم فهذا هو العزم وهو منتهى الهم وهو على قسمين القسم الأول أن يكون من أعمال القلوب صرفا كالشك فى

الوحدانية أو النبوة أو البعث فهذا كفر ويعاقب عليه جزما ودونه المعصية التى لا تصل إلى الكفر كمن يحب ما يبغض الله ويبغض ما يحبه الله ويحب للمسلم الأذى بغير موجب لذلك فهذا يأثم ويلتحق به الكبر والعجب والبغى والمكر والحسد، وفى بعض هذا خلاف فعن الحسن البصرى أن سوء الظن بالمسلم وحسده معفو عنه وحملوه على ما يقع فى النفس مما لا يقدر على دفعه لكن من يقع له ذلك مأمور بمجاهدة النفس على تركه ﴿والقسم الثانى﴾ أن يكون من أعمال الجوارح كالزنا والسرقة فهو الذى وقع فيه النزاع فذهبت طائفة الى عدم المؤاخذة بذلك أصلا ونقل عن نص الشافعى ويؤيده ما وقع فى حديث خريم بن فاتك المنبه عليه قبل فانه حيث ذكر الهم بالحسنة قال علم الله أنه أشعرها قلبه وحرص عليها وحيث ذكر الهم بالسيئة لم يقيد بشىء . بل قال فيه ومن هم بسيئة لم تكتب عليه والمقام مقام الفضل فلا يليق التحجير فيه ، وذهب كثير من العلماء الى المؤاخذة بالعزم المصمم، وسأل ابن المبارك سفيان الثورى أيؤاخذ العبد بما يهم به؟ قال اذا جزم بذلك، واستدل كثير منهم بقوله تعالى : (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) وحملوا حديث أبى هريرة الصحيح المرفوع «ان الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم» على الخطرات كما تقدم *

ثم افترق هؤلاء فقالت طائفة يعاقب عليه صاحبه فى الدنيا خاصة بنحو الهم والغم وقالت طائفة بل يعاقب عليه يوم القيامة لكن بالعتاب لا بالعذاب وهذا قول ابن جريج والربيع بن أنس وطائفة ونسب ذلك إلى ابن عباس أيضا واستدلوا بحديث النجوى الماضى شرحه فى باب ستر المؤمن على نفسه من كتاب الأدب، واستثنى جماعة ممن ذهب إلى عدم مؤاخذة من وقع منه الهم بالمعصية ما يقع فى الحرم المكى ولو لم يصمم لقوله تعالى (ومن يرد فيه

بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) ذكره السدى فى تفسيره عن مرة عن ابن مسعود؛ واخرجه احمد من طريقه مرفوعا ومنهم من رجحه موقوفا ويؤيد ذلك أن الحرم يجب اعتقاد تعظيمه فمن هم بالمعصية فيه خالف الواجب بانتهاك حرمته وتعقب هذا البحث بأن تعظيم الله آكد من تعظيم الحرم ومع ذلك فمن هم بمعصيته لا يؤاخذه فكيف يواخذه بما دونه، ويمكن ان يجاب عن هذا بأن انتهاك حرمة الحرم بالمعصية تستلزم انتهاك حرمة الله لأن تعظيم الحرم من تعظيم الله فصارت المعصية فى الحرم اشد من المعصية فى غيره وان اشترك الجميع فى ترك تعظيم الله تعالى نعم من هم بالمعصية قاصداً الاستخفاف بالحرم عصى ومن هم بمعصية الله قاصدا الاستخفاف بالله كفر وإنما المعفو عنه من هم بمعصية ذاهلا عن قصد الاستخفاف وهذا تفصيل جيد ينبغى أن يستحضر عند شرح حديث «لا يزنى الزانى وهو مؤمن» *

وقال السبكى: الكبير الهاجس لا يؤاخذ به إجماعا والخاطر وهو جريان ذلك الهاجس وحديث النفس لا يؤاخذ بهما للحديث المشار إليه والهم - وهو قصد فعل المعصية مع التردد - لا يؤاخذ به لحديث الباب والعزم وهو قوة ذلك القصد أو الجزم به ورفع التردد قال المحققون يؤاخذ به وقال بعضهم لا؛ واحتج بقول أهل اللغة: همّ بالشىء عزم عليه؛ وهذا لا يكفى قال ومن أدلة الأول حديث «إذا التقى المسلمان بسيفيهما» الحديث، وفيه «أنه كان حريصا على قتل صاحبه» فعلل بالحرص واحتج بعضهم بأعمال القلوب ولا حجة معه لأنها على قسمين أحدهما لا يتعلق بفعل خارجى وليس البحث فيه والثانى يتعلق بالملتقيين عزم كل منهما على قتل صاحبه واقترن بعزمه فعل بعض ما عزم عليه وهو شهر السلاح إشارته به إلى الآخر فهذا الفعل يؤاخذ به سواء حصل القتل أم لا انتهى، ولا يلزم من قوله «فالقاتل والمقتول فى النار» أن يكونا فى درجة واحدة من العذاب بالاتفاق والله أعلم *

٢٤ « اذَا اشْتَكَى عَبْدِى فَأَظْهَرَ المَرَضَ مِنْ قَبْلِ ثَلاثٍ فَقَدْ شَكَانِى » رواه الطبرانى فى الاوسط عنه ه

ش الشكوى والشكاة والشكاية المرض ، والمعنى اذا مرض العبد فاظهر مرضه واخبر به من يراه أو يزوره قبل ثلاث ايام فقد شكى مولاه الرحيم الى عبده الضعيف واخبر بما يقاسيه من الم المرض الذى اوجده فيه ربه وخالقه وليس هذا حال المؤمن القوى الايمان بل حال ضعفاء القلوب اللهم اجعلنا من عبادك الصابرين فى الضراء والسراء *

٢٥ « أَرْبَعُ خِصَالٍ وَاحِدَةٌ فِيمَا بَيْنِى وَبَيْنَكَ وَوَاحِدَةٌ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عِبَادِى وَوَاحِدَةٌ لِى وَوَاحِدَةٌ لَكَ فَأَمَّا الَّتِى لِى فَتَعْبُدُنِى لَا تُشْرِكُ بِى شَيْئاً وَأَمَّا الَّتِى لَكَ فَمَا عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ جَزَيْتُكَ بِهِ وَأَمَّا الَّتِى بَيْنِى وَبَيْنَكَ فَمِنْكَ الدُّعَاءُ وَعَلَىَّ الاجَابَةُ وَأَمَّا الَّتِى بَيْنَكَ وَبَيْنَ عِبَادِى تَرْضَى لَهُمْ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ »

رواه أبو نعيم عن انس *

ش فى الحديث اربع خصال الخصلة الاولى تختص بالله جل ذكره اعنى العبادة وهى فى اللغة من الذلة يقال طريق معبد وبعير معبد اى مذلل ، وفى الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف ، قال الراغب الاصفهانى فى مفرداته : العبودية اظهار التذلل والعبادة ابلغ منها لانها غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال وهو الله تعالى ولهذا قال : (أن لا تعبدوا إلا إياه) ، والعبادة ضربان عبادة بالتسخير وهى الدلالة الصامتة الناطقة المنبهة على كونها مخلوقة

وانها خلق فاعل حكيم وتكون للانسان والحيوانات والنبات، وعبادة بالاختيار وهى لذوى النطق وهى المأمور بها فى نحو قوله تعالى (اعبدوا ربكم) (واعبدوا الله) اه ولا يجوز فعلها شرعا ولا عقلا إلا لله تعالى لانه المستحق لكونه موليا الأعظم النعم من الحياة والوجود وتوابعهما لذلك يحرم السجود لغيره سبحانه وتعالى لانه وضع اشرف الأعضاء على اهون الاشياء وهو التراب ومواطىء الاقدام والنعال غاية الخضوع، وقيل لا تستعمل الا فى الخضوع له سبحانه وما ورد من نحو قوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله) وارد على زعمهم تعريضا لهم ونداء على غباوتهم، وتستعمل بمعنى الطاعة ومنه (ان لا تعبدوا الشيطان) وبمعنى الدعاء ومنه (ان الذين يستكبرون عن عبادتى) وبمعنى التوحيد ومنه (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وكلها متقاربة المعنى ٭

والخصلة الثانية هى مختصة بالعبد وهى استحقاق الأجر وجزاؤه على عمله الصالح يعنى أن الله سبحانه وتعالى يجزى العبد على ما عمل من الخير وأما ما عمل من الشر فأمره موكول الى ربه وموجده ان شاء حاسبه عليه وعاقبه وان شاء غفر له وسامحه سبحانك يارب ما أحلمك وارأفك بعبدك المذنب ٭

والخصلة الثالثة مشتركة بين الله تنزهت صفاته وبين العبد الضعيف وهو ان العبد اذا دعا الله سبحانه وتعالى فى السر والعلن استجاب له ولباه، وقد ورد فى الدعاء وفضله آثار كثيرة نأتى بنبذة منها، روى أصحاب السنن الأربع واخرجه ابن حبان فى صحيحه. وابن ابى شيبة فى مصنفه من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « الدعاء هو العبادة ثم تلا قوله تعالى (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى) الآية» واخرج الترمذى من حديث انس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «الدعاء مخ العبادة» واخرج الترمذى وابن حبان وصححه من حديث

سلمان رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر» ، واخرج الحاكم فى المستدرك والبزار عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : « لا يغنى حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيامة» ومعنى يعتلجان يتصارعان ويتدافعان ؛ واخرج الترمذى وابن حبان من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ «ليس شىء اكرم على الله من الدعاء» وأخرج ابن حبان فى صحيحه من حديث انس رضى الله عنه «لا تعجزوا من الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد» واخرج الحاكم فى المستدرك وصححه من حديث ابى هريرة رضى الله عنه «الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض» والاجابة مشروطة بان لا يكون فى الدعاء دعوة فيها اثم أو قطيعة رحم ، روى احمد فى مسنده والبزار وابو يعلى - قال المنذرى باسانيد جيدة - واخرجه أيضا الحاكم وقال صحيح الاسناد من حديث ابى سعيد الخدرى « ان النبى ﷺ قال مامن مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث إما أن يعجل له دعوته وإما ان يدخرها له فى الآخرة وإما ان صرف عنه من السوء مثلها - زاد فى المشكاة - قالوا : اذاً نكثر قال الله كثر » أى فضله رواه احمد ، واخرج الترمذى عن جابر قال قال رسول الله ﷺ : « مامن احد يدعو بدعاء الا آتاه الله ماسأل أو كف عنه من السوء مثله مالم يدع باثم او قطيعة رحم » ، واخرج ابوداود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين من حديث سلمان قال قال رسول الله ﷺ « ان الله حيي كريم يستحى اذا رفع الرجل اليه يديه أن يردهما صفرا خائبين » وفى قوله تعالى « ادعونى استجب

لكم) وما تقدم من الاحاديث دليل على ان دعاء المسلم لا يهمل بل يعطى ما سأله إما معجلا وإما مؤجلا بفضل الله عزوجل *

الخصلة الرابعة مشتركة بين العبد وبين اخوانه الآدميين وهى ان يرضى لاخيه من الخير والطاعات مايرضى أن يكون مثله له ، ومقابله ان يكره لاخيه من الشر مايكره لنفسه ان تلقاه، وهذا معنى مارواه البخارى ومسلم عن ابى حمزة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ عن النبى ﷺ قال : « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه » قال الامام محيي الدين النووى رحمه الله تعالى: الاولى ان يحمل ذلك على عموم الاخوة حتى يشمل الكافر والمسلم فيحب لاخيه الكافر مايحب لنفسه من دخوله فى الاسلام كما يحب لاخيه المسلم دوامه على الاسلام ، ولهذا كان الدعاء بالهداية للكافر مستحبا والحديث محمول على نفى الايمان الكامل عمن لا يحب لاخيه مايحب لنفسه والمراد بالمحبة ارادة الخير والمنفعة، ثم المراد المحبة الدينية لا المحبة البشرية فان الطباع البشرية قد تكره حصول الخير وتميز غيرها عليها والانسان يجب عليه ان يخالف الطباع البشرية ويدعو لاخيه ويتمنى له مايحب لنفسه والشخص متى لم يحب لاخيه مايحب لنفسه كان حسودا، فعلى الانسان أن يعالج نفسه ويحملها على الرضا بالقضاء ويخالفها بالدعاء لعدوه بما يخالف النفس *

وقال ابو الزناد: ظاهر هذا الحديث التساوى وحقيقته التفضيل لان الانسان يحب ان يكون افضل الناس فاذا أحب لاخيه مثله فقد دخل هو فى جملة المفضولين الاترى ان الانسان يحب ان ينتصف من حقه ومظلمته فاذا كمل ايمانه وكان لاخيه عنده مظلمة او حق بادر الى انصافه من نفسه وان كان عليه فيه مشقة ، قال المدنى فى هذا الحديث: اخرجه ابو يعلى الموصلى وابو نعيم عن انس وضعف

٢٦ «اذْكُرُونِي بِطَاعَتِي أَذْكُرْكُمْ بِمَغْفِرَتِي فَمَنْ ذَكَرَنِي وَهُوَ مُطِيعٌ فَحَقٌّ عَلَيَّ أَنْ أَذْكُرَهُ وَهُوَ مِنِّي بِمَغْفِرَتِي وَمَنْ ذَكَرَنِي وَهُوَ لِي عَاصٍ فَحَقٌّ عَلَيَّ أَنْ أَذْكُرَهُ وَهُوَ لِي بِمَقْتٍ» رواه الديلمي وابن عساكر عن ابى هند الرازى *

ش امر الله تعالى عبيده بأن يذكروه وهم متلبسون بالطاعة ليكون الذكر مقبولا يثاب عليه ويدخر لديه (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) ثم فصل ذلك فى الحديث بان العبد اذا ذكر خالقه وهو مطيع فحق على الرب تباركت اسماؤه ان يذكره وهو من حزب اولياء الله تعالى وذا كريه بالمغفرة بحيث اذا بدرت منه بادرة او وقع فى هفوة يغفرها له ويسامحه ؛ واذا ذكره العبد وهو عاص فحق على الله جل ذكره ان يذكره وهو مملوك لله عبده بمقت ؛ والمقت فى الأصل أشد البغض ، وهذه من الصفات التى سبق الكلام فيها فى حديث «اذا تقرب» الخ ص ١١ فارجع اليه *

٢٧ «اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ لَهُ نَاصِرًا غَيْرِي» رواه الطبرانى فى الكبير والقضاعى عن على *

ش الغضب صفة من صفات الله جل ذكره التى ليس لمثلها شىء وفيها ما تقدم بين السلف والخلف ، وهو فى وصف المخلوق به ثوران دم القلب إرادة الانتقام ، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم : «اتقوا الغضب فانه جمرة توقد فى قلب ابن آدم ألم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه» ، وقد قسم فى جانب المخلوق الى محمود ومذموم ، فالاول ما كان فى جانب الدين والحق ، والثانى ما كان فى خلافه ؛ والظلم وضع الشىء فى غير موضعه المختص به إما بنقصان أو زيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه ، وهو قبيح عند جميع الملل وعاقبته وخيمة ،

وقد ورد فى ذم من اتصف به آيات كثيرة وآثار يكل القلم عن احصائها، وهو يتفاوت ضعفاً وقوة، ولا شك ان ظلم من يجد أنصارا أمثاله يغيثونه من مظلمته وينصرونه من ظالمه أقل ممن ظلم من لا يجد ناصرا يأخذ بيده ويمنعه من ظالمه إلا رب الارباب من يجيب دعوة المظلوم من غير حجاب ، فظلم من هذا حاله اشد جرما واكبر اثما من حال من ظلم من له حمية اوشوكة أوملجأ ، والله اعلم *

٢٨ «اطْلُبُوا الخَيْرَ عِنْدَ الرُّحَمَاءِ مِنْ أُمَّتِى تَعِيشُوا فى أَكْنَافِهِمْ فَإِنَّ فِيهِمْ رَحْمَتِى وَلَا تَطْلُبُوهُ مِنَ القَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ فَإِنَّ فِيهِمْ سَخَطِى» رواه القضاعى عن ابى سعيد *

ش الرحماء جمع رحيم وهو مبالغة راحم ، والاكناف جمع كنف بالتحريك الجانب والناحية، وهذا ترغيب فى ان يكون الانسان رحيما فيكون له حمى وظل وجانب يلجأ اليه البشر ويحتمون فيه لان الله سبحانه وتعالى وضع رحمته فيه ، وفيه ذم للقاسية قلوبهم المنزوع منهم الرحمة والحال فيهم سخط الله وعقابه ، والمعنى اطلبوا الخير عند الرحماء الرقيقة قلوبهم السهلة عريكتهم فانكم إن فعلتم ذلك عشتم فى اكنافهم لان فيهم رحمة الله تعالى وكرمه وجوده، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم الغليظة افئدتهم فانكم لا تنجحوا ولا تحظوا ببغيتكم لان الله جل ذكره وضع فيهم سخطه وكراهته وشدة غضبه اللهم اجعلنا من الرحماء الذين يعيشون تحت كنفك وظلك *

٢٩ «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِى الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ على قلب بشر» رواه احمد والشيخان والترمذى وابن ماجه عن ابى هريرة والطبرانى فى الاوسط عن انس وابن جرير عن ابى سعيد وعن قتادة مرسلا *

ش اعددت هيأت لعبادى الصالحين شيئالم ترالعيون مثله ولاسمعت الأذان به ولاخطر على قلب احد من البشر، ولا شك ان نعيم الجنة وتحفها شيء لايمكن للانسان ان يصفه لانه باق لايلحقه التغيير والانحلال ولا العطب والاضمحلال بخلاف ملذات الدنيا ونعيمها فانها سريعة الفناء قليل الانتفاع بها، قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى: سبب هذا الحديث ان موسى عليه السلام سأل ربه من أعظم اهل الجنة منزلة؟ قال غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » اخرجه مسلم والترمذى من طريق الشعبي سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر رفعه إلى النبى ﷺ « ان موسى سأل ربه » فذكر الحديث بطوله ٭

٣٠ « افترضت على امتك خمس صلوات وعهدت عندى عهداً أنه من حافظ عليهن لوقتهن ادخلته الجنة ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندى، رواه ابن ماجه وابو نعيم عن قتادة ٭

ش العهد الموثق ووضعه لما من شأنه أن يراعى ويتعهد كالقول والقرار واليمين والوصية والضمان والحفظ والزمان والأمر، يقال: عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره، ويقال للنار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها، وللتاريخ لانه يحفظ؛ وقوله « ومن لم يحافظ عليهن » أى على الصلوات الخمس بان ضيعها كلها أو بعضها وذلك يصدق على من أخر صلاة واحدة عن وقتها المضروب لها فلا عهد له عند الله فى دخول الجنة، قال السندى فى تعليقه على سنن ابن ماجه: بل أمره مفوض الى الله فى تعذيبه أو إدخاله الجنة، وفى الزوائد فى اسناده نظر من أجل ضبارة ورويد اه ٭

٣١ «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» رواه ابن جرير عن انس بلاغا

ش تقدم شرح مثله قريبا

٣٢ «إِنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ضَعُفَتْ عَنْ أَنْ تَسَعَنِي وَوَسِعَنِي قَلْبُ الْمُؤْمِنِ» رواه احمد عن وهب بن منبه *

ش هذا إشارة إلى أن المؤمن أفضل من السموات والارض لان قلبه اوسع منهما وفيه ما تقدم والخلاف فى ذلك بين السلف والخلف فعلى الانسان أن يؤمن بذلك ويسلم *

٣٣ «إِنَّ الَّذِي قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِي وَآمَنَ بِذَلِكَ النَّجْمِ وَإِنَّ الَّذِي يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ سَقَانَا فَقَدْ آمَنَ بِي وَكَفَرَ بِذَلِكَ النَّجْمِ» رواه الطبرانى فى الاوسط عن ابن مسعود *

ش النوء النجم اذا مال للمغيب والجمع انواء ونوآن — بضم الاول — حكاه ابن جنى مثل عبد وعبدان وبطن وبطنان . قال حسان بن ثابت شاعر الاسلام رضى الله عنه :

ويثرب تعلم انا بها   إذا قحط الغيث نوآنها

وقيل: معنى النوء سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه وهو نجم آخر يقابله من ساعته فى المشرق فى كل ليلة الى ثلاثة عشر

يوما وهكذا كل نجم منها الى انقضاء السنة ماخلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوما فتنقضى جميعها مع انقضاء السنة وانما سمى نوءاً لأنه اذا سقط الغارب ناء الطالع - اى نهض وطلع - وذلك الطلوع هو النوء ، وبعضهم يجعل النوء السقوط كأنه من الاضداد. قال ابو عبيد: ولم يسمع فى النوء انه السقوط الا فى هذا الموضع . وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها، وقال الاصمعى الى الطالع منها فى سلطانه فتقول مطرنا بنوء كذا ه

قال أبو عبيد : الانواء ثمانية وعشرون نجما معروفة المطالع فى ازمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف يسقط منها فى كل ثلاث عشرة ليلة نجم فى المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله فى المشرق من ساعته وكلاهما معلوم مسمى وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة ثم يرجع الامر الى النجم الاول مع استئناف السنة المقبلة وكانت العرب فى الجاهلية اذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا: لابد من أن يكون عند ذلك مطر أورياح فينسبون كل غيث يكون عند ذلك الى ذلك النجم فيقولون: مطرنا بنوء الثريا والدبران والسماك . اه *

قال شمر: هذه الثمانية والعشرون التى اراد ابو عبيد هى منازل القمر وهى معروفة عند العرب وغيرهم من الفرس والروم، والهند لم يختلفوا فى انها ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة فى منزلة منها . ومنه قوله تعالى : (والقمر قدرناه منازل) قال: وقد رأيتها بالهندية والرومية والفارسية مترجمة، قال: وهى بالعربية فيما اخبرنى به ابن الاعرابى: السرطان. والبطين، والنجم والدبران. والهقعة. والهنعة. والذراع. والنثرة. والطرف والجبهة. والخراتان. والصرفة . والعواء . والسماك . والغفر . والزبانى . والاكليل. والقلب . والشولة . والنعائم . والبلدة . وسعد الذابح . وسعد بلع . وسعد السعود

وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر . والحوت ، قال: ولا تستنيء العرب بها كلها انما تذكر بالانواء بعضها وهى معروفة فى اشعارهم وكلامهم *

وانما غاظ الشرع فى ذلك لان العرب كانت تزعم ان ذلك المطر الذى جاء بسقوط نجم هو فعل النجم ، وكانت تنسب المطر اليها ولا يجعلونه سقيا من الله وان وافق سقوط ذلك النجم المطر يجعلون النجم هى الفاعلة *

قال ابو اسحق: واما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا ولم يرد ذلك المعنى ومراده انا مطرنا فى هذا الوقت ولم يقصد الى فعل النجم فذلك والله أعلم جائز كما جاء عن عمر رضى الله عنه انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقى من نوء الثريا ؟ فقال : ان العلماء بها يزعمون انها تعترض فى الأفق سبعا بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتي غيث الناس ، فانما اراد عمر رضى الله تعالى عنه كم بقى من الوقت الذى جرت به العادة انه اذا تم اتى الله بالمطر؟ والصحيح انه لا يجوز نسبة ذلك الى النجم ولو على طريق المجاز فقد صرح ابن مفلح فى الفروع بانه يحرم قول مطرنا بنوء كذا وجزم فى الانصاف بتحريمه ولو على طريق المجاز ولم يذكر خلافا ، قال فى فتح المجيد : وذلك ان القائل لذلك نسب ماهو من فعل الله تعالى الذى لا يقدر عليه غيره الى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على شىء فيكون ذلك شركا اصغر والله أعلم *

٣٤ «إنَّ أَحَبَّ عِبَادِى إلَىَّ أعْجَلُهُمْ فِطْراً» رواه احمد والترمذى عن أبى هريرة *

ش- فيه استحباب تعجيل الفطر للصائم رمضان كان أو غيره ، وورد فى

ذلك أحاديث: منها ما رواه سهل بن سعد (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر) خرجه الشيخان في صحيحيهما وغيرهما. وعن أبي ذر «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال امتي بخير ما أخروا السحور وعجلوا الفطر» اخرجه احمد، وجاء في سنن أبي داود ما يبين حكمة ذلك فقد روى بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر لان اليهود والنصارى يؤخرون»: ففي هذا اشارة إلى أن هذا الفعل دخل فيه التحريف من أهل الكتاب فبمخالفتهم ورد تحريفهم قيام الملة. والله اعلم.

٣٥ «إِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْ عِبَادِي وَأَحِبَّائِي مِنْ خَلْقِي الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ» رواه الطبراني في الكبير والحكيم وأبو نعيم عن عمرو بن الجموح *

ش- هذا ترغيب في ذكر الله تعالى وبيان منزلة أولياء الله تعالى واحبابه اسأل الله تعالى ان يجعلنا منهم، ومعنى — والله اعلم — الذين يذكرون بذكري ان الناس اذا رأوا من كان مستقيما في عمله مواظبا على صلواته وصيامه مقبلا على مرضاة ربه ذكروا الله تعالى وقالوا لا اله إلا الله سبحان القادر جل الخالق عز الموفق، واذا ذكر الناس الله ذكروهم لمحاسن اوصافهم وجمال صفاتهم وحسن سيرتهم.

٣٦ «إِنَّ بُيُوتِي فِي الْأَرْضِ الْمَسَاجِدُ وَإِنَّ زُوَّارِي فِيهَا عُمَّارُهَا» رواه أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري *

ش - البيوت الاماكن التي يصطفيها المولى جل ذكره لتنزلات رحمته وصعود وهبوط ملائكته في الأرض والمساجد جمع مسجد وهو بيت الصلاة، وإن زوار الله - تنزهت ذاته وتباركت أسماؤه - في هذه البيوت عمارها الذين يقيمون فيها الصلوات ويحيون فيها السنن ويميتون البدع ويذكرون الله تعالى ويتدارسون العلم أولئك الزوار حقاً

٣٧ «إِنَّ عَبْداً أَصْحَحْتُ لَهُ بَدَنَهُ وَأَوْسَعْتُ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ ثُمَّ لَمْ يَفِدْ إِلَيَّ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَعْوَامٍ لَمَحْرُومٌ» رواه الطبراني في الاوسط وأبو يعلى عن أبي الدرداء *

٣٨ «إِنَّ عَبْداً أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ وَأَوْسَعْتُ عَلَيْهِ فِي مَعِيشَتِهِ فَمَضَى عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لَا يَفِدُ إِلَيَّ لَمَحْرُومٌ» رواه ابن حبان وأبو يعلى عن سعيد وابن عدي وابن عساكر عن أبي هريرة *

ش - الوفد هم القوم يجتمعون ويردون البلاد . واحدهم وافد، وكذلك الذين يقصدون الأمراء لزيارة واسترفاد وانتجاع وغير ذلك، والمعنى - والله أعلم - أن العبد إذا كان صحيح الجسم كثير الرزق فحق عليه أن يتذكر ذلك ويعلم أن هذا من مولاه تفضل منه واحسان فيقوم ببعض حق الشكر له تبارك بالزيارة في بيته - وهو الكعبة - ومن لم يفعل ذلك وتناءى وكسل فهو محروم من الله جل ذكره وإحساناته ، ولا يخفى أن من كان هذا حاله لحقيق بالحرمان والله أعلم *

٣٩ «إِنَّ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ بِمَنْزِلَةِ كُلِّ خَيْرٍ يَحْمَدُنِي وَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ» رواه أحمد عن أبي هريرة*

ش- يعني أن العبد المؤمن يحمد الله سبحانه وتعالى في كل حال في السراء والضراء فهو بمنزلة الخير لا يأتي إلا بنفع، وفائدة ومع هذا فإن الله جل ذكره ينزع نفس عبده من بين جنبيه، أي يقبض روحه إليه إذا حان أجله وهو صابر لأمر ربه مستسلم لقضائه وهذا مثل للعبد الحقيقي فإنه لا يرى من مولاه إلا كل خير ولا يفتر عن عبادته في كل حال لأن حق المولى لا يقدر بزمن ولا عمل لا سيما أن الله جل ذكره الذي أوجد عبده من العدم والبسه حلة (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) وأسبغ نعمه عليه ظاهرة وباطنة اللهم وفقنا لطاعتك * وزاد المدني في كتابه الاتحافات السنية في آخر الحديث ورواه البيهقي في شعب الايمان *

٤٠ «إِنَّ عَبْدِي كُلَّ عَبْدِيَ الَّذِي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلَاقٍ قِرْنَهُ» رواه الترمذي عن عمارة بن دسكرة*

ش- القرن بكسر الاول وسكون ثانيه- الكفء والنظير في الشجاعة والحرب ويجمع على أقران، والمعنى أن عبدي الحقيقي، الذي أخلص في العبادة ولم يغفل عن ذكري هو من ذكرني في ساحة القتال مع قرنه وخصمه لأن هذه الحالة تنسي الانسان كل شيء حيث يريد أن يخلص من خصمه ويستنقذ روحه من براثن عدوه فهو في هذه اللحظة إذا ذكر الله سبحانه وتعالى فإنه لا ينساه ولا يغفل عن ذكره في غيرها فهو عبد يحق له أن يتصف بما في الحديث من قوله «أن عبدي كل عبدي» الخ والله أعلم قال المدني: أخرجه ابن سعد والترمذي وضعفه والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الايمان*

٤١ «إِنَّ لِعَبْدِي عَلَيَّ عَهْداً إِنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا أَنْ لَا أُعَذِّبَهُ وَأَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» رواه الحاكم عن عائشة *

ش ـ العهد الموثق وتقدم تفسيره ص ٣٠ ، واقامة الصلاة لوقتها المحافظة عليها فى أوقاتها المشروعة، وأل فى الصلاة للعهد وهى الصلاة الكاملة المستوفية للاركان والشروط والسنن والمستحبات ولاشك أن من أتى بها كذلك يكون عبداً مؤمناً حقاً فيجتنب المنهيات ويفعل المأمورات ويشغل نفسه فى طاعات ربه لان الله تعالى يقول فى كتابه المنزل على رسوله المكرم (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ومن كان هذا حاله فانه حقيق أن لا يعذب بعذاب الله وإن يدخل الجنة بغير حساب والله أعلم ، وهنا غزا المصنف الحديث إلى الحاكم وظاهره إلى كتابه المستدرك وليس كذلك بل ذكره فى تاريخه كما بينه المدنى فى كتابه *

٤٢ «إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَلَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَانٍ وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمَا ثَالِثٌ وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ» رواه أحمد والطبرانى فى الكبير عن أبى واقد الليثى *

ش ـ يعنى أن الله سبحانه وتعالى أنزل المال وأوجده وجعله بين يدى خلقه ليقيموا به شعائر الدين ويظهروا معالم الشرع من صلاة وزكاة وغيرهما لا أن يضعوا مارزقهم الله من المال فى غير موضعه ويصرفوه فى الملاهى والملذات

وفى غير طاعات الله وأحياء سنة نبيه ﷺ فان قوام العالم باحياء قوانين دينهم وسلوك نهج كلياته وإبراز مفروضاته وسننه ومستحباته ففى ذلك سعادتهم دنيا وأخرى ويكون وضع الشىء فى محله المشروع له، وما تأخرت الامم وانتشر الفساد فيها الا بنبذ تعاليم الرسل والانبياء وطرح ما أتوا به من المحاسن والمشروعات والاخذ بما تسوله لهم انفسهم من السوء والفحشاء والانقياد لما تزينه لهم شياطينهم من المعتقدات الباطلة والاعمال الفاسدة فارجو الله تعالى أن يوفق الامم أجمع الى الاخذ بدين الاسلام دين العز والقوة والرحمة والرأفة والسلام والامان والسهل الممكن لكل إنسان ه

ولما كان الانسان بطبعه ميالا الى حب المال شرها طمعا لا يشبع وليس له حد ينتهى اليه الا ما كان من مادته والجزء الاكبر فيه قال الله تعالى فى الحديث: لو كان لابن آدم واد - أى من ذهب أو فضة - لأحب أن يكون له ثان ولو كان له واديان لاحب » الخ ولا يملأ جوفه الا التراب لانه منه خلق واليه يعود، والله اعلم ه

٤٣ «إِنَّكَ إِنْ ذَهَبْتَ تَدْعُو عَلَى آخَرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ ظَلَمَكَ وَإِنَّ آخَرَ يَدْعُو عَلَيْكَ إِنَّكَ ظَلَمْتَهُ فَإِنْ شِئْتَ اسْتَجَبْنَا لَكَ وَعَلَيْكَ وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُكُمَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأُوسِعُكُمَا عَفْوِي» رواه الحاكم عن انس ه

ش فيه أن الله سبحانه وتعالى حليم ورؤف بعباده يحب تأخير الجزاء الى الآخرة ولا يجازى عبده عقب ارتكابه الجرم ليشمله عفوه جل وعز يوم القيامة ويثيب صاحب الحق بحسب مظلمته وتعدى الغير عليه، وفيه ايضا ان الله تبارك يستجيب للمظلوم ويحبس شكايته عنده ذخرا له فى وقت يكون أحوج ما يكون اليه؛ سبحانك يارب ما احلمك بعبادك وارأفك بهم ه

٤٤ «إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِي وَلَمْ يَبِتْ مُصِرّاً عَلَى مَعْصِيَتِي وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِي ذِكْرِي وَرَحِمَ الْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالْأَرْمَلَةَ وَرَحِمَ الْمُصَابَ، ذَلِكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ أَكْلَؤُهُ بِعِزَّتِي وَأَسْتَحْفِظُهُ بِمَلَائِكَتِي أَجْعَلُ لَهُ فِي الظُّلْمَةِ نُوراً وَفِي الْجَهَالَةِ حِلْماً وَمَثَلُهُ فِي خَلْقِي كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْجَنَّةِ» رواه البزار عن ابن عباس

ش اعظم اعمال الدين بعد الاقرار بالشهادتين الصلاة ولذلك كانت صلة بين الرب والعبد ولها فوائد كثيرة ومنافع عظيمة منها انها تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، ومن نجده يصلى الصلوات الخمس ويواظب عليها وهو مقبل على شهوات نفسه مطيع لهواه ليس عليه سماة أهل الصلاح والتقوى نعلم أن صلاته غير مقبولة لانها لم تستوف الشروط المعتبرة شرعا حسية كانت أو معنوية بدليل ماذكر فى الحديث وليست الشروط والاركان والمستحبات التى تذكر فى كتب الفقه كافية فى ان يكون المصلى ناجيا من عذاب الله يوم القيامة بل لابد من اشياء أخر تضاف اليها كما فى الحديث وقال الله تعالى: (قد أفلح المؤمنون. الذين هم فى صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون. والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن أبتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون. والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون) فبين الله تعالى فى هذه الآيات أوصاف

المؤمن الذى نجا وفاز من العقاب والعتاب ومن لم يتصف بهذه الصفات فحاله حال خوف وخطر، ولذلك قال الله فى الحديث «انما اتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى» اى انما تقبل صلاة من تواضع بصلاته لله جل وعلا ولم يستطل على الناس ويحتقرهم ويترفع عليهم، ولم يبت مصرا على معصية الله تعالى بل اذا فعل معصية ووقع فى جريمة فليبادر الى الله بتوبة نصوح قبل أن تمضى عليها الوقت وتسجل فى كتاب الاعمال، وكان غالب نهاره فى ذكر المولى تبارك وتعالى، ورحم الفقير والمسكين وابن السبيل المسافر الغريب الذى ليس له أنيس ولا مأوى ومن كانت ارملة خالية من الزوج وتعول نفسها ورحم من كان أصيب بجائحة أو مرض أو فاقة ولم يجد ما يسد حاجته أو يدفع مصيبته، فمن اتصف بهذه الأوصاف الحميدة كان نوره كنور الشمس يظهر لاهل الله من ملائكة وانبياء واولياء ويستطل به أهل الفسوق. اللهم اجعلنا ممن اتصف بهذه الصفات الكامله ووفقنا لان نموت ونلقاك ونحن على حبك. فيحفظه المولى جل ذكره بعزته اى بقوته وشدته. ولا يخفى على الفطن ما فى هذا التعبير من الاعتناء والحماية والصيانة لعبده المطيع المتصف بهذه الخصال ومع كل هذا الاكرام يجعل له المولى نوراً فى الظلمة وحلما فى الجهالة وما احلى هذا التشبيه فى قوله تعالى: (ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة) فان الفردوس من أحاسن الجنان وارفعها واعلاها منزلة والله اعلم.

٤٥ «إِنِّى أَنَا اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا مَنْ أَقَرَّ لِى بِالتَّوْحِيدِ دَخَلَ حِصْنِى وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِى أَمِنَ مِنْ عَذَابِى» رواه الشيرازى فى الالقاب عن على

ش التوحيد افراد الله جل وعلا بالتأثير والضر والنفع. والرزق. والخلق والايجاد الى غير ذلك مما لم يمكن لغير الله أن يتصف به، والحصن المكان الذى لا يقدر عليه لارتفاعه ومنعته، وجمعه حصون، والمعنى والله أعلم أن العبد اذا أعتقد وأقر لله سبحانه وتعالى بالوحدانية أى فى ذاته وصفاته وأفعاله أمن من عذاب الله جل ذكره لأنه دخل فى حصنه وحماه الذى لا يصل اليه أحد ولا يلحق من ولجه أذى ٭

٤٦ « إِنِّى إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَىْ عَبْدٍ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الجَنَّةِ » رواه ابن ماجه وأبو يعلى والطبرانى عن ابن عباس ٭

٤٧ «إِنَّ أَوْلِيَائِى مِنْ عِبَادِى وَأَحِبَّائِى مِنْ خَلْقِى الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِى وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ» رواه الحكيم وأبو نعيم عن عمرو بن الجموح

ش الحديث الأول تقدم ص ١٦ والثانى تقدم ص ٣٤ وزاد فيه رواه الطبرانى فى الكبير ٭

٤٨ «إِنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِى وَجَعَلْتُهُ مُحَرَّمًا بَيْنَكُمْ فَلَا تَظَالَمُوا يَاعِبَادِى كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِى أَهْدِكُمْ يَاعِبَادِى كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِى أُطْعِمْكُمْ يَاعِبَادِى كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِى أَكْسُكُمْ يَاعِبَادِى إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا

أغفر الذنوب جميعا غير الشرك فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته مانقص ذلك مما عندي شيئا إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» * رواه مسلم وأبو عوانة وابن حبان والحاكم عن أبي ذر *

ش - هذا الحديث شريف القدر عظيم المنزلة جليل الموقع جامع لفوائد شتى قد تضمن من قواعد الدين العظيمة من العلوم والاعمال والاصول والفروع وغير ذلك مما لا يحصره قلم ولا يحصيه عاد لذلك كان الامام احمد ابن حنبل رضي الله عنه يقول: هو أشرف حديث لاهل الشام، وكان أبو ادريس الخولاني إذا حدث به جثا على ركبته كما ذكره مسلم في صحيحه وراويه هو امام أهل

الصوفية الذى قيل فيه : ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق لهجة منه ، فالله سبحانه وتعالى نفى الظلم عن نفسه بقوله: « انى حرمت الظلم على نفسى » أى لا يليق ولا ينبغى أن أتصف به وهو مستحيل فى حقه تعالى لان الظلم قبيح، ونفاه البارى تعالى في غير موضع من كتابه فقال: (وما ظلمناهم) وقال (ولا يظلم ربك أحدا) وقال (وما ربك بظلام للعبيد) وقال (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها)وقال : (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) ونفى تبارك ذكره ارادته الظلم أيضا بقوله (وما الله يريد ظلما للعالمين) ،وقوله (وما الله يريد ظلما للعباد) ، ونفى خوف العباد له بقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال أهل التفسير من السلف فى هذه الآية : لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه سيئات غيره ولا يهضم فينقص من حسناته ، يعنى أن المحسن لا يظلم فى الآخرة فينقصه الله جل ذكره من احسانه أو يحمله لغيره ، ولا يظلم مسيئا فيجعل عليه سيئات غيره بل لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت،وقد افاد هذا المعنى قوله تعالى :(أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى أن لا تزر وازرة وزر أخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى)، وللعلماء فى تفسير الظلم المنفى هنا أقوال وتنازع فبعضهم قد شذ وبعضهم قد غلا وتجاوز ؛ والقول الوسط فى ذلك ما اشرنا اليه قبل وهو أن الظلم الذى حرمه الله على نفسه ونفى ارادته كما تقدم هو مثل أن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها ويعاقب البرىء على مالم يفعل من السيئات ويعاقب هذا بذنب غيره أو يحكم بين الناس بغير القسط ونحو ذلك من الافعال التى ينزه الرب لقسطه وعدله وهو قادر عليها وانما استحق الحمد والثناء لانه ترك

الظلم وهو قادر عليه وكما أن الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص والعيب فهو ايضا منزه عن أفعال النقص والعيب ٥

وقوله (وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) - هو بفتح التاء - وتخفيف الظاء في الاصول المعتبرة ونقل ابن حجر انه روى مشددا والاشهر تخفيفها أي جعلت الظلم بينكم ياعبادي محرما فلا يظلم بعضكم بعضا، والخطاب للثقلين لاختصاصهم بالتكليف وتعاقب التقوى والفجور ولان مابعده من الالفاظ كالطعام والكسوة ينص على ذلك، وهذه الجملة تجمع الدين كله فان مانهى الله عنه راجع الى الظلم وكل مايأمر به راجع الى العدل، ولهذا قال تعالى في كتابه الحكيم: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب)

قال الامام تقي الدين بن تيمية في شرح هذا الحديث: فاخبر انه جل ذكره — أرسل الرسل وانزل الكتاب والميزان لاجل قيام الناس بالقسط وذكر انه انزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق، فالكتاب يهدي والسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا، ولهذا كان قوام الناس باهل الكتاب وأهل الحديد كما قال من قال من السلف: صنفان اذا صلحوا اصلح الناس الامراء والعلماء، وقالوا في قوله تعالى (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) أقوالا تجمع العلماء والأمراء، ولهذا نص احمد وغيره على دخول الصنفين في هذه الآية إذ كل منهما تجب طاعته فيما يقوم به من طاعة الله. وكان نواب رسول الله ﷺ في حياته كعلي. ومعاذ. وأبي موسى. وعتاب ابن اسيد. وعثمان بن أبي العاصي — وامثالهم يجمعون الصنفين، وكذلك خلفاؤه من بعده كأبي بكر وعمر. وعثمان. وعلي. ونوابهم، ولهذا كانت السنة أن الذي يصلي بالناس هو صاحب الكتاب والذي يقوم بالجهاد هو صاحب الحديد اه *

وقال العلامة السعد فى شرح الاربعين النووية : اذ الظالم ينحط عن رتبة النبوة (لاينال عهدى الظالمين) وعن درجة الولاية (الا لعنة الله على الظالمين) وعن مرتبة السلطنة « بيت الظالم خراب ولو بعد حين » وعن نظر الخلائق « جبلت القلوب على حب من أحسن اليها و بغض من أساء اليها » وعن حظ نفسه وتبقى خسارته فى الدنيا والعقبى (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) وفى الترمذى مرفوعا « ثلاثة لاترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتى وجلالى لانصرنك ولو بعد حين » ،حكى أن الامير نوحا لما وضع الخراج على اهل سمرقند فبعث بريدا الى أميرها فاحضر الأئمة والمشايخ واعيان البلد وقرأ عليهم الكتاب فقال الفقيه أبو منصور الماتريدى للبريد: قد أديت رسالة الأمير فارددا اليه الجواب وقل له : زدنا ظلما حتى نزيد فى دعاء الليل ثم تفرقوا فلم تذهب الايام حتى وجدوه قتيلا وفى بطنه زج رمح مكتوب :

بغى وللبغى سهام تنتظر * اتته من أيدى المنايا والقدر
سهام أيدى القانتات فى السحر * يرمين عن قوس لها الليل وتر

اه ولاشك أن كل خير وصلاح داخل فى القسط والعدل ، وكل شر وفساد داخل فى الظلم ، والظلم يتفاوت و بعضه أشد ضررا من بعض فهو فى جميع أنواعه وافراده ممنوع ينفر عنه الطبع السليم وتأباه الفطرة وكذلك يمتنع عموما من حيث متعلقه سواء كان الظلم ظلما لمسلم أو لكافر قريب أو بعيد صاحب أو عدو اعتدى عليك أم لم يعتد فهو محرم فى كل شىء ولكل أحد قال الله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم) أى يحملنكم بغض قوم وهم الكفار على عدم العدل

(على أن لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى) وقال تعالى : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم) وقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وقال تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) *

وقوله «ياعبادى كلكم ضال الامن هديته» الخ بعد ماذكر جل شأنه فى أول الحديث ماأوجبه من العدل وحرمه من الظلم على نفسه وعلى عباده عموما عقب ذلك بذكر احسانه الى عباده وانعامه عليهم مع غناه عنهم وفقرهم اليه وانهم لايقدرون على جلب منفعة لانفسهم ولا دفع مضرة الا ان يكون هو الميسر لذلك وأمر عباده أن يسألوه ذلك وأخبر انهم لايقدرون على نفعه ولا ضره مع عظم من يوصل اليهم من النعماء ويدفع عنهم من البلاء، وجلب المنفعة ودفع المضرة اما أن يكونا فى الدين أو فى الدنيا فصارت أربعة اقسام : الهداية والمغفرة وهما جلب المنفعة ودفع المضرة فى الدين ، والكسوة والطعام وهما جلب المنفعة ودفع المضرة فى الدنيا . وإن شئت قلت : الهداية والمغفرة يتعلقان بالقلب الذى هو ملك البدن وهو الاصل فى الأعمال الأرادية . والطعام والكسوة يتعلقان بالبدن الطعام لجلب المنفعة واللباس لدفع المضرة وفتح الأمر بالهداية فانها وان كانت الهداية النافعة هى المتعلقة بالدين فكل أعمال الناس تابعة لهدى الله اياهم والله اعلم أفاده الامام المجتهد ابن تيمية فى شرحه مع بسط . وقوله : « كلكم ضال » أى من شأنكم وجبلتكم الضلالة كما روى « أن الله خلق الخلق فى ظلمة الطبيعة فالقى عليهم من نوره » الخ ، أى فى ظلمة الطبيعة من الميل الى الشهوات والركون الى المحسوسات والغفلة عن اسرار عالم الغيب وممالك السموات فالقى عليهم من نوره أى بسبب مانصب لهم من الحجج النيرة فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه ضل من التعاريف المذكورة شرحه

فالناس خلقوا لا يهتدون إلى طريق الصواب، ومنهج السوى إلا بمرشد وهاد فمن هداه الله يشرح صدره، وينور قلبه ويصفى استعداده عما ينافى قبول الحق والصراط المستقيم من ظلمات الشكوك والشبه، واتباع الهوى والعمل بالبدع التى تصادم الشرع الشريف، فان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار كما أخبر بذلك شفيع المذنبين من النار فينبت فيه شجر التصديق والايقان بما جاء به سيد ولد عدنان من أصول الدين وفروعه فيثمر بأغصان الطاعات فى كل حين ووقت ثم يثمر بثمار المشاهدة والتجليات وعلم اليقين فيرى الحق حقاً فيتبعه ويرى الباطل باطلا فيجتنبه، وهذا الاينافى قوله صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة» الحديث فان هذه ظلمة طارئة على الفطرة الأولى كما يشير إليه ما روى «خلق الله الخلق على معرفته فاغتالتهم الشياطين» وقال ابن المبارك رضى الله عنه: يولد على مايصير إليه من سعادة أو شقاوة فمن علم أنه يصير مسلماً موحداً ولد على فطرة الاسلام والتوحيد، ومن علم أنه يصير كافراً جاحداً نعماء ربه ولد على فطرة الكفر، ويستدل لذلك بقوله تعالى وهو أصدق القائلين (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن)؛ وقوله: «فاستهدونى أهدكم» أى اطلبوا منى الهداية الموصلة إلى أدلتكم عليها وأوصلكم إليها، ولعل الحكمة فى طلبه سبحانه وتعالى سؤال الهداية مع أنه سبحانه يهدى من يشاء بحسن الرعاية، وجميل العناية إظهار الافتقار والاشعار بأنه لاهداية قبل سؤاله إياه فربما قال: إنما أوتيته على علم عندى فيضل بذلك ويشقى، فاذا سأل ربه الأمور الدنيوية والأخروية فقد اعترف على نفسه بالعبودية ولمولاه بالربوبية؛ وهذا مقام شريف ومشهد لطيف، وفيه دليل لأهل السنة والجماعة على أن المهتدى من هداه الله تعالى، وبارادته اهتدى من اهتدى لا بما سواه؛ وأن غير المهتدى لم يرد الله هدايته، فإن

يهتد لذلك ولو أرادها له لاهتدى ، قال الله تعالى: (ولو شاء لهداكم أجمعين) وقال تعالى: (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) وقال تعالى: (ولو شاء الله ما أشركوا) وقال تعالى: (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام، ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا) وقال تعالى: (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) إلى غير ذلك من الآى والله أعلم .

وقوله في الحديث: «يا عبادي كلكم جائع إلا من اطعمته» لما فرغ من الامتنان بالأمور الدينية شرع في الامتنان في الأمور الدنيوية فقال: الخ وكرر النداء زيادة في تشريفهم وتعظيمهم ، ولذا أضافهم إلى نفسه جل شأنه ، قال الامام العلامة تقي الدين ابو العباس احمد بن تيمية في شرحه: فيقتضي أصلين عظيمين ، وجوب التوكل على الله في الرزق المتضمن جلب المنفعة كالطعام ودفع المضرة كاللباس . وانه لا يقدر غير الله على الاطعام والكسوة قدرة مطلقة ، وإنما القدرة التي تحصل لبعض العباد تكون على بعض اسباب ذلك ولهذا قال: (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) وقال: (ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم) فالمأمور به هو المقدور للعباد، وكذلك قوله: (أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة) وقوله: (فأطعموا القانع والمعتر) وقوله: (وكلوا منها واطعموا البائس الفقير) وقال: (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه) فذم من يترك المأمور به اكتفاء بما يجري به القدر ، ومن هنا يعرف ان السبب المأمور به أو المباح لا ينافي وجوب التوكل على الله في وجود السبب بل الحاجة والفقر الى الله ثابتة مع فعل السبب إذ ليس في المخلوقات ما هو وحده سبب تام

لحصول المطلوب ولهذا لايجب ان تقترن الحوادث بما قد يجعل سببا إلا بمشيئة الله تعالى فانه ماشاء الله كان ومالم يشألم يكن ؛ فمن ظن الاستغناء بالسبب عن التوكل فقد ترك ما اوجب الله عليه من التوكل واخل بواجب التوحيد ولهذا يخذل امثال هؤلاء إذا اعتمدوا على الاسباب فمن رجا نصراً أو رزقا من غير الله خذله الله كما قال على رضى الله عنه لايرجون عبد الاربه ولا يخافن الاذنبه ، وقد قال تعالى (مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) الخ ماقال ، يعنى ان الله جل ذكره خلق الخلق كلهم ذوى فقر إلى الطعام فكل طاعم كان جائعا حتى يطعمه الله بسوق الرزق اليه وتصحيح الآلات التى هيأها له فلا يظن ذو الثروة أن الرزق الذى فى يده وقد رفعه الى فيه اطعمه اياه احد غير الله تعالى ، وفيه ايضا ادب للفقراء كأنه قال لاتطلبوا الطعام من غيرى فان هؤلاء الذين تطلبون منهم انا الذى اطعمهم فاستطعمون اطعمكم وكذلك مابعده افاده الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد فى شرحه والله اعلم ٭

قوله تخطئون » بضم التاء وسكون الخاء المعجمة وكسر الطاء المشالة هذه هى الرواية المشهورة ، وروى بفتح أوله وثالثه ، والخطأ يطلق على معان قال الراغب فى مفرداته . الخطأ العدول عن الجهة وذلك أضرب ، أحدها أن يريد غير ماتحسن ارادته فيفعله وهذا هو الخطأ التام المأخوذ به الانسان يقال خطىء يخطأ خطأ وخطاءة ـ أى بكسر الاول فيهما ـ ، والثانى أن يريد مايحسن فعله ولكن يقع منه خلاف مايريد فيقال : اخطأ اخطاء أفهو مخطىء وهذا قد أصاب فى الارادة واخطأ فى الفعل ، والثالث أن يريد مالا يحسن فعله ويتفق منه خلافه فهذا مخطىء فى الارادة ومصيب فى

الفعل فهو مذموم بقصده وغير محمود على فعله ، وجملة الامر ان من أراد
شيئاً فاتفق منه غيره يقال اخطأ وان وقع منه كما أراده يقال اصاب ، وقد
يقال لمن فعل فعلا لا يحسن أو أراد ارادة لا تجمل أنه اخطأ ولهذا يقال :
اصاب الخطأ واخطأ الصواب واصاب الصواب واخطأ الخطأ . وهذه
اللفظة مشتركة كما ترى مترددة بين معان يجب لمن يتحرى الحقائق ان
يتأملها انتهى بنوع تصرف »

وقوله : « بالليل والنهار » أى فى ساعاتهما وأوقاتهما ، وقدم الليل على النهار لان
الليل ظلمة وهى الأصل والنور طارىء عليها يسترها . ولان المقام يقتضى
تقديمه اذ أكثر المعاصى والآثام تفعل فى الليل ، والاستغفار من الذنوب طلب
المغفرة والعبد أحوج شىء اليه لما تقدم ، وقد جاء فى القرآن الحكيم ذكر
الاستغفار والتوبة والامر بهما والحث عليهما فى غير آية فلا حاجة الى ايرادها
خوف الاطالة ، واما من الحديث النبوى فلا مانع من ذكر نبذة من ذلك : روى
الترمذى وابن ماجه من حديث انس بن مالك خادم الرسول ﷺ عن
النبى عليه الصلاة والسلام قال : « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون »

وخرج البخارى فى صحيحه من حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن
النبى ﷺ قال : « والله انى لاستغفر الله واتوب اليه كل يوم مائة
مرة » . وخرج أيضا من حديث الأغر المزنى سمع النبى ﷺ يقول :
« يا ايها الناس توبوا الى ربكم فانى اتوب اليه فى اليوم مائة مرة » وخرجه
النسائى ولفظه « يا ايها الناس توبوا الى ربكم واستغفروه فانى اتوب الى الله
واستغفره كل يوم مائة مرة » . وخرج الامام احمد بن حنبل من حديث حذيفة
قال : « كان فى لسانى ذرب ... أى حدة اللسان لا ابالى ما اقول — على اهلى
لا أعده الى غيره فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال : اين أنت من الاستغفار يا حذيفة

انى لاستغفر الله كل يوم مائة مرة»، وخرج الامام احمد بن حنبل، وابو داود . والترمذى . والنسائى . وابن ماجه من حديث ابن عمر قال إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة « يقول رب اغفرلى وتب على انك أنت التواب الرحيم» .

والمغفرة العامة لجميع الذنوب نوعان ، احدهما المغفرة لمن تاب كما فى قوله تعالى :(قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) إلى قوله : (ثم لاتنصرون) فهذا السياق مع سبب نزول الآية يبين أن المعنى لاييأس مذنب من مغفرة الله تعالى ولو كانت ذنوبه ما كانت فان الله جل ذكره لايتعاظمه ذنب من أن يغفره لعبده التائب ، وقد دخل فى هذا العموم الشرك وغيره من الذنوب فان الله تعالى يغفر ذلك لمن تاب منه ؛ ويؤيد ذلك قوله تعالى : (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين ـ الى قوله ـ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)، وقال فى الآية الاخرى :(فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين) وقال :(لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ـ الى قوله ـ افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) ، قال الامام تقى الدين احمد بن تيمية : وهذا القول الجامع بالمغفرة لكل ذنب للتائب منه كما دل عليه القرآن والحديث هو الصواب عند جماهير اهل العلم وإن كان من الناس من يستثنى بعض الذنوب كقول بعضهم أن توبة الداعية إلى البدع لاتقبل باطنا للحديث الاسرائيلى الذى منه « فكيف من أضللت » وهذا غلط فان الله قد بين فى كتابه وسنة رسوله أنه يتوب على أئمة الكفر الذين هم أعظم من ائمة البدع وقد قال تعالى : (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم

ولهم عذاب الحريق) قال الحسن البصرى : انظروا إلى هذا الكرم عذبوا أولياءه وفتنوهم ثم هو يدعوهم الى التوبة وكذلك توبة القاتل وغيره إلى آخر ماقـــال .

وثانيهما المغفرة بمعنى تخفيف العذاب أو بمعنى تأخيره إلى أجل مسمى وهذا عام مطلقا ، ولهذا شفع النبى ﷺ فى عمه أبى طالب مع موته على الشرك فنقل من غمرة من نار حتى جعل فى ضحضاح من نار فى قدميه نعلان من نار يغلى منهما دماغه قال : « ولولا انا لكان فى الدرك الاسفل من النار » وعلى هذا المعنى دل قوله تبارك وتعالى : (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة) وقوله تعالى : (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة) وقوله جل ذكره : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير) وغير ذلك من الآيات .

قال العلامة الحافظ تقى الدين بن دقيق العيد فى شرح الاربعين حديثا النووية : فى هذا الكلام من التوبيخ مايستحى منه كل مؤمن وكذلك أن الله خلق الليل ليطاع فيه ويعبد بالاخلاص حيث تسلم الأعمال فيه غالبا من الرياء والنفاق أفلا يستحى المؤمن أن لاينفق الليل فيما خلق له من الطاعات حتى يخطىء فيه ويعصى الله تعالى فى مواطنه ، وأما النهار فانه خلق مشهوداً من الناس فينبغى من كل فطن أن يطيع الله فيه أيضا ولا يتظاهر بين الناس بالمخالفة ، وكيف يحسن بالمؤمن أن يخطىء سراً أو جهراً الا انه سبحانه وتعالى قد قال بعد ذلك « وانا أغفر الذنوب جميعاً » فذكر الذنوب بالألف واللام التى للتعريف واكدها بقوله « جميعا » وإنما قال ذلك قبل أمره إيانا بالاستغفار لئلا يقنط احد من رحمة الله لعظم ذنب ارتكبه اهـ *

وقوله « ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى » الخ الضر - بفتح أوله ويضم -

الضرر ضد النفع وهو منصوب بنزع الخافض أى لن تصلوا إلى ضررى كذافى بعض شروح الاربعين ، قال الازهرى : كل ماكان سوء حال وفقر وشدة فى بدن فهو ضر بالضم ، وما كان ضد النفع فهو بفتحها اه .

ولما كانت الجبلة والعادة فى الخلق أن يوصل بعضهم إلى بعض نفعا أو ضرا وكان هذا مألوفا لهم فيما بينهم واذا رأيت إحسانا من أحد أو اساءة من أحد اليك فتجتهد لان توصل اليه نظير صنعه من خير أو شر أو منفعة أو مضرة فالناس وراء المنافع أيا كان وكل بحسبه ، اراد المولى جل ذكره أن يبين لخلقه وعبيده أنه سبحانه لا يصله شىء من طاعتكم فينتفع به ولا يصله شىء من معصيتكم فتضرونه به بل اعمالكم الطيبة الصالحة تثابون عليها يوم القيامة وتنتفعون بها فى الآخرة وكذلك اعمالكم الخبيثة فانكم تجازون عليها يوم الموقف الاعظم وتعذبون بسبب ما ارتكبتموه من الامور المخلة فليجتهد كل إنسان ويدخر لنفسه من الأعمال الصالحات مايعود نفعه عليه فى وقت شدة حاجته اليه وليجهد نفسه على منعها من ارتكاب مايخل بالآداب الانسانية والقواعد الشرعية لئلا يكون وزر ذلك عليه فى يوم لا شفيع يشفع الا بأذن الله سبحانه وتعالى * قال قتادة : إن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته اليهم ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به عليهم ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم *

وقد ورد فى ذلك آيات كثيرة منها قوله تعالى : (وإن تكفروا فان لله ما فى السموات ومافى الارض وكان الله غنيا حميدا) اى ولم يزل كذلك ، وقال حاكيا عن موسى : (وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعاً فان الله لغنى حميد) وقال : (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئا) ، وقال : (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا)

وقال : (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) وقال تعالى : (لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم) والمعنى والله أعلم أنه تعالى يحب من عباده أن يتقوه ويطيعوه كما أنه يكره منهم ان يعصوه ، ولهذا يفرح بتوبة التائبين اشد من فرح من ضلت راحلته التي عليها طعامه وشرابه بفلاة من الأرض وطلبها حتى أعيي وأيس منها واستسلم للموت وآيس من الحياة ثم غلبته عيناه فنام واستيقظ واذا هي قائمة عنده ، وهذا أعلى مايتصوره المخلوق من الفرح والسرور وهذا كله مع غناه عن طاعات عباده وتوبتهم اليه وأنه إنما يعود نفعها اليهم دونه ولكن هذا من كمال جوده واحسانه الى عباده ومحبته لنفعهم ورفع الضر عنهم فهو يحب من عباده أن يعرفوه ويحبوه ويخافوه ويتقوه ويطيعوه ويتقربوا اليه ويحب أن يعلموا أنه لا يغفر الذنوب احد غيره وأنه قادر على مغفرة ذنوب عباده كما في رواية عبد الرحمن بن غنم عن ابى ذر لهذا الحديث « من علم منكم إنى ذو قدرة على المغفرة ثم استغفرنى غفرت له ولا أبالى » ، وفى الصحيح عن النبى ﷺ قال : والله لله ارحم بعباده من الوالدة بولدها » ه

وقوله « ياعبادى لو أن أولكم وآخركم » الخ بعد ماذكر الله تعالى انه جل ذكره لا ينتفع من عباده بطاعتهم اياه ولا يحصل له ضرر بسبب عصيانهم اياه بل الانتفاع والضرر عائد ان عليهم ويجازون بذلك عقب ذلك بأن ملكه جل ثناؤه لا يزيد بطاعة الخلق ولو كانوا كلهم بررة اتقياء قلوبهم على قلب اتقى رجل منهم ، كذلك لا ينقص ملكه بمعصية العاصين ولو كان جميع الانس والجن عصاة فجرة قلوبهم على قلب افجر رجل منهم . فسبحانه الغنى بذاته عمن سواه وله الكمال المطلق فى ذاته وصفاته وافعاله فملكه ملك كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه على اى وجه كان ، وفيه دليل

على أن الاصل فى التقوى والفجور هى القلوب فاذا بر القلب واتقى برت الجوارح واذا فجر القلب فجرت الجوارح؛ افاده الحافظ ابن رجب فى جامع العلوم والحكم بنوع تصرف .

وقوله « لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى » الخ الصعيد وجه الأرض وظاهرها أى فى مقام واحد ، وقوله فسألونى أى فى تلك الحالة بألسنة مختلفة حوائج مؤتلفة . قال السعد : وقيد السؤال بالاجتماع فى صعيد واحد لان تزاحم اسئلة وترادف الناس فى السؤال مع كثرتهم وكثرة مطالبهم مما يضجر المسئول منه ويدهشه وذلك يوجب حرمانهم وتخييبهم أو تعسر انجاح مطالبهم واسعاف دعائهم؛ وليس كذلك في حقه سبحانه وتعالى . وفيه اشارة الى كمال قدرته سبحانه وتعالى وكمال ملكه وان ملكه وخزائنه لا تنفد ولا تنقص بالعطاء، ولو اعطى الاولين والآخرين من الجن والانس جميع ماسألوه فى مقام واحد ، وفى ذلك حث الخلق على سؤاله وانزال حوائجهم به ، روى مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « اذا دعا أحدكم فلا يقل ، اللهم اغفر لى ان شئت ولكن ليعزم وليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء » ، وفى الصحيحين عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار افرايتم ما انفق ربكم منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما فى يمينه » ، وقوله « لا يغيضها » أى ينقصها ؛ وقال ابو سعيد الخدرى : اذا دعوتم الله فارفعوا فى المسألة فان ما عنده لا ينفده شيء واذا دعوتم فاعزموا فان الله لا مستكره له » .

وقوله « لم ينقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر » المخيط والخياط ما يخاط به وهى الابرة اذ الفعال والمفعل والمفعال

من صيغ الآلات التي يفعل بها كالمسعر والحلاب والميشار ، وهو بكسر الميم واسكان الخاء وفتح الياء ؛ وقوله « ادخل البحر » بصيغة المجهول ونصب البحر على ثاني المفعول وهذا التشبيه من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لتفهيم ، وقوله ذلك لتحقيق أن ماعنده لاينقص البتة كما قال تعالى: (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) فان البحر اذا غمست فيه ابرة ثم اخرجت لم تنقص من البحر بذلك شيئا ، وكذلك لو فرض انه شرب منه عصفور مثلا فانه لاينقص البحر البتة ، ولهذا ضرب الخضر لموسى عليهما السلام هذا المثل فى نسبة علمهما الى علم الله عز وجل وذلك لان البحر لايزال تمده مياه الدنيا وانهارها الجارية فمهما اخذ منه لم ينقصه شيء لانه يمده ما هو أزيد مما أخذ منه ، وهكذا طعام الجنة وما فيها فانه لاينقص كما قال تعالى: (وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة) ، وقد تبين فى الحديث الذى خرجه الترمذى وابن ماجه السبب الذى لاجله لاينقص ماعند الله بالعطاء بقوله « ذلك بانى جواد واجد ماجد أفعل ما اريد عطائى كلام وعذابى كلام انما أمرى لشيء اذا اردت انما اقول له كن فيكون » وقال بعضهم فى ذلك :

لاتخضعن لمخلوق على طمع ... فان ذاك مضر منك بالدين
واسترزق الله مما فى خزائنه ... فانما هى بين الكاف والنون

لما بين الله جل جلاله كمال قدرته وتمام ملكه وسعة نعمائه وقوة نفوذه اراد أن يبين لخلقه انه تعالى ذكره مع كونه موصوفا بهذه الاوصاف الفائقة الحد والحصر فلا يترك لعبد من عباده عملا من الاعمال قل أو كثر صغر أو عظم خيراً أو شراً الا احصاه له وكتبه عليه ثم يرد عليه جزاء ذلك ويوفيه له على حسبه تاماً لاينقص منه شيئا ٭

قال الامام العلامة ابو العباس تقى الدين احمد بن تيمية فى شرح هذه الجملة:
فبين أنه محسن الى عباده فى الجزاء على اعمالهم الصالحة احسانا يستحق به الحمد لانه هو المنعم بالأمر بها والارشاد اليها والأعانة عليها ثم احصائها ثم توفية جزائها فكل ذلك فضل منه واحسان اذ كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل ، وهو وان كان قد كتب على نفسه الرحمة وكان حقا عليه نصر المؤمنين كما تقدم بيانه فليس وجوب ذلك كوجوب حقوق الناس بعضهم على بعض الذى يكون عدلا لافضلا لأن ذلك انما يكون لكون بعض الناس أحسن الى البعض واستحق المعاوضة وكان إحسانه إليه بقدرة المحسن دون المحسن اليه ولهذا لم يكن المتعاوضان ليخص احدهما بالتفضل على الآخر لتكافئهما وهو قد بين فى الحديث أن العباد لم يبلغوا ضره فيضروه ولن يبلغوا نفعه فينفعوه فامتنع حينئذ ان يكون لاحد من جهة نفسه عليه حق بل هو الذى احق الحق على نفسه بكلماته فهو المحسن بالاحسان وباحقاقه وكتابته على نفسه فهو فى كتابة الرحمة على نفسه واحقاقه نصر عباده المؤمنين ونحو ذلك محسن احسانا مع احسان فليتدبر اللبيب هذه التفاصيل التى يتبين بها فصل الخطاب فى هذه المواضع التى عظم فيها الاضطراب فمن بين موجب على ربه بالمنع أن يكون محسنا متفضلا ومن بين مسوى بين عدله وإحسانه وما تنزه عنه من الظلم والعدوان وجاعل الجميع نوعا واحداً وكل ذلك حيد عن سنن الصراط المستقيم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل *

وكما بين أنه محسن فى الحسنات متم إحسانه باحصائها والجزاء عليها بين أنه عادل فى الجزاء على السيئات فقال: «ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه» كما تقدم بيانه فى مثل قوله: (وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم) وعلى

هذا الأصل استقرت الشريعة الموافقة لفطرة الله التي فطر الناس عليها كما في الحديث الصحيح الذى رواه البخارى عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ أنه قال: «سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا اله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت» ففي قوله «أبوء لك بنعمتك على» إعتراف بنعمته عليه في الحسنات وغيرها وقوله «وأبوء بذنبي» اعتراف منه بأنه مذنب ظالم لنفسه وبهذا يصير العبد شكورا لربه مستغفرا لذنبه فيستوجب مزيد الخير وغفران الشر من الشكور والغفور الذى يشكر اليسير من العمل ويغفر الكثير من الزلل *

وقد ورد فى احصاء اعمال العباد وتوفيتهم أياها بالجزاء عليها آيات كثيرة؛ منها قوله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وقوله: (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمدا بعيدا) وقوله: (ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا) وقوله (يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه) إلى غير ذلك *

وقوله «ثم أوفيكم أياها» الظاهر أن المراد توفيتها يوم القيامة كما قال تعالى فى كتابه الحكيم: (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) ويحتمل أن المراد يوفى عباده جزاء اعمالهم فى الدنيا والآخرة كما فى قوله تعالى: (من يعمل سوءا يجز به) وقد روى عن النبي ﷺ أنه فسر ذلك بأن المؤمنين يجازون بسيئاتهم فى الدنيا وتدخر لهم حسناتهم فى الآخرة فيوفون اجورهم، وأما الكافر فانه يعجل له فى الدنيا ثواب حسناته وتدخر له سيئاته فيعاقب بها فى الآخرة ويوفيه جزاءها من خير أو شر فالشر يجازى به مثله من

غير زيادة الا ان يعفو الله عنه. والخير تضاعف الحسنة عنه بعشرة امثالها إلى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة لا يعلم قدرها الا الله كما قال تعالى : (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) أفاده الحافظ ابن رجب *

وقوله « فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » أى فمن وجد مايثاب عليه من الخير فليحمد الله تعالى على توفيقه لطاعته وليعلم أنه من فضل الله ورحمته ، ومن وجد غير ذلك الخير - وهو الشر - أوما لاثواب عليه ولذا ورد « ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة الاعلى ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها » . فمن وجد غير محض الخير ولو لم يكن صريح الشر ينبغى أن يلوم نفسه فى مقام المراقبة وحال المحاسبة ولذا قال الشيخ البستى :

زيادة المرء فى دنياه نقصان   وربحه غير محض الخير خسران

فلا يلومن الا نفسه لبقائها على الظلمة الاصلية لها فآثرت شهواتها ومستلذاتها على رضا خالقها ورازقها فكفرت بنعمه ولم تذعن لحكمه فاستحقت أن يعاملها ربها بمقتضى عدله وأن يحرمها من أيادى كرمه وفضله *

ففى الحديث اشارة الى ان الخير كله فضل من الله على عبده من غير استحقاق له والشر كله من عند ابن آدم من اتباع هوى نفسه كما قال عز وجل : (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) فالله سبحانه وتعالى اذا أراد توفيق عبد وهدايته أعانه ووفقه لطاعته وكان ذلك فضلا منه ورحمة واذا أراد خذلان عبد وكله الى نفسه وخلى بينه وبينها فاغراه الشيطان لغفلته عن ذكر الله واتبع هواه وكان أمره فرطا وكان ذلك عدلا منه فان الحجة قائمة على العبد بانزال الكتب وارسال الرسل فما بقى لاحد من الناس على الله حجة بعد الرسل *

وقوله « ثمن وجد خيرا » الخ يحتمل ان يكون ذلك فى الدنيا . ويحتمل أن يكون ذلك فى الآخرة . أما الأول فيكون حينئذ مأمورا بالحمد لله على ماوجده من جزاء الأعمال الصالحة الذى عجل له فى الدنيا كما قال الله تعالى : (من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) . ويكون مأمورا بلوم نفسه على مافعلت من الذنوب التى وجد عاقبتها فى الدنيا كما قال تعالى : (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون) فالمؤمن اذا اصابه فى الدنيا بلاء رجع الى نفسه باللوم ودعاه ذلك الى الرجوع الى الله بالتوبة والاستغفار . روى الامام أحمد فى مسنده وابوداود فى سننه عن النبى ﷺ أنه قال « ان المؤمن اذا أصابه سقم ثم عافاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل من عمره وأن المنافق إذا مرض وعوفى كان كالبعير عقله أهله واطلقوه لايدرى بما عقلوه ولا بما اطلقوه » .

وان كان المراد الثانى كان أخبارا منه بأن الذين يجدون الخير فى الآخرة يحمدون الله على ذلك وان من وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه حين لاينفعه اللوم فيكون الكلام لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر كقوله ﷺ : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » ، والمعنى أن الكاذب عليه ﷺ يتبوأ مقعده من النار . وفى هذا الباب آيات واحاديث كثيرة فى هذا المعنى وفيما ذكرناه كفاية لمن القى السمع وهو شهيد والله اعلم .

٤٩ «إِنِّى لَأَهُمُّ بِأَهْلِ الْأَرْضِ عَذَاباً فَاذَا نَظَرْتُ إِلَى عُمَّارِ بيوتى وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ صَرَفْتُ عَذَابِى عَنْهُمْ» رواه البيهقى عن أنس

ش عمار البيوت تقدم الكلام عليه قبل وهم المصلون فى المساجد المحافظون على الصلوات فى الجماعات، والاسحار وقت السحر وهو اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى ليعزم بتعذيب المخالفين من اهل الارض بسبب ما ارتكبوه من الآثام والمعاصى فينظر الى المصلين وعمار بيوته والمستغفرين وقت السحر فيحمله على العفو فيصرف عذابه عنهم اكراما للمطيعين تفضلا منه واحسانا *

٥٠ «إِنِّى لَأَسْتَحِى مِنْ عَبْدِى وَأَمَتِى يَشِيبَانِ فِى الاسْلَامِ فَتَشِيبُ لِحْيَةُ عَبْدِى وَرَأْسُ أَمَتِى فِى الْإِسْلَامِ أُعَذِّبُهُمَا فِى النَّارِ بَعْدَ ذَلِكَ» رواه أبو يعلى عنه *

ش الشيب ابيضاض الشعر المسود والمراد به هنا -والله اعلم- بلوغ سن الكبر لان الانسان قد يشيب وهو حدث السن وليس مراداهنا . والامة المرأة : والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يستحى ان يعذب عبده وامته اذا شابا فى الاسلام فكيف لايستحى العبد والامة ان يعصيا الله وهما على هذه الحالة، ففيه توبيخ واستنكار فعل من هذا حاله * وذكر المدنى فى كتابه حديثا آخر ولفظه «وعزتى وجلالى وجودى وفاقة خلقى وارتفاعى وعز مكانى لاستحى من عبدى وامتى يشيبان فى الاسلام ثم بكى رسول الله ﷺ فقيل : يا رسول الله ما يبكيك ؟ قال . ابكى ممن يستحى الله منه

ولايستحى من الله» اخرجه ابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الزهد والرافعى عن أنس،وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات . والله اعلم

٥١ «إنِّى لَسْتُ عَلى كُل كَلَامِ الحَكِيمِ أُقْبِلُ ولَكِنْ أُقْبِلُ عَلى هَمِّهِ وَهَوَاه فِيمَا يُحِبُّ الله وَيَرضى جَعَلْتُ حِكْمَتَهُ حَمْداً لله وَوَقَاراً وإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ»

رواه ابن النجار عن المهاجر بن حبيب .

ش الحكيم قال صاحب النهاية : فعيل بمعنى فاعل أو هو الذى يحكم الاشياء ويتقنها فهو فعيل بمعنى مفعل،وقيل الحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة افضل الاشياء بافضل العلوم ، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم . اه وقيل : الحكمة عبارة تفيد أدبا أو عظة أو تجرى مجرى المثل ، والهوى مصدر هواه احبه، وشرعا ميل النفس الى مشتهيات الطبع دون مقتضيات الشرع ، والوقار- بفتح الواو- الحلم والرزانة والعظمة والمعنى أن الله سبحانه وتعالى لايقبل على كل كلام الحكيم لان فيه مايكون تبعا لهواه وحظه ومايكون تبعا لمرضاة الله جل ذكره وأمره فالله يقبل على كلامه اذا كان همه وهواه فيما يحبه الله ويرضاه وزيادة على ذلك فان الله تباركت اسماؤه يجعل حكمته حمد الله ويزينه بالوقار والعظمة والهيبة وان لم يتكلم بالحكمة ، وهذا دليل على أن الانسان مهما اتصف بالكمال والعقل والادب والحكمة وغير ذلك من الصفات الحميدة لاتحليه وتزينه وتورثه عظمة وحلما وعظة الا اذا كان يميل الى مايحبه الله جل اسمه بأن يفعل المأمورات ويجتنب المنهيات ويتبع الرسول فى كل ما دعا به من الاحكام والآداب والاخلاق . ولذلك ورد فى الحديث عن الرسول [illegible]

أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» . ولا شك أن المؤمن كامل الايمان لا يكون هواه الا تبعا لما جاء به الدين الحنيف . ولذلك كانت الصحابة رضوان الله عليهم افضل الخلق لما خصوا بالمزايا والصفات الكاملة اعلاها الميل الى ماجاءت به الشريعة السمحة التي ليلها كنهارها في الاضاءة والوضوح كان احدهم يقاتل اباه وابنه وهو في صف المؤمنين وهما في حيز الكافرين المشركين بذلوا - رضي الله عنهم - في طريقه مهجهم وانفقوا اموالهم فطوبى لهم ثم طوبى لهم فمن كان الهوى - وهو الباطل - المطاع المحبوب الاتباع تابعا لطرق الهدى من الملة البيضاء والسنة الزهراء حتى تصير همومه المختلفة وخواطره المتفرقة التي تنبعث من هوى النفس وميل الطبع هما واحدا يتعلق بامر ربه واتباع شرعه تعظيما لحقه وشفقة على خلقه كما قيل:

كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ رأتك العين أهوائي
وصار يحسدني من كنت أحسدهم وصرت مولى الورى إذ صرت مولائي
تركت للخلق دنياهم ودينهم شغلا بحبك يا ديني ودنيائي

فلا يميل الا بامر الشرع ولا يهوى الا حكم الطبع فهو المؤمن الكامل الوحيد الذي يقبل منه التوحيد . ومن اعرض عنه متبعا لهواه مبتغيا لرضاه فهو الكافر الخاسر في دنياه وعقباه ومن اتبع اصول الشريعة دون فروعها فهو الفاسق ومن عكس فهو المنافق والله اسأل هداية الامم اجمع الى اتباع الدين الاسلامي والاخذ بمباديه والتحلي بمحاسنه *

قال الحافظ زين الدين ابن رجب : فجميع المعاصي انما تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه فقال تعالى : (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) ، وكذلك البدع انما

تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمى اهلها اهل الاهواء، وكذلك المعاصى انما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ورسوله ومحبة مايحبه، وكذلك حب الاشخاص الواجب فيه أن يكون تبعا لما جاء به الرسول ﷺ فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والانبياء والصديقين والشهداء والصالحين عموما ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الايمان ان يحب المرء لايحبه الا لله وتحريم موالاة اعداء الله وما يكرهه الله عموما اه والله أعلم *

٥٢ «إِنِّي وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِي» رواه البيهقى، والحاكم عن معاذ. والديلمى وابن عساكر عن أبى الدرداء *

ش اصل الجن - بفتح الاول - ستر الشيء عن الحاسة يقال جنه الليل واجنه وجن عليه فجنه واجنه جعل له مايجنه كقولك قبرته واقبرته وسقيته واسقيته، وجن عليه كذا ستر عليه، قال الراغب: والجن - بكسر اوله - يقال على وجهين: احدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بازاء الانس فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة، وعلى هذا قال ابو صالح: الملائكة كلها جن وقيل: بل الجن بعض الروحانيين وذلك أن الروحانيين ثلاثة. أخيار وهم الملائكة واشرار وهم الشياطين واوساط فيهم اخيار واشرار وهم الجن، ويدل على ذلك قوله تعالى: (قل أوحى الى - الى قوله عز وجل - وانا منا المسلمون ومنا القاسطون) * والانس البشر أو خلاف الجن والملك. وسمى الانسان بذلك لانه خلق خلقة لاقوام له الا بانس بعضهم ببعض ولهذا قيل: الانسان

مدنى بالطبع من حيث انه لاقوام لبعضهم الا ببعض ولا يمكنه أن يقوم بجميع اسبابه . وقيل سمى بذلك لانه عهد إليه فنسى *

﴿والنبأ﴾ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر فى الاصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ، وحق الخبر الذى يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر . وخبر الله تعالى.وخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال: أنبأته بكذا كقولك أخبرته بكذا، ولتضمنه معنى العلم قيل :انبأته كذا كقولك: أعلمته كذا قال الله تعالى فى كتابه الحكيم: (قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون) وقال : (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) والله أعلم أفاده الراغب *

والمعنى أن الله جل جلاله مع خلقه من أنس وجن فى نبأ وخبر عظيم وعجب عجاب فالله يخلق الخلق من عباد وجماد وشجر وحيوان ويقدر لهم الآجال والأرزاق ويعبدون غيره من صنم ووثن وحجر ونار وشمس وقمر وهوى وشيطان والله يسدى نعمه على خلقه ويشكرون غيره ولا ينظرون إلى نعمائه أن هذا العمل لفعل مستبعد عند العقلاء ومنكر فظيع عند أهل الذكاء فهل يليق بعاقل أن يمرح فى نعماء مولاه ، ولا يعبده، وهل يستحسن ممن عرف يمينه من شماله وميز بينهما أن يرتع فى رزق الله جل ثناؤه ولا يشكره بل يشكر غيره إن هذا لبهتان عظيم *

وقوله: «رواه البيهقى » الخ البيهقى هو الامام الحافظ. أبو بكر أحمد بن الحسين بن على الذى قيل فى وصفه: مامن شافعى الا وللشافعى فضل عليه غير البيهقى فان له المنة والفضل على الشافعى لكثرة تصانيفه فى نصرة مذهبه وبسط موجزه وتأييد آرائه، توفى رحمه الله تعالى سنة ٤٥٨ هـ * والحاكم هو الامام الحافظ المحيط بالسنة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي

الطهمانى النيسابورى الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيع؛ وهو من المؤلفين العظام له المستدرك وتاريخ نيسابور. والاكليل والامالى وغير ذلك من نفائس الكتب أخذ العلم عن الفى شيخ توفى سنة ٤٠٥ *

والديلمى نسبة الى ديلم وهى بلاد معروفة، وهو الامام الحافظ شهردار ابن شيرويه الهمذانى المتوفى سنة ٥٥٨ هـ قال الحافظ عبد الرءوف المناوى فى شرحه -الجامع الصغير- مسند الفردوس المسمى بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب، والفردوس للامام عماد الاسلام أبى شجاع الديلمى الفه محذوف الأسانيد مرتباً على الحروف ليسهل حفظه وأعلم بازائها بالحروف للمخرجين ومسنده لولده سيد الحفاظ ابى منصور ابن شيرويه، خرج مسند كل حديث تحته وسماه ابانة الشبه فى معرفة كيفية الوقوف على مافى كتاب الفردوس من علامات الحروف اهـ

وابن عساكر هو الامام الحافظ الكبير فخر الامة ثقة الدين ابو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقى الشافعى صاحب التصانيف المفيدة النافعة كتاريخ دمشق والاطراف المتوفى سنة ٥٧١ هـ *

٥٣ «أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا اسْماً من اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُه وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُه وَمَن بَتَّهَا بَتَتُّه إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» رواه أحمد. والبخارى. وأبو داود. والترمذى. وابن حبان والحاكم. والبيهقى عن ابن عوف. والحاكم. والخرائطى، والخطيب عن أبى هريرة.

ش- الرحم - بفتح الراء وكسر الحاء المهملة - يطلق على الاقارب وهم من بينه وبين الآخر نسب سواء كان يرثه أم لا سواء كان ذا محرم أم لا ، وقيل : هم المحارم فقط ، والاول هو المرجح لان الثانى يستلزم خروج أولاد الأعمام، وأولاد الاخوال من ذوى الارحام، وليس كذلك.

ووصل الرحم كناية عن الاحسان إلى الاقربين من ذوى النسب والاصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لاحوالهم ، وكذلك إن بعدوا أو اساءوا، وقطع الرحم ضد ذلك كله ، يقال: وصل رحمه يصلها وصلا وصلة والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة فكأنه بالاحسان اليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر ، ومعنى شققت لها اسما من اسمى اى اخرجت واخذت لها اسماً من اسمى الرحمان فلها به علقة .

وقوله: «ومن ثبتها ثبته» هو من التثبيت وهو بمعنى وصلها وفيه تكرار مع ماقبله وفى نسخة «ومن بتها» بالباء الموحدة من البت وهو القطع وهى موافقة لما فى كتاب الاتحافات السنية للمدنى والله اعلم .

ففى الحديث تعظيم امر صلة الرحم، والعطف عليهم وتفقد احوالهم وكل شخص بحسب ما يليق بحاله ، قال القرطبى: الرحم التى توصل عامة وخاصة فالعامة رحم الدين وتجب مواصلتها بالتوادد والتناصح والعدل والانصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة ، وأما الرحم الخاصة فبتزيد النفقة على القريب وتفقد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم، وتتفاوت مراتب استحقاقهم فى ذلك ، قال الامام الحافظ ابن أبى جمرة: تكون صلة الرحم بالمال وبالعون على الحاجة وبدفع الضرر وبطلاقة الوجه وبالدعاء والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة ، وهذا انما يستمر اذا كان أهل الرحم أهل استقامة فان كانوا كفاراً أو فجاراً فمقاطعتهم فى الله هى صلتهم بشرط بذل الجهد فى وعظهم ثم اعلامهم اذا

صروا ان ذلك بسبب تخلفهم عن الحق ولا تسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا الى الطريق المثلى والله اعلم ٭

وقد جاء فى كثير من الاحاديث أن صلة الأرحام من أفضل الأعمال، منها مارواه الامام احمد فى مسنده من حديث معاذ بن انس الجهنى عن النبى ﷺ قال: «افضل الفضائل ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عمن شتمك» وروى الحاكم من حديث عقبة بن عامر الجهنى قال: قال لى رسول الله ﷺ: «ياعقبة ألا أخبرك بأفضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك» ٭

وقول المصنف: رواه احمد والبخارى اى رواه أحمد فى المسند والبخارى فى الأدب المفرد وعزا هذا الحديث الحافظ ابن حجر فى الفتح الى اصحاب السنن ٭

واحمد رحمه الله تعالى هو الامام الحافظ الورع الزاهد المجتهد رأس أهل السنة والجماعة ومؤسس المذهب الحنبلى من اجمعت الامة على جلالته وامانته وحفظه واتقانه شيخ الأسلام ابو عبدالله احمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ ٭ وقوله «البخارى» هو الامام الحافظ أمير المؤمنين فى الحديث وقائد علمه من اجمعت الأئمة على توثيقه وامانته وتبحره ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى المتوفى سنة ٢٥٦، وأغلب مايعزى اليه فى هذا الكتاب هو الى صحيحه وجامعه ٭ وابو داود هو الامام الورع المتقن الحافظ سليمان بن الاشعث السجستانى صاحب السنن المتوفى سنة ٢٧٥ ٭ والترمذى هو الحافظ الزاهد الورع الامام ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى صاحب السنن والعلل المتوفى سنة ٢٦٧ ٭ وابن حبان هو الامام الحافظ العلامة ابو حاتم محمد ابن حبان بن احمد بن حبان بن معاذ التميمى البستى صاحب التصانيف

العظيمة المتوفى سنة ٣٥٤ ۝ والخرائطى هو الامام الحافظ ابو بكر محمد بن جعفر السامرى المتوفى سنة ٣٢٧ وكتابه هذا الذى روى فيه هذا الحديث اسمه مساوى الاخلاق نص على ذلك محمد المدنى فى كتابه ۝ والخطيب هو الامام الحافظ المصنف المؤرخ محدث الشام والعراق ابو بكر احمد بن على بن ثابت بن احمد بن مهدى البغدادى المتوفى سنة ٣٦٤ ۝

٥٤ « أَنَا اللّٰهُ خَلَقْتُ الْعِبَادَ بِعِلْمِي فَمَنْ أَرَدْتُ بِهِ خَيْراً مَنَحْتُهُ خُلُقاً حَسَناً وَمَنْ أَرَدْتُ بِهِ سُوءاً مَنَحْتُهُ خُلُقاً سَيِّئاً » رواه ابو الشيخ عن ابن عمر *

ش الخلق - بضم الخاء المعجمة وضم اللام - السجية والعادة والطبيعة والدين والمروءة ، وجمعه اخلاق، قال صاحب النهاية : وحقيقته انه لصورة الانسان الباطنة وهى نفسه واوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة واوصافها ومعانيها ولهما اوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب مما يتعلقان باوصاف الصورة الباطنة اكثر مما يتعلقان باوصاف الصورة الظاهرة ولذا تكررت الاحاديث فى مدح حسن الخلق فى غير موضع كقوله ﷺ : « أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق » وقوله : « أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً » وقوله : ان العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » وقوله : « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » وأحاديث من هذا النوع كثيرة ، وكذلك جاء فى ذم سوء الخلق أحاديث كثيرة ، وفى حديث عائشة « كان ﷺ خلقه القرآن » أى كان متمسكا بآدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف ، وفى حديث عمر « من

تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله أى تكلف أن يظهر من خلقه خلاف ما ينطوى عليه مثل تصنع وتجمل إذا أظهر الصنيع والجميل ه

وقد روى عن السلف فى تفسير حسن الخلق اقوال نسال الله تعالى أن يكمل أخلاقنا به، روى عن الحسن أنه قال: حسن الخلق الكرم والبذلة والاحتمال، وعن الشعبى قال: حسن الخلق البذلة والعطية والبشر الحسن. وكان الشعبى رضى الله عنه كذلك ، وعن ابن المبارك قال: هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى ، وسئل سلام بن مطيع عن حسن الخلق فأنشد شعراً :

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله
ولو لم يكن فى كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله
هو البحر من أى النواحى أتيته فلجته المعروف والجود ساحله

وقال الامام أحمد: حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحقد ، وعنه أنه قال حسن الخلق أن تحتمل مايكون من الناس، وقال اسحق بن راهويه هو بسط الوجه وأن لا تغضب ونحو ذلك، قال محمد بن نصر وقال بعض أهل العلم حسن الخلق كظم الغيظ لله واظهار الطلاقة والبشر الا للمبتدع والفاجر والعفو عن الزالين الا تأديباً واقامة لحد وكف الاذى عن كل مسلم ومعاهد الا تغيير منكر وأخذاً بمظلمة لمظلوم من غير تعده وقوله «منحته» أى اعطيته ه

والمعنى أن الله جل جلاله يخبرنا انه الله تعالى خاق الخلق بعلمه لا يعزب عن علمه شىء فى - السموات ولا فى الارض - فمن اراد به خيراً من الناس منحه واعطاه خلقا حسنا فيستعمل خلقه الحسن فى معاملاته بينه وبين اخوانه المخلوقين فلا يوصل اليهم اذى بل يسعى لمنفعتهم اينما وجدوا وحيث كانوا، ومن أراد الله به سوءا منحه واعطاه خلقا سيئا فيستعمله بينه وبين المخلوقات فتصدر عنه المساوى والنقائص والاضرار بالناس فتجد غالب افعاله

واكثر عمله فى غير منفعة وثمرة مفيدة ارجو الله سبحانه وتعالى أن يهدينا لطرق السداد ويسهل لنا مناهج الخير والفلاح * وقوله « رواه ابو الشيخ » هو الامام حافظ اصبهان ومسند زمانه أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر ابن حيان - بالحاء المهملة والياء التحتية - الانصارى صاحب المصنفات النافعة ويعرف بابى الشيخ المتوفى سنة ٣٦٩ وهو غير ابن حبان - بالباء الموحدة - *

٥٥ « أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا خَلَقْتُ الشَّرَّ وَقَدَّرْتُهُ فَوَيْلٌ لِمَنْ خَلَقْتُ لَهُ الشَّرَّ وَأَجْرَيْتُ الشَّرَّ عَلَى يَدَيْهِ » رواه ق عن أبى أمامة *

ش الشر السوء والفساد والظلم، والجمع شرور، ومقابله الخير، قال الراغب الاصفهانى. الشر الذى يرغب عنه الكل كما ان الخير هو الذى يرغب فيه الكل كالعقل مثلا والعدل والفضل والشىء النافع، وقال العلامة ابو بكر بن قيم الجوزية الشر يقال على شيئين على الالم وعلى ما يفضى اليه وليس له مسمى سوى ذلك. فالشرور هى الآلام واسبابها فالمعاصى والكفر والشرك وانواع الظلم هى شرور وان كان لصاحبها فيها نوع غرض ولذة لكنها شرور لانها اسباب الآلام ومفضية اليها كافضاء سائر الاسباب الى مسبباتها فترتب الالم عليها كترتب الموت على تناول السموم القاتلة وعلى الذبح والاحراق بالنار والخنق بالحبل وغير ذلك من الأسباب التى تصيبه مفضية إلى مسبباتها ولابد مالم يمنع السببية مانع أو يعارض السبب ما هو اقوى منه واشد اقتضاءاً لضده كما يعارض سبب المعاصى قوة الايمان وعظمة الحسنات الماضية وكثرتها فيزيد فى كميتها وكيفيتها على اسباب العذاب فيدفع الأقوى للاضعف وهذا شأن جميع الاسباب المتضادة كاسباب الصحة والمرض واسباب الضعف والقوة * والشر يضاف إلى الله جل ذكره ايجاداً وخلقاً لا فعلا وصفة والى الخالق فعلا

وصفة لا خلقا وإيجاداً والشر مسند الى المخلوق المفعول لا الى خالق الرب تعالى الذي هو فعله وتكوينه فانه لا شر فيه بوجه ما فان الشر لا يدخل في شيء من صفاته ولا في افعاله كما لا يلحق ذاته تبارك وتعالى فان ذاته لها الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه واوصافه كذلك لها الكمال المطلق والجلال التام ولا عيب فيها ولا نقص بوجه ما وكذلك افعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها أصلا ولو فعل الشر سبحانه لاشتق له منه اسم ولم تكن اسماؤه كلها حسنى ولعاد اليه منه حكم تعالى وتقدس عن ذلك، وما يفعله من العدل بعباده وعقوبة من يستحق العقوبة منهم هو خير محض اذ هو محض العدل والحكمة وانما يكون شرا بالنسبة اليهم فالشر وقع في تعلقه بهم وقيامه بهم لا في فعله القائم به تعالى .

ونحن لا ننكر ان الشر يكون في مفعولاته المنفصلة فانه خالق الخير والشر ولكن هنا امران ينبغي أن يكونا منك على بال ، أحدهما ان ماهو شر أو متضمن للشر فانه لا يكون الا مفعولا منفصلا لا يكون وصفا له ولا فعلا من افعاله ، الثاني ان كونه شرا هو امر نسبي اضافي فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه به وشر من جهة نسبته الى من هو شر في حقه فله وجهان هو من احدهما خير وهو الوجه الذي نسب منه الى الخالق سبحانه وتعالى خلقا وتكوينا ومشيئة لما فيه من الحكمة البالغة التي استأثر بعلمها او اطلع من شاء من خلقه على ماشاء منها ؛ واكثر الناس تضيق عقولهم عن مبادي معرفتها فضلا عن حقيقتها فيكفيهم الايمان المجمل بأن الله سبحانه الغني الحميد وفاعل الشر لا يفعله لحاجته المنافية لغناه اولنقصه وعيبه المنافي لحمده فيستحيل صدور الشر من الغني الحميد فعلا وان كان هو الخالق للخير والشر وقد عرفت ان كونه شرا هو امر اضافي وهو في نفسه خير من جهة نسبته الى خالقه ومبدعه فلا تغفل عن هذا الموضع فانه يفتح لك بابا عظيما

من معرفة الرب ومحبته ويزيل عنك شبهات حارت فيها عقول اكثر الفضلاء اه ٭

وانظر الى كلام صاحب الشريعة الغراء صلوات الله وسلامه عليه كيف نزه ربه ومولاه عن ذلك بقوله « لبيك وسعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك » قال العلامة ابو السعادات الحافظ مجد الدين ابن الاثير فى هذا الحديث : وهذا الكلام ارشاد الى استعمال الادب فى الثناء على الله تعالى وان تضاف اليه محاسن الاشياء دون مساويها وليس المقصود نفى شيء عن قدرته واثباته لها فان هذا فى الدعاء مندوب اليه يقال يارب السماء والأرض ولا يقال يارب الكلاب والخنازير وان كان هو ربها ومنه قوله تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) اه

وقوله « وقدرته » من التقدير وهو الحكم من الله سبحانه وتعالى بأن يكون كذا اولا يكون كذا ، والقدر بفتح الدال واسكانها لغتان مشهورتان حكاهما ابن قتيبة عن الكسائى وقالها غيره ، وهو اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال : قدرت الشيء وقدرته - بالتخفيف والتثقيل - بمعنى واحد

قال الامام العلامة محي الدين النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم : واعلم ان مذهب اهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تبارك وتعالى قدر الأشياء فى القدم وعلم سبحانه انها ستقع فى اوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى ، وانكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالى بها وانها مستأنفة العلم - أى انما يعلمها سبحانه بعد وقوعها - وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن اقوالهم الباطلة علوا كبيرا ، وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر ، قال اصحاب المقالات من

المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق احد من اهل القبلة عليه وصارت القدرية فى الأزمان المتأخرة تعتقد اثبات القدر ولكن يقولون: الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم والله اعلم *

واعلم ان العبد وان كان فى الواقع مقدر عليه فعل المعصية ولابد من وقوعه البتة الا انه لم يفعله ولم يقدم على فعله انجازاً لذلك وامتثالا لما قدر عليه بل فعل ذلك مختارا ظاهرا ميالا لما تهواه نفسه وشهواته لذلك كان مسؤلا عنه ومعاقبا عليه؛ قال العلامة ابو بكر بن قيم فى فوائده: رب حقر ارادة امرء بدا ذا ارادة فان وفقه واراد من نفسه ان يعينه ويلهمه فعل ما أمر به وان خذله وخلاه وارادته ونفسه من هذه الحيثية لايختار الا ما تهواه نفسه وطبعه فهو من حيث هو انسان لايريد الا ذلك ولذلك ذمه الله تعالى فى كتابه من هذه الحيثية ولم يمدحه الا بأمر زائد على تلك الحيثية وهو كونه مسلما ومؤمنا وصابرا ومحسنا وشكورا وتقيا وبرا ونحو ذلك، وهذا امر زائد على مجرد كونه انسانا وارادته صالحة ولكن لايكفى مجرد صلاحيتها أن لم تؤيد بقدر زائد على ذلك وهو التوفيق كما أنه لايكفى فى الرؤية مجرد صلاحية العين للادراك ان لم يحصل سبب آخر من النور المنفصل عنها.

وقوله: «فويل» قال الأصمعى: ويل قبح وقد يستعمل على التحسر، ومن قال ويل واد فى جهنم فانه لم يرد ان ويلا فى اللغة هو موضوع لهذا وانما أراد من قال الله تعالى ذلك فيه فقد استحق مقرا من النار وثبت ذلك له *

وقوله: «واجريت الشر على يديه» أى أظهرته على يديه؛ وقوله «رواه حق» القاف اشارة الى البيهقى وقد تقدمت ترجمته قريبا والله أعلم *

٦٥ « أَنَا اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا مَالِكُ الْمُلْكِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ قُلُوبُ الْمُلُوكِ فِي يَدِي وَإِنَّ الْعِبَادَ إِذَا أَطَاعُونِي حَوَّلْتُ قُلُوبَ مُلُوكِهِمْ عَلَيْهِمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَإِنَّ الْعِبَادَ إِذَا عَصَوْنِي حَوَّلْتُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْهِمْ بِالسَّخَطِ وَالنِّقْمَةِ فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ فَلَا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالدُّعَاءِ عَلَى الْمُلُوكِ وَلَكِنِ اشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالتَّقَرُّبِ أَكْفِكُمْ مُلُوكَكُمْ » رواه الطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء ☼

ش قوله « مالك الملك » وفى نسخة المدنى « ملك الملك » وهو تحريف، قال العلامة شهاب الدين الالوسى فى تفسير قوله تعالى: (قل اللهم مالك الملك): الملك بالضم ـ على ماذكره بعض ائمة التحقيق نسبة بين من قام به ومن تعلق وان شئت قلت: صفة قائمة بذاته متعلقة بالغير تعلق التصرف التام المقتضى استغناء المتصرف وافتقار المتصرف فيه ولهذا لم يصح على الاطلاق الا لله تعالى جده وهو اخص من الملك ـ بالكسر لانه تعلق باستيلاء مع ضبط وتمكن من التصرف في الموضوع اللغوى وبزيادة كونه حقا فى الشرع من غير نظر الى استغناء وافتقار فمالك الملك هو الملك الحقيقى المتصرف بما شاء كيف شاء ايجاداً وإعداما احياءاً وإماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع ولهذا لا يقال مالك الملك الاعلى ضرب من التجوز. وحمل الملك على هذا المعنى أوفق بمقام المدح اه والملك ـ بفتح الميم وكسر اللام وتخفف ـ من تولى السلطنة وجمعه ملوك وقوله « حولت » بالحاء المهملة أى غيرت

وحركت. والسخط - بفتح السين وضمها - الغضب الشديد المقتضى للعقوبة . والنقمة بكسر النون - العقوبة . والسوم أصله الذهاب للطلب ويستعمل للذهاب وحده تارة ومنه السائمة وللطلب أخرى ومنه السوم فى البيع ويقال سامه كلفه العمل الشاق . والسوء مصدر ساء يسوء ويراد به الشىء ويستعمل فى كل مايقبح كأعوذ بالله تعالى من سوء الخلق . وسوء العذاب أفظعه واشده بالنسبة الى سائره *

والمعنى أن الله تباركت اسماؤه وتنزهت صفاته يخبر نا انه مالك الملك وملك الملوك ليس لاحد تصرف فى الحقيقة وانما المتصرف فى الملك والملكوت هو الله وحده فاذا سكنت الرعية الى ماجاءت به الأنبياء وعملوا بقوانين الشريعة وتمسكوا بمبادئها واظهروا العدل والمساواة فرحم الكبير الصغير ووقر الصغير الكبير ووصلوا الارحام واعانوا المظلومين على خصومهم وضربوا على أيدى الظالمين بسياط من حديد حتى يفيئوا الى الحق ويتوبوا وينوبوا الى الله جل ذكره فاذا فعلوا ذلك حركت قلوب ملوكهم عليهم وهديتها ووفقتها للعطف على الرعية والرحمة بعبادى الصالحين المطيعين فلا يرى الملك أو السلطان له لذة الا السهر على رعيته والنظر فى مصالحهم ومنافعهم والأمن على ارواحهم واموالهم ويراقب العدو ويستعد له ولا يغفل عنه فهمه راحة الرعية واطمئنانها . وان العباد اذا عصوا الله تعالى وخالفوا سنن رسله وانبيائه وعبثوا بالاحكام واظهروا الفسوق والفواحش وتعاملوا بالربا وفشا الزنا وحقر صغيرهم كبيرهم ولم يرحم كبيرهم صغيرهم وترك علماؤهم الوعظ والتذكير وصار اكبر همهم جمع الاموال التى هى حطام الدنيا وغفلوا عن مصيرهم وما لهم حرك الله عليهم قلوب ملوكهم بالغضب عليهم والتنكيل بهم فلا يلذ لملكهم الا ما يؤذيهم ويضر بمصالحهم ومنافعهم كما أخبر الله تعالى

فى القرآن الحكيم بقوله (واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم)
واذا علموا عبادى ذلك ـ اى ان كل شىء من حركة وسكون بيدى وكل ما يقع فى ملكى ـ فانا المتصرف فيه المنفرد بخلقه وايجاده لا يشاركنى أحد فيه فلا تشغلوا انفسكم بالدعاء على الملوك اذا فعلوا ذلك بكم من سيئات الاعمال وقبائح الاقوال والتنكيل بكم وهضم حقوقكم واستيلاء قويكم على ضعيفكم والاستبداد بكم وحبس حريتكم وغصب اموالكم لانه لا ينفعكم الدعاء ولا ينصركم رب الارض والسماء لانه لا فعل لملككم وسلطانكم ولا قدرة له على ذلك حقيقة بل أنا الله الذى أقدرته على ذلك وسلطته عليكم بحسب اعمالكم السيئة ومخالفتكم لاحكامى وخروجكم على امنائى وعدم امتثالكم قوانين شرعى واخذكم بسنن انبيائى والذى ينفعكم ويدفع عنكم ما انتم فيه هو الانابة الى والتوبة عما اقترفتموه من الذنوب والمعاصى واخلاص نياتكم فى اعمالكم ورد المظالم الى اهلها واطاعة انبيائكم وامتثال اوامر علمائكم اهل التقوى والصلاح وتشييد دعائم شريعتكم باظهارها والعمل باحكامها وشغل انفسكم بما لا يعنيكم بل اشغلوا انفسكم بالذكر الكثير الوارد عن النبى ﷺ الثابت بالاحاديث الصحيحة دون وراد المشايخ ارباب الطرق القاطعة عنى وتقربوا الى بالأعمال الصالحات كفكم ملوككم السوء واعصمكم من العدو واغدق عليكم الخيرات والارزاق اوفقكم للمبرات وابارك لكم فى الاولاد والأموال ٭ واذا عرفت هذا علم ان ما حصل للمسلمين من التقهقر والانحطاط فى جميع الحالات انما هو سبب ما وقع منهم من المخالفات وتقليد الاوربيين فى مساويهم من الشرور والفسوق والخلاعة وخروجهم عن احكام شريعتهم الغراء وعدم تأسيهم بسيد الأنبياء والأولياء واظهار محاسن دينهم القويم وكله حسن لا سيء فيه ـ

على الاطلاق كما هو ظاهر فى القرآن الحكيم وسنن من بالمؤمنين رؤف رحيم اللهم اهد امراءنا وعلماءنا ووفقهم لما يرضيك يارب العالمين *

وقوله « رواه الطبرانى » هو الامام الحافظ الحجة المتقن ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير الشامى اللخمى الطبرانى المتوفى سنة ٣٦٠ ، وقوله « فى الأوسط » هو اسم كتاب له فى الحديث يسمى المعجم الاوسط وله المعجم الكبير والصغير والاخير طبع فى الهند سنة ١٣١١ هـ ، وانظر الكلام على المعاجم فى كتابنا النموذج صفحة ٥٥ تجد ما يسرك *

٥٧ « أَنَا العَزِيزُ مَنْ أَرَادَ عِزَّ الدَّارَيْنِ فَلْيُطِعِ العَزِيزَ » رواه الخطيب البغدادى عن أنس *

ش العزيز من عز الشىء يعز - بكسر العين - أى لا مثل له ولا نظير من عز الطعام فى البلد اذا تعذر وجوده عند الطلب ، أو من عز يعز - بضم العين - بمعنى الغالب الذى لا يغلب ويقهر ولا يقهر ، أو من عز يعز - بفتح العين - اذا اشتد وقوى ، أو يكون عزيز بمعنى المعز فعيل بمعنى مفعل كالاليم بمعنى المؤلم والوجيع بمعنى الموجع . وعلى الاول فلفظ العزيز يرجع الى التنزيه ، والثانى والثالث الى صفات الذات وهى القدرة ، والرابع الى صفات الفعل . ومنه العزة وهى حالة مانعة الانسان من أن يغلب . ومدح الله سبحانه وتعالى بالعزة تارة وذم بها تارة أخرى . فمن الأول قوله تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) وقال تعالى : (سبحان ربك رب العزة) ومن الثانى قوله تعالى : (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) وبيان ذلك أن العزة التى هى لله جل وعلا ولرسوله ﷺ وللمؤمنين رضوان الله عليهم هى الدائمة الباقية التى هى العزة الحقيقية . والعزة التى هى للكافرين

والمخالفين هى التعزز وهو فى الحقيقة ذل كما قال عليه الصلاة والسلام « كل عز ليس بالله فهو ذل » *

قال الامام ابو حامد الغزالى فى كتابه المقصد الاسنى شرح اسماء الله الحسنى : العزيز هو الذى يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فما لم تجتمع هذه المعانى الثلاثة فيه لم يطلق عليه اسم العزيز فكم من شىء يقل وجوده ولكن لا يحتاج اليه فلا يسمى عزيزا، وقد يكون بحيث لا مثل له ويحتاج اليه جداً ولكن يسهل الوصول اليه فلا يسمى عزيزا كالشمس فانه لا مثل لها والانتفاع بها عظيم جداً ولكنها لا توصف بالعزة فانه لا يصعب الوصول اليها فأما اذا اجتمعت المعانى الثلاثة فى شىء فهو العزيز ثم فى كل واحد من هذه المعانى الثلاثة كمال ونقصان فالكمال فى قلة الوجود أنه يرجع الى واحد اذ لا اقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله وليس هذا الا لله فان الشمس وان كانت واحدة فى الوجود ولكنها ليست واحدة فى الامكان لانه يمكن وجود مثلها . وأما كونه منتفعا به فالكمال فيه ان يكون جميع المنافع حاصلة منه ولا يحصل من غيره وماذاك الالله سبحانه وتعالى فانه هو المبدىء لوجود جميع الممكنات فانه سبحانه هو الذى يحتاج اليه كل شىء فى ذاته وصفاته وبقائه، اما صعوبة الوصول اليه فالكمال فيه هو ان لا يكون لاحد قدرة عليه وتكون قدرته على الكل حاصلة والحق كذلك لانه لا سبيل للعقول الى الاحاطة بكنه صمديته ولا سبيل للابصار الى الاحاطة بعظيم جلاله ولا سبيل لاحد من الخلق الى القيام بشكر آلائه ونعمائه ، فثبت أن كمال هذه الصفات حاصلة لله سبحانه وتعالى لا لغيره فوجب القطع بأنه سبحانه وتعالى هو العزيز المطلق * والله اعلم *

والمعنى ان الله جل ذكره يخبرنا انه العزيز الغالب الذى لا يغلبه أحد

ولا يقهره شيء بل هو القاهر فوق عباده يفعل مايشاء ؛ ومن اراد من عباده عز الحياة الدنيا والآخرة فليطعه يكن عزيزا قويا غالبا وذلك بان يجتنب المنهيات ويفعل المأمورات ولا يقول الا خيراً ، اللهم وفقنا لذلك واهد العصاة من عبيدك يارب *

٥٨ « أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ » رواه مسلم وابن ماجه عن ابى هريرة *

٥٩ « أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ » رواه مسلم. وابن ماجه عن ابى هريرة » *

ش الغنى - بكسر الغين المعجمة مقصورا - يقال على اضرب ، احدها عدم الحاجات والفاعل منه هو الذى لايحتاج الى أحد فى شيء وكل أحد يحتاج اليه وهذا هو الغنى المطلق ولا يشارك الله فيه غيره ، ومنه قوله تعالى: (والله هو الغنى الحميد)، والثانى قلة الحاجات وهو المشار اليه بقوله تعالى: (ووجدك عائلا فأغنى) وذلك هو المذكور فى قوله عليه الصلاة والسلام: «الغنى غنى النفس »، والثالث كثرة القينات بحسب ضروب الناس كقوله جل ذكره: (ومن كان غنيا فليستعفف) وعلى هذا قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما ارسله الى اليمن فى شأن الصدقة « تؤخذ من اغنيائهم وترد فى فقرائهم »، ولفظ « اغنى » أفعل تفضيل أى اكثر غنى من غيره وليس على بابه اذ لا غنى غيره فى الحقيقة بل الكل محتاج اليه *

والشركاء جمع شريك، ومن هذه المادة الشركة والمشاركة وهو خلط الملكين، وقيل هو ان يوجد شيء لاثنين فصاعدا عينا كان ذلك الشيء أو معنى كمشاركة

الانسان والفرس فى الحيوانية، ومشاركة فرس وفرس فى الكمتة والدهمة *

قال الراغب : وشرك الانسان فى الدين ضربان ، احدهما الشرك العظيم وهو اثبات شريك لله تعالى يقال اشرك فلان بالله وذلك اعظم كفر قال الله تعالى : (ان الله لا يغفران بشرك به) وقال تعالى : (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) وقال تعالى : (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا) وقال تعالى : (سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا) *

والثانى الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله معه فى بعض الامور وهو الرياء والنفاق المشار اليه بقوله : (شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون - ومايؤمن اكثرهم بالله الاوهم مشركون) *

وقوله « برىء » اسم فاعل اى خالص ومفارق وسالم منه يقال : برئت من الشىء ابرأ براءة وانا منه برىء إذا ازلته عن نفسك وقطعت سبب ما بينك وبينه ، قال ابن الأعرابى : البرىء المتفصى من القبائح المتنحى عن الباطل والكذب البعيد من التهم النقى القلب من الشرك ، والبرىء الصحيح الجسم والعقل ، والمعنى والله اعلم ان هذا الفعل الذى اتصف به العبد وصدر منه لا يرضى به الله تبارك وتعالى بل يسخطه ، وقوله فى الحديث الثانى « تركته وشركه » الشرك هنا بمعنى العمل والواو عاطفة بمعنى مع اى اجعله وعمله مردودا من حضرتى *

والمعنى ان الله سبحانه وتعالى اخبر انه اغنى الشركاء عن الشرك اى لا يصح ان يكون له شريك فاذا كان بعض الشركاء غنى عن الشركاء فالله اغنى عن ذلك وابعد فاذا عمل العبد عملا فواجب عليه ان يخلص فيه لله جل ذكره ولا يشرك فيه غيره جل وعز فاذا اشرك العبد بعمله غير الله تعالى فهو مردود

عليه ذلك العمل والله تعالى برىء من عمله ذلك وعمل العبد الذى اشرك فيه غير الله فيطلب جزاءه من الشريك الذى اشركه مع الله تعالى فى عمله وأنى له ذلك ، ففيه حث العباد ان يخلصوا فى أعمالهم ليكون العمل مقبولا ويثاب عليه ويكون ذخراله في يوم هواحوج مايكون اليه ، وفيه ايضا بيان غنى الله تعالى وانه اغنى الاغنياء بل جميع الاغنياء محتاجون اليه فهو الغنى المطلق وغيره فقير اليه فلاينبغى للعبد ان يطلب او يعمل شيئا الا لله جل اسمه وتعالت صفاته والله اعلم ٠

وقوله «رواه مسلم» هو الامام الحافظ الحجة صاحب الصحيح - الذى هو اصح دواوين الاسلام فى الحديث بعد صحيح البخارى ، وانظر الكلام على صحيحه فى كتابنا - نموذج من الاعمال الخيرية فى ادارة الطباعة المنيرية - صفحة ٥٧٢ - ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى المتوفى سنة ٢٦١ هـ ٠

وابن ماجه هو الحافظ الكبير والمؤلف القدير الامام الحافظ ابو عبدالله محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجه الربعى صاحب السنن والتفسير والتاريخ المتوفى لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومأتين ٠

٦٠ انَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَالَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ فَاذَا خَانَهُ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا » رواه ابو داود والحاكم عن ابى هريرة ٠

ش الشركة فيها اربعة لغات فتح الشين وكسر الراء وكسر الشين وسكون الراء وقد تحذف الهاء مع ذلك ، وهى لغة الاختلاط وشرعا ثبوت الحق فى شىء لاثنين فاكثر على جهة الشيوع ، وقد تحدث الشركة قهرا كالارث اوباختيار كالشراء ، والخيانة معلومة ، وقوله « اناثالث الشريكين » اى معهما

بالحفظ والبركة احفظ. اموالهما وادر عليهما الرزق والخير فى معاملتهما *

قال العلامة الطيبى رحمه الله: الشركة عبارة عن اختلاط اموال بعضهم ببعض بحيث لايتميز ، وشركة الله تعالى اياهما على الاستعارة كأنه تعالى جعل البركة والفضل والربح بمنزلة المال المخلوط فسمى ذاته تعالى ثالثاهما وجعل خيانة الشيطان ومحقه البركة بمنزلة المخلوط وجعله ثالثاهما ، وقوله خرجت من بينهما ترشيح للاستعارة اه ، والحديث سكت عنه ابو داود وانظر حكم ماسكت عنه ابو داود فى كتابنا نموذج من الاعمال الخيرية ص٦١٥ قال الزركشى فى تخريج احاديث الرافعى: هذا الحديث صححه الحاكم واعله ابن القطان بالجهل بحال سعيد بن حيان والد ابى حيان فانه لايعرف له حال ولايعرف روى عنه غير ابنه ؛ وقال الحافظ ابن حجر : ذكره ابن حبان فى الثقات وذكر انه روى عنه ايضا الحارث بن يزيد *

٦١ أَنَا أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ عَفْوًا مِنْ أَنْ أَسْتُرَ عَلَى مُسْلِمٍ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أَفْضَحُهُ بَعْدَ أَنْ سَتَرْتُهُ وَلَا أَزَالُ أَغْفِرُ لِعَبْدِي مَا اسْتَغْفَرَنِي» رواه الحكيم عن الحسن مرسلا ، والعقيلى عنه عن أنس *

ش قوله «أكرم وأعظم» هما على صيغة افعل التفضيل وليسا على بابها والعفو المحو والازالة يقال: عفت الديار اذا درست وذهبت آثارها، وفى العرف ترك المكافأة عند المقدرة قولا وفعلا وقيل هو السكون عند الاحوال المحركة للانتقام فعلى هذا العفو فى حق الله تعالى عبارة عن ازالة آثار الذنوب بالكلية فيمحوها من ديوان الكرام الكاتبين ولا يطالبه بها يوم القيامة وينسيها من قلوبهم لئلا يخجلوا عند تذكرها ويثبت مكان كل سيئة حسنة والعفو ابلغ من المغفرة لان الغفر ان يشعر بالستر ، والعفو يشعر بالمحو والمحو ابلغ

من الستر، والعفو من اخلاق الانبياء والعلماء والاصفياء، وقد جاء فى العفو آيات، منها قال الله تعالى: (وليعفوا وليصفحوا الاتحبون ان يغفر الله لكم) وقال تعالى: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) وقال تعالى: (فمن عفا واصلح فاجره على الله) وفي الباب احاديث كثيرة، وهو يجمع اشرف الخلال واكرم الخصال وافضل شمائل الجلال واعلا مراتب الكمال، وركن متين وحصن حصين من استند اليه واعتمد عليه استنارت له الظلم. وامن من عثرات القدم. وعصم من مواقع الندم ٥

ومما يحكى عن امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه انه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا فلم يجبه وهكذا ثالثا فقام اليه فرءاه مضطجعا فقال ياغلام اما سمعت الصوت؟ فقال بلى سمعت قال فما منعك من الاجابة؟ فقال ثقتى بحلمك واتكالى على عفوك فقال على رضى الله عنه: انت حر لوجه الله تعالى، وقوله «ما استغفرنى» اى مدة داوم استغفاره لى، والاستغفار طلب المغفرة والمعنى لا ازال اغفر لعبدى مادام يستغفرنى والله اعلم*

وقوله «رواه الحكيم عن الحسن» الحكيم هو الامام الحافظ ابو عبدالله محمد بن على بن الحسن بن بشر الزاهد المؤذن المشهور بالحكيم الترمذى صاحب كتاب نوادر الاصول المتوفى مقتولا ببلخ فى حدود العشرين: والثلاثمائة وعاش نحوا من تسعين سنة، وقال صاحب كشف الظنون المتوفى شهيدا سنة خمس وخمسين ومأتين وهو وهم منه لان الحافظ شمس الدين الذهبى صرح فى كتابه تذكرة الحفاظ انه قدم نيسابور سنة خمس وثمانين ومأتين، وذكر الحافظ ابن حجر فى كتابه لسان الميزان انه عاش الى حدود العشرين والثلاثمائة لان ابن الانبارى ذكر انه سمع منه سنة ثمان عشرة وثلاثمائة، وقيل انه قتل سنة خمس وتسعين ومأتين، والحسن هو الامام شيخ الاسلام

ورئيس الزهاد ورأس التابعين أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري المتوفى سنة عشر ومائة ، وقد ذكرت له ترجمة واسعة في كتابي - نموذج من الاعمال الخيرية في ادارة الطباعة المنيرية - فطالعها تجد فيها مايبهرك *

والعقيلي هو الامام الحافظ ابو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي صاحب كتاب الضعفاء الكبير المتوفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

٦٢ « أَنَا أَهْلُ أَنْ أُتَّقَى فَلاَ يُجْعَلُ مَعِي الْهٌ فَمَنِ اتَّقَى أَنْ يَجْعَلَ مَعِي الهاً فَأَنَا أَهْلٌ أَنْ أَغْفِرَ لَهُ » رواه احمد . والترمذي . والنسائي وابن ماجه والبزار . وابو يعلى . والحاكم عن انس *

قوله « ان اتقى » بالبناء للمفعول من اتقى ، والتقوى في اللغة كما قال السيد الشريف بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية ، وعند اهل الحقيقة هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته ، وهو صيانة النفس عما تستحق به من فعل اوترك ، والتقوى في الطاعة يراد بها الاخلاص وفي المعصية يراد بها الترك والحذر ، وقيل : ان يتقي العبد ماسوى الله تعالى ، وقيل : المحافظة على آداب الشريعة ، وقيل مجانبة كل مايبعدك عن الله تعالى ، وقيل : ترك حظوظ النفس ومباينة النهي ، وقيل : ان لاترى في نفسك شيئا سوى الله ، وقيل : ان لاترى نفسك خيرا من احد ، وقيل : ترك ما دون الله ، والمتبع عندهم هو الذي اتقى متابعة الهوى ، وقيل : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا * واصل التقوى ان يجعل العبد بينه وبين مايخافه ويحذره وقاية تقيه منه فتقوى العبد لربه ان يجعل بينه وبين مايخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه ، وافضل صفة يتصف بها الانسان التقوى لان بها نجاحه ودخوله في كنف الرحمن لايحتجب منهم

ولا يستتر وقد جاء تفسيرها وصفة اهلها عن السلف الصالح رضى الله عنهم فنورد لك جملة صالحة لعلى اكون انا وانت ممن يتقى الله فى جهره وسره، فاقول وبالله التوفيق

قال حبر الامة ابن عباس رضى الله عنهما : المتقون الذى يحذرون من الله عقوبته فى ترك مايعرفون من الهدى ويرجون رحمته فى التصديق بما جاء به، وقال الحسن البصرى التابعى الجليل : المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض الله عليهم ، وقال طلق بن حبيب : التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله .

وقال عمر بن عبد العزيز : ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير الى خير ، وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : تمام التقوى أن يتقى الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما يكون حجابا بينه وبين الحرام فان الله قد بين للعباد الذى يصيرهم اليه فقال : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فلا تحقرن شيئا من الخير ان تفعله ولا شيئا من الشر ان تتقيه ، وقال موسى بن أعين : المتقون تنزهوا عن اشياء من الحلال مخافة ان يقعوا فى الحرام فسماهم الله متقين ، وقال الثورى رحمه الله : انما سموا متقين لانهم اتقوا ما لا يتقى ، فهو سبحانه اهل ان يتقى و يخشى ويهاب ويجل ويعظم فى صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه لما يستحقه من الاجلال والاكرام وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش وشدة البأس اللهم انى اسألك ان توفقنا للتقوى وتحيل بيننا وبين معاصيك ياارحم الراحمين .

وقد وصى الله جل جلاله عباده بالتقوى فى مواضع كثيرة من الذكر الحكيم وحثهم وأمرهم بها منها قوله (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب

من قبلكم واياكم أن اتقوا الله) وقال الله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بماتعملون) وقال تعالى: (واتقوا الله الذى اليه تحشرون) وقال تعالى: (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) وقال تعالى : (واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله) وقال عزوجل (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئاً) فاضيفت تارة الى الله سبحانه وتعالى ، وتارة أضيفت إلى عقاب الله وإلى مكانه كالنار أو زمانه كيوم القيامة *

ولذلك جاء فى احاديث كثيرة عن النبى ﷺ الوصية لامته منها مارواه الامام احمد بن حنبل من حديث دراج عن أبى الهيثم عن ابى ذر « ان رسول الله ﷺ قال له : اوصيك بتقوى الله فى سر امرك وعلانيته » الحديث ؛ وخرج الامام حافظ المغرب يوسف ابو عمر بن عبد البر فى كتاب التمهيد - باسناد فيه نظر - عن انس قال « بعث النبى ﷺ معاذاً الى اليمن فقال : يامعاذ اتق الله وخالق الناس بخلق حسن » الحديث ، وكان ﷺ إذا بعث أميرا على سرية أوصاه فى خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرا ، ولما خطب رسول الله ﷺ فى حجة الوداع يوم النحر وصى الناس بتقوى الله وبالسمع والطاعة لأئمتهم ولما وعظ الناس قالوا له : كأنها موعظة مودع فأوصنا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وفى حديث ابى ذر الطويل الذى خرجه ابن حبان وغيره « قلت يارسول الله اوصنى قال اوصيك بتقوى الله فانه رأس الأمر كله » وخرج الامام احمد من حديث ابى سعيد الخدرى « قال قلت يارسول الله اوصنى قال اوصيك بتقوى الله فانه رأس كل شىء » الحديث ، وروى الترمذى عن يزيد بن سلمة انه سأل النبى ﷺ « قال يارسول الله انى سمعت منك حديثا كثيرا فاخاف ان ينسنى اوله آخره فحدثنى بكلمة تكون جماعا قال اتق الله فيما تعلم » *

وكذلك الصحابة رضى الله عنهم كان يوصى بعضهم بعضا بالتقوى ومن جاء بعدهم من التابعين، فمن ذلك ما نقل عن الخليفة الاول ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه كان يقول فى خطبته : امابعد فانى أوصيكم بتقوى الله وان تثنوا عليه بما هو اهله وان تخلطوا الرغبة فى الرهبة وتجمعوا الالحاف فى المسألة فان الله عز وجل أثنى على زكريا واهل بيته فقال (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)، ولما حضرته الوفاة وعهد الى عمر دعاه فوصاه بوصيته واول ماقال له : اتق الله يا عمر، وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ابنه عبدالله امابعد فانى اوصيك بتقوى الله عز وجل فانه من اتقاه وقاه ومن اقرضه جزاه ومن شكره زاده واجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك، واستعمل على بن ابى طالب رجلا على سرية فقال له : اوصيك بتقوى الله عز وجل لابد لك من لقاه ولا منتهى لك دونه وهو يملك الدنيا والآخرة، وكتب عمر بن عبدالعزيز الى رجل، اوصيك بتقوى الله عز وجل التى لايقبل غيرها ولا يرحم الا اهلها ولا يثيب الا عليها فان الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل جعلنا الله واياك من المتقين، ولما ولى خطب فحمد الله واثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل فان تقوى الله عز وجل خلف من كل شىء وليس من تقوى الله خلف، وقال رجل ليونس بن عبيد اوصنى فقال اوصيك بتقوى الله والاحسان فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقال له رجل - يريد الحج - اوصنى فقال له اتق الله فمن اتقى الله فلا وحشة عليه ه

وقيل لرجل من التابعين عند موته : اوصنا فقال اوصيكم بخاتمة سورة النحل (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وكتب رجل من السلف الى اخ له اوصيك بتقوى الله فانها من اكرم ما اسررت وازين ما اظهرت وافضل ما ادخرت اعاننا الله واياك عليها واوجب لنا ولك ثوابها، وكتب

رجل منهم إلى أخ له أوصيك وأنفسنا بالتقوى فانها خير زاد الآخرة والأولى واجعلها إلى كل خير سبيلك ومن كل شر مهربك فقد تكفل الله عز وجل لأهلها بالنجاة مما يحذرون والرزق من حيث لا يحتسبون ، وقد ثبت عن النبي أنه كان يقول فى دعائه اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفة والغنى ، أفاد ذلك كله الحافظ ابن رجب فى كتابه - جامع العلوم والحكم - ه

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى حقيق ان يتقيه العباد فلا يجعلون له شريكا لأنه لا إله غيره ولو أشرك العبد أحدا مع الله لفعل محالا وحقيق أن يطيعوه ويعبدوه لأنه أهل أن يغفر لهم ذنوبهم ويقبل توبة من أناب اليه ، روى الامام أحمد فى مسنده بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) وقال قال ربكم أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معى إله فمن اتقى أن يجعل معى الها كان أهلا أن أغفر له» ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث زيد ابن الحباب والنسائى من حديث المعافى بن عمران كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطيعى به ، وقال الترمذى: حسن غريب وسهيل ليس بالقوى ، ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن هدبة بن خالد عن سهيل به ، وهكذا رواه أبو يعلى . والبزار . والبغوى . وغيرهم من حديث سهيل القطيعى به والله أعلم ❊

وقوله: «النسائى» هو الامام الحافظ شيخ الاسلام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر الخراسانى النسائى القاضى صاحب أحد السنن الأربعة المشهورة المولود سنة خمس عشرة ومائتين والمتوفى بفلسطين يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة ❊

والبزار هو الحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى البزار صاحب المسند المعلل المتوفى بالرملة سنة اثنين وتسعين ومائتين

وابو يعلى هو الحافظ الثقة محدث الجزيرة احمد بن على بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمى صاحب المسند الكبير المتوفى سنة سبع وثلاثمائة ٥

٦٣ « أَنَا خَلَقْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فَطُوبَى لِمَنْ قَدَّرْتُ عَلَى يَدِهِ الْخَيْرَ وَوَيْلٌ لِمَنْ قَدَّرْتُ عَلَى يَدِهِ الشَّرَّ » رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس *

ش تقدم الحديث فى ص ٧١ بلفظ « أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الشر وقدرته » الخ وانظر شرحه هناك . والطبرانى سبقت ترجمته أيضا ٥

٦٤ « أَنَا خَيْرُ قَسِيمٍ لِمَنْ أَشْرَكَ بِي مَنْ أَشْرَكَ بِي شَيْئًا فَإِنَّ عَمَلَهُ قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ لِشَرِيكِهِ الَّذِي أَشْرَكَ بِهِ وَأَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ » رواه احمد . والطيالسى . والطبرانى فى الكبير عن شداد بن اوس *

٦٥ « أَنَا خَيْرُ شَرِيكٍ فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِي شَرِيكًا فَهُوَ لِلشَّرِيكِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا خَلَصَ لَهُ وَلَا تَقُولُوا هَذَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ فَإِنَّهَا لِرَحِمِهِ وَلَيْسَ لِلَّهِ مِنْهَا شَيْءٌ وَلَا تَقُولُوا هَذَا لِلَّهِ وَلِوُجُوهِكُمْ فَإِنَّهَا لِوُجُوهِكُمْ وَلَيْسَ لِلَّهِ فِيهَا شَيْءٌ » رواه البزار عن الضحاك *

ش قوله فى الحديث الأول « قسيم » فعيل بمعنى مفاعل أى مقاسم والشرك أنواع كما بينه حديث الامام أحمد عن شداد بن أوس عن النبى ﷺ قال:

«من صلى يرائى فقد أشرك ومن صام يرائى فقد أشرك ومن تصدق يرائى فقد أشرك فان الله عز وجل يقول أنا خير قسيم لمن أشرك بى شيئا فان جدة عمله قليله وكثيره لشريكه الذى اشرك به وأنا عنه غنى» ٭

والمعنى أن الله تبارك اسمه وتعالت صفاته يخبرنا أنه لا يقبل عمل عامل منا من ذكر وأنثى اذا كان عمله مشوبا بشرك ولم يكن خالصا لله تعالى من جميع أنواع الشرك كالكبر والسمعة وغير ذلك فان العمل تارة يكون لغير الله كمن يعمل رياء محضا بحيث لا يراد به سوى من مرئيات المخلوقين لغرض دنيوى كحال المنافقين فى صلاتهم قال الله تعالى فى وصفهم : (واذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس) وقال الله تعالى : (فويل للمصلين) وكذلك وصف الله تبارك وتعالى الكفار بالرياء المحض فى قوله (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس) وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن فى فرض الصلاة والصيام وقد يصدر فى الصدقة الواجبة والحج وغيرهما من الاعمال الظاهرة والتى يتعدى نفعها فان الاخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وان صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة ٭

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء فان شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه ايضاً وحبوطه ، ومنها حديث الكتاب ، والله أعلم ٭

وقوله فى الحديث الأول «رواه الطيالسى» هو الامام الحافظ الثقة سليمان ابن داود بن الجارود أبو داود الطيالسى صاحب المسند المطبوع فى الهند المتوفى سنة ثلاث أو أربع ومائتين بالبصرة انظر الكلام على مسنده فى كتابنا نموذج من الأعمال الخيرية ص٤٨٥٭

٦٦ « أَنَا رَبُّكُمْ أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى فَلَا تَجْعَلُوا مَعِي إِلَهًا فَمَنِ اتَّقَى أَنْ يَجْعَلَ مَعِي إِلَهًا فَأَنَا أَهْلٌ أَنْ أَغْفِرَ لَهُ » رواه احمد والترمذى عنه ٭

ش تقدم ذكر الحديث فى ص ٨٥ بتغيير بعض ألفاظه فارجع اليه ٭

٦٧ « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَاشَاءَ » رواه مسلم. والحاكم عن واثلة . وابن إبى الدنيا. والحكيم عن ابى هريرة ٭

٦٨ « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي » رواه مسلم. والحاكم عن انس ٭

٦٩ « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي » رواه احمد عنه ٭

٧٠ « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ » رواه البيهقى عن أبى هريرة ٭

٧١ « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَشَرٌّ » رواه الطبرانى . وابن حبان عن واثلة بن الاسقع .

٧٢ « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَاشَاءَ » رواه ابن ابى الدنيا والحكيم عن ابى هريرة ٭

٧٣ «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ خَيْراً فَلَهُ وَإِنْ ظَنَّ شَراً فَلَهُ»
رواه احمد . ومسلم . والطبراني . وابن النجار عن ابي هريرة ، ورواه الطبراني في الأوسط . وابو نعيم عن واثلة *

ش الحديث الاول فيه الامر بالظن بالله سبحانه وتعالى مطلقا أى فى حال الذكر أو الدعاء ، والثانى مقيد بحال الذكر وكذلك الرابع ، والثالث بحال الدعاء والحديث الخامس فيه تفصيل الظن بحسبه إن كان خيراً فيجزى بذلك وإن كان شراً فيجده كذلك *

والظن يطلق على معان ، قال أبو عبد الله الدامغانى فى كتابه - الوجوه والنظائر لالفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها - الظن على أربعة أوجه: فوجه منها الظن بمعنى اليقين قوله تعالى فى البقرة : (إن ظننا أن يقيما حدود الله) وكقوله: فى ص (وظن داود انما فتناه) يعنى علم داود بما آتيناه وقال فى الحاقة: (انى ظننت أنى ملاق حسابيه) يقول أيقنت، والوجه الثانى الظن بمعنى الشك قوله تعالى فى الجاثية: (إن نظن الا ظنا) يعنى مانشك إلا شكا والوجه الثالث ظن بمعنى حسب قوله تعالى: (انه ظن أن لن يحور بلى) يعنى حسب أن لا يرجع، وقال فى حم السجدة : (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون والوجه الرابع الظن بمعنى التهمة قوله تعالى فى الاحزاب (وتظنون بالله الظنونا) يعنى التهمة وقال اتهموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبرهم ان الله عز وجل يفتح عليك وكقوله: (وماهو على الغيب بظنين) يعنى بمتهم نظيره فى الفتح (وظننتم ظن السوء) اه *

أقول: ويأتى بمعنى الاعتقاد كقوله تعالى: (وظنوا انهم الينا لا يرجعون) أى اعتقدوا فظن هنا والله أعلم بمعنى حسب أو اعتقد *

قال الحافظ ابن حجر فى كتابه - فتح البارى شرح صحيح البخارى - فى

قوله ﷺ : « يقول الله تعالى انا عند ظن عبدى بى » اى قادر على ان اعمل به ماظن انى عامله به ، وقال الكرمانى : وفى السياق اشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف وكأنه اخذه من جهة التسوية فان العاقل اذا سمع ذلك لا يعدل الى ظن ايقاع الوعيد وهو جانب الخوف بانه لا يختاره لنفسه بل يعدل الى ظن وقوع الوعد وهو جانب الرجاء . وهو كما قال اهل التحقيق مقيد بالمحتضر ويؤيد ذلك حديث « لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله » وهو عند مسلم من حديث جابر ، واما قبل ذلك ففى الاول اقوال ثالثها الاعتدال ، وقال ابن ابى جمرة : المراد بالظن هنا العلم وهو كقوله : (وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه) ، وقال القرطبى فى المفهم قيل معناه ظن عبدى بى ظن الاجابة عند الدعاء وظن القبول عند التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكا بصادق وعده قال ويؤيده قوله فى الحديث الآخر « أدعوا الله وانتم موقنون بالاجابة » قال ولذلك ينبغى للمرء ان يجتهد فى القيام بما عليه موقنا بان الله يقبله ويغفر له لانه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد فان اعتقد او ظن ان الله لا يقبلها وانها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر ، ومن مات على ذلك وكل إلى ماظن كما فى بعض طرق الحديث المذكور « فليظن بى عبدى ماشاء » قال واما ظن المغفرة مع الاصرار فلذلك محض الجهل والغرة وهو يجر إلى مذهب المرجئة اه .

وقال الشوكانى فى تحفة الذاكرين : فيه ترغيب من الله عز وجل لعباده بتحسين ظنونهم وانه يعاملهم على حسبها فمن ظن به خيراً أفاض عليه جزيل خيراته واسبل عليه جميل تفضلاته ونثر عليه محاسن كراماته وسوابغ عطياته ومن لم يكن فى ظنه هكذا لم يكن الله تعالى له هكذا . وهذا هو معنى كونه سبحانه

وتعالى عند ظن عبده فعلى العبد أن يكون حسن الظن بربه فى جميع حالاته ويستعين على تحصيل ذلك باستحضاره ماورد من الأدلة الدالة على سعه رحمة الله سبحانه وتعالى.

وقوله « فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى » قال بعض اهل العلم يستفاد منه ان الذكر الخفى افضل من الذكر الجهرى لتقديمه على الذكر الجهرى فى السياق وتقدير المعنى ان ذكرنى فى نفسه ذكرته بثواب لااطلع عليه احدا وان ذكرنى جهرا ذكرته بثواب اطلع عليه الملاالأعلى وفيه احتمال، وللعلماء فى ايهما افضل خلاف ذكرته فى شرحى على ـ الكلم الطيب ـ للامام تقى الدين ابن تيمية فارجع اليه *

قال ابن بطال : هذا نص فى ان الملائكة افضل من بنى آدم وهو مذهب جمهور اهل العلم وعلى ذلك شواهد من القرءان مثل (الا ان تكونا ملكين اوتكونا من الخالدين) والخالد افضل من الفانى فالملائكة افضل من بنى آدم وتعقب بان المعروف عن جمهور أهل السنة ان صالحى بنى آدم افضل من سائر الاجناس والذين ذهبوا إلى تفضيل الملائكة الفلاسفة ثم المعتزلة وقليل من اهل السنة من اهل التصوف وبعض اهل الظاهر فمنهم من فاضل بين الجنسين فقالوا : حقيقة الملك أفضل من حقيقة الانسان لانها نورانية وخيرة ولطيفة مع سعة العلم والقوة وصفاء الجوهر وهذا لا يستلزم تفضيل كل فرد على كل فرد لجواز أن يكون فى بعض الاناسى مافى ذلك وزيادة، ومنهم من خص الخلاف بصالحى البشر والملائكة ، ومنهم من خصه بالانبياء ثم منهم من فضل الملائكة على غير الانبياء ؛ ومنهم من فضلهم على الانبياء أيضا الا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم *

ومن ادلة تفضيل النبى على الملك ان الله امر الملائكة بالسجود لآدم على سبيل التكريم له حتى قال ابليس : (ارأيتك هذا الذى كرمت على) ومنها

قوله تعالى: (لما خلقت بيدى) لما فيه من الاشارة إلى العناية به ولم يثبت ذلك للملائكة ومنها قوله تعالى: (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) ومنها قوله تعالى: (وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض) فدخل فى عمومه الملائكة والمسخر له أفضل من المسخر، ولان طاعة الملائكة بأصل الخلقة وطاعة البشر غالبا مع المجاهدة للنفس لما طبعت عليه من الشهوة والحرص والهوى والغضب فكانت عبادتهم أشق وأيضا فطاعة الملائكة بالأمر الوارد عليهم وطاعة البشر بالنص تارة وبالاجتهاد تارة وبالاستنباط تارة فكانت أشق ولان الملائكة سلمت من وسوسة الشياطين والقاء الشبه والاغواء الجائزة على البشر ولان الملائكة تشاهد حقائق الملكوت والبشر لايعرفون ذلك الا بالاعلام فلا يسلم منهم من ادخال الشبهة من جهة تدبير الكواكب وحركة الافلاك الا الثابت على دينه ولايتم ذلك الا بمشقة شديدة ومجاهدات كثيرة ه

وأما ادلة الآخرين فقد قيل: ان حديث الباب اقوى ما استدل به لذلك للتصريح بقوله فيه فى ملأ خير منهم والمراد بهم الملائكة حتى قال بعض الغلاة فى ذلك وكم من ذاكر الله فى ملأ فيهم محمد ﷺ ذكرهم الله فى ملا خير منهم، واجاب بعض اهل السنة بأن الخبر المذكور ليس نصا ولا صريحا فى المراد بل يتطرقه احتمال ان يكون المراد بالملا الذين هم خير من الملأ الذاكر الأنبياء والشهداء فأنهم أحياء عند ربهم فلم ينحصر ذلك فى الملائكه ه

وأجاب آخر وهو أقوى من الاول بأن الخيرية انما حصلت بالذاكر والملا معا فالجانب الذى فيه رب العزة خير من الجانب الذى ليس هو فيه بلا ارتياب فالخيرية حصلت بالنسبة للمجموع على المجموع. وهذا الجواب ظهر لى وظننت أنه مبتكر ثم رأيته فى كلام القاضى

كمال الدين ابن الزملكانى فى الجزء الذى جمعه فى الرفيق الأعلى فقال : ان الله تعالى قابل ذكر العبد فى نفسه بذكره له فى نفسه وقابل ذكر العبد فى الملأ بذكره له فى الملأ فانما صار الذكر فى الملأ الثانى خيرا من الذكر فى الأول لأن الله هو الذاكر فيهم والملاء الذى يذكرون - والله فيهم - افضل من الملاء الذين يذكرون وليس الله فيهم ، ومن أدلة المعتزلة تقديم الملائكة فى الذكر فى قوله تعالى : (من كان عدوا لله وملائكته ورسله) و(شهد الله أنه لااله الا هو والملائكة وأولوا العلم) (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) وتعقب بأن مجرد التقديم فى الذكر لايستلزم التفضيل لانه لم ينحصر فيه بل له أسباب أخرى كالتقديم بالزمان فى مثل قوله تعالى :(ومنك ومن نوح وابراهيم) فقدم نوحا على ابراهيم لتقدم زمان نوح مع ان ابراهيم افضل ، ومنها قوله تعالى : (لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) وبالغ الزمخشرى فادعى ان دلالتها لهذا المطلوب قطعية بالنسبة لعلم المعانى فقال فى قوله تعالى : (ولا الملائكة المقربون) أى ولامن هو أعلى قدرا من المسيح - وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل - قال : ولايقتضى علم المعانى غير هذا من حيث ان الكلام انما سيق للرد على النصارى لغلوهم فى المسيح فقيل لهم: لن يترفع المسيح عن العبودية ولا من هو ارفع درجة منه انتهى ملخصا.

وأجيب بأن الترقى لايستلزم التفضيل المتنازع فيه وانما هو بحسب المقام وذلك ان كلا من الملائكة والمسيح عبد من دون الله فرد عليهم بأن المسيح الذى تشاهدونه لم يتكبر عن عبادة الله وكذلك من غاب عنكم من الملائكة لايتكبر والنفوس لما غاب عنها اهيب ممن تشاهده ولان الصفات التى عبدوا المسيح لاجلها من الزهد فى الدنيا والاطلاع على

المغيبات واحياء الموتى باذن الله موجودة فى الملائكة فان كانت توجب عبادته فهى موجبة لعبادتهم بطريق الاولى وهم مع ذلك لا يستنكفون عن عبادة الله تعالى ، ولا يلزم من هذا الترقى ثبوت الأفضلية المتنازع فيها *

وقال البيضاوى: احتج بهذا العطف من زعم ان الملائكة أفضل من الأنبياء وقال : هى مساقة للرد على النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف عليه اعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه ، وجوابه ان الآية سيقت للرد على عبدة المسيح والملائكة فأريد بالعطف المبالغة باعتبار الكثرة دون التفضيل كقول القائل . أصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرءوس وعلى تقدير ارادة التفضيل فغايته تفضيل المقربين ممن حول العرش بل من هو أعلى رتبة منهم على المسيح وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا ، وقال الطيبى : لا تتم لهم الدلالة الا ان سلم ان الآية سيقت للرد على النصارى فقط فيصح لن يترفع المسيح عن العبودية ولا من هو ارفع منه والذى يدعى ذلك يحتاج الى اثبات ان النصارى تعتقد تفضيل الملائكة على المسيح وهم لا يعتقدون ذلك بل يعتقدون فيه الالهية فلا يتم استدلال من استدل به قال وسياقه الآية من اسلوب التتميم والمبالغة لا الترقى، وذلك انه قدم قوله : (انما الله اله واحد) الى قوله (وكيلا) فقرر الوحدانية والمالكية والقدرة التامة ثم اتبعه بعدم الاستنكاف فالتقدير لا يستحق من اتصف بذلك ان يستكبر عليه الذى تتخذونه ايها النصارى الها لاعتقادكم فيه الكمال ولا الملائكة الذين اتخذها غيركم آلهة لاعتقادهم فيهم الكمال (قلت) وقد ذكر ذلك البغوى ملخصا ولفظه لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام عيسى بل ردا على الذين يدعون ان الملائكة آلهة فرد عليهم كما رد على النصارى الذين يدعون التثليث ،

ومنها قوله تعالى: (قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك) فنفى ان يكون ملكا فدل على أنهم افضل، وتعقب بانه انما نفى ذلك لكونهم طلبوا منه الخزائن وعلم الغيب وان يكون بصفة الملك من ترك الأكل والشرب والجماع ، وهو من نمط انكارهم ان يرسل الله بشرا مثلهم فنفى عنه انه ملك ولا يستلزم ذلك التفضيل ، ومنها انه سبحانه لما وصف جبريل ومحمدا قال فى جبريل (انه لقول رسول كريم) وقال فى حق النبى ﷺ (وما صاحبكم بمجنون) وبين الوصفين بون بعيد ، وتعقب بأن ذلك انما سيق للرد على من زعم ان الذى يأتيه شيطان فكان وصف جبريل بذلك تعظيما للنبى ﷺ فقد وصف النبى ﷺ فى غير هذا الموضع بمثل ما وصف به جبريل هنا وأعظم منه، وقد افرط الزمخشرى فى سوء الأدب هنا وقال كلاما يستلزم تنقيص المقام المحمدى وبالغ الأئمة فى الرد عليه فى ذلك وهو من زلاته الشنيعة ❊

وقوله فى الحديث الاول « رواه ابن ابى الدنيا » هو الامام الجليل والحافظ الشهير ابوبكر عبدالله بن محمد بن عبيد القرشى الشهير بابن ابى الدنيا صاحب المصنفات الكثيرة المتوفى سنة ٢٨١ ﻫ

وقوله « والحكيم » هو ابو عبد الله محمد بن على بن الحسين بن بشير المؤذن الحكيم الترمذى صاحب التصانيف الكثيرة منها نوادر الاصول فى معرفة اخبار الرسول ﷺ

قدم نيسابور سنة خمس وثمانين ومائتين وتوفي عن نحو ثمانين سنة ❊

وقوله فى الحديث الرابع « فى ملأ » الملأ تقدم تفسيره ص ١٤ فاغنى عن اعادة الكلام عليه ❊

وقوله فى الحديث الأخير « فله » اى مقتضى ظنه من خير او شر، فالمعاملة

تدور مع الظن ، وروى الحاكم عن أنس بن مالك « قال الله تعالى : انا عند ظنك بى وانا معك اذا ذكرتنى » اى دعوتنى فأسمع ماتقوله فأجيبك ، قال الحكيم الترمذى . هذا وماأشبهه من الأحاديث المتقدمة فى ذكر عن يقظة لاعن غفلة لان ذلك هو حقيقة الذكر فيكون بحيث لايبقى عليه مع ذكره فى ذلك الوقت ذكر نفسه ولاذكر مخلوق فذلك الذكر هو الصافى لانه قلب واحد فاذا اشتغل بشىء ذهل عما سواه . وهذاموجود فى المخلوق لوان رجلا دخل على ملك فى الدنيا لاخذه من هيبته ما لا يذكر فى ذلك الوقت غيره فكيف بملك الملوك ؟ *

وقوله « ابن النجار » هو الامام البارع مفيد العراق الرحالة محب الدين ابو عبدالله محمد بن محمود بن النجار البغدادى صاحب المعجم المتوفى سنة ٦٤٣ﻫ

وقوله « وابو نعيم » هو الامام الحافظ الكبير محدث عصره احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحق بن موسى بن مهران المهرانى الاصبهانى الصوفى صاحب حلية الاولياء توفى سنة ثلاثين واربعمائة *

٧٤ « أَنَامَعَ عَبْدِى إِذْ هُوَ ذَكَرَنِى وَتَحَرَّكَتْ بِى شَفَتَاهُ » رواه أبو داود . والحاكم . وابن حبان عن ابى الدرداء . والقضاعى . والحاكم . وابن حبان عن انس وغيره ، واحمد . وابن ماجه . والحاكم وابن حبان عن ابى هريرة *

ش قوله « انا مع عبدى » المعية الله اعلم بحقيقتها نسلم لفظها ونكل المعنى الى الله جل وعلا وهذا مذهب سلف الامة . وقد تقدم الكلام على مثل ذلك فارجع اليه ، وقوله « اذ » ظرف زمان ، وشفتاه تثنية شفة بفتح اوله واصلها شفهة وهى معلومة ، والمعنى - والله اعلم - ان الله سبحانه وتعالى

مع عبده وقت ذكره خالقه وباره‌ه وتحركت شفتا العبد بذكره وهو يدل على ان الذكر الجهرى ارجح من الذكر الخفى وقد تقدم الكلام على ذلك قريبا

وقوله «والقضاعى» هو المحدث شهاب الدين ابو عبدالله محمد بن سلامة ابن جعفر بن على القضاعى نسبة الى قضاعة شعب من معد بن عدنان. ويقال: هو من حمير وهو الأكثر والأصح. كان قاضى مصر ومحدثها توفى سنة اربع وخمسين واربعمائة ، وباقى التراجم تقدم شرحها

٧ « أَنْتَقِمُ مِمَّنْ أُبْغِضُ بِمَنْ أُبْغِضُ ثُمَّ أُصَيِّرُ كُلًّا إِلَى النَّارِ » رواه الطبرانى فى الاوسط عن جابر

ش الانتقام افتعال ، والمنتقم هو المبالغ فى العقوبة لمن يشاء وهو مفتعل من نقم ينقم اذا بلغت به الكراهة حد السخط ، ومن اسمائه الحسنى جل جلاله المنتقم ، قال فى لوامع البينات. المنتقم مشتق من الانتقام ولا يسمى التعذيب بالانتقام الابشرائط ثلاثة. الاول ان تبلغ الكراهة الى حد السخط الشديد. الثانى ان يحصل تلك العقوبة بعد مدة. الثالث ان يقتضى ذلك التعذيب نوعا من التشفى، وهذا القيد لا يحصل الا فى حق الخلق اما فى حق الخالق فهو محال

واعلم ان الانتقام اشد من المعاجلة بالعقوبة فان المذنب اذا عوجل بالعقوبة لم يتمكن فى المعصية فلم يستوجب غاية النكال فى العقوبة. واليه الاشارة بقوله تعالى: (فلما آسفونا انتقمنا منهم) وايضا قد سمى الله تعالى تكرار ايجاب الكفارة فى تكرار المحرم أخذ الصيد انتقاما قال (ومن عاد فينتقم الله منه) وهو قريب من قوله (فبظلم من الذين هادوا) الآية ، اما حظ العبد منه فقال الغزالى: انتقام العبد انما يكون محمودا اذا انتقم من الاعداء واعدى عدوه نفسه التى بين جنبيه فلا جرم يجب عليه ان ينتقم منها

والبغض تقدم الكلام عليه صفحة ٢٨ فاغنى عن اعادته ، وقوله « انتقم ممن ابغض بمن ابغض » يعنى ان الله سبحانه وتعالى يعاقب من يبغضه بارتكاب المعاصى وسوء الاعمال بمن يبغض من خلقه كذلك اى ان الله تبارك اسمه يولى الظالمين بعضهم بعضا وهكذا نطقت الآيات القرءانية والاحاديث النبوية بذلك والشاهد يؤيد الواقع فان غالب الأمم الاسلامية فى عصرنا الحاضر يتولاها الظالمون وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون نسأل الله السلامة من الحرب الحاضرة التى وقعت فى شهر رجب سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة والف من الهجرة النبوية على صاحبها الف صلاة وتحية بين الألمان وبولنده ودخلت معها الروس بزعم انها تحامى عن الاقلية الروسية الموجودة فيها ولربما تشترك فيها باقى الأمم الغربية والشرقية . ولا ينفع المسلمين فى هذه الظروف الا تحابيهم وتوادهم ومعاونة بعضهم بعضا وعلى الأغنياء ان يواسوا الفقراء . والاقوياء يساعدوا الضعفاء . ورجوعهم الى الله عز وجل بالتوبة والانابة والاخلاص فى الأعمال والاقلاع عن المعاصى والمفاسد والتباعد عن الشقاق والفتن والتحمز للاخذ بيد المظلوم من الظالم الغاشم المستبد فلعل ذلك يكفل لنا النجاح ان شاء الله تعالى ويسلمنا ٭

٧٦ « إنطلقوا يَاملائكتى إلى عبدى فصبوا عليه البلاء صبا فيصبون عليه البلاء فيحمد الله فيرجعون فيقولون يا ربنا صببنا عليه البلاء كما امرتنا فيقول ارجعوا فانى احب ان اسمع صوته » رواه الطبرانى فى الكبير عن ابى امامة ٭

ش الصب السكب ، وصب الماء اراقه من أعلى ، والبلاء والابتلاء تقدم تفسيرهما صفحة ٩ فارجع اليه ، والمراد بالصب هنا العرض والالقاء اى اعرضوا

والقوا ياملائكتي على عبدي فلان البلاء ليختبر ويمتحن ليظهر خيره أوشره لغيره ، وقد سمى الله تعالى التكاليف الشرعية بلاء لان التكاليف كلها مشاق على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء ، ولانها اختبارات قال الله عز وجل : (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) والقرءان والسنة مملوءان بذلك، واختبار الله تعالى للعباد تارة يكون بالمسار ليشكروا، وتارة بالمضار ليصبروا فصارت المحنة والمنحة جميعا بلاء. فالمنحة مقتضية للصبر والمحنة مقتضية للشكر، قال عمر بن الخطاب: بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر، قال الراغب الاصفهاني: اذا قيل ابتلى فلان كذا وابلاه فذلك يتضمن أمرين احدهما تعرف حاله والوقوف على مايجهل من أمره، والثاني ظهور جودته ورداءته وربما قصد به الأمران ، وربما يقصد به احدهما ، فاذا قيل في الله تعالي بلا كذا او ابلاه فليس المراد منه الا ظهور جودته ورداءته دون التعرف لحاله والوقوف على مايجهل من امره اذ كان الله علام الغيوب وعلى هذا قوله عز وجل : (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) ولاشك ان اضافة العبد اليه عز وجل هنا لتعظيمه وتشريفه اذ بين ان العبد المصبوب عليه البلاء حمد الله واثنى عليه بما هو اهله فكان قابلا للبلاء متعرضا له بدون ان يظهر اساءته اوكراهيته له بل يتسع صدره له وهو حامد شاكر مظهر الثناء على الله والرضا به ومعافاة غيره عن الابتلاء بمثل ذلك ممن ليس كذلك، فعلى المؤمن العاقل ان يتلقى البلاء والمصائب بكل خواسه بصدر رحب وقلب مطمئن بالايمان ومفعم بالرضا والصبر والاحتساب فيزول ذلك عنه قريبا بدون ان يمسه اذى فنسأل الله ان يوفقنا للصبر عند الصدمة الأولى ويختم لنا بالسعادة الابدية، وقد جاء في الصبر على الابتلاء ءايات كثيرة وان لمن صبر ثوابا عظيما لايقدر قدره وكذلك الأحاديث الصحيحة جاءت في الحث على الصبر اذا ابتلى وان له ثوابا عظيما والله اعلم ه

٧٧ «أَنفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ» رواه احمد والشيخان عن ابى هريرة *

ش قوله «أَنفق» الاولى بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الفاء امر من الانفاق ، وقوله «انفق عليك» بضم الهمزة وسكون النون جواب الامر ، والانفاق اخراج المال من اليد . ومنه نفق البيع اى خرج من يد البائع الى المشترى ونفقت الدابة خرجت روحها . ونفق الزاد فنى ، والانفاق قد يكون فى المال وفى غيره ، وقد يكون واجبا وتطوعا والكل مطلوب *

والمعنى ان الله سبحانه وتعالى امر عبده ان ينفق فى المصالح الخيرية والمشاريع الحيوية مما انعم الله عليه وجعله حاكما عليه وتحت يده من نقد او عرض تجارة او غير ذلك مما يحوزه الانسان ويملكه لان المال كله من الله سبحانه وتعالى رزقه عبده ليصرفه فى منافع المسلمين اذا زاد عن كفايته وكفاية من يلزمه نفقته شرعا اخذا من ادلة اخرى معلومة مقيدة بذلك ، ولا ريب ان الانفاق على الاهل والاقارب غير اللازمة نفقتهم اولى وافضل من النفقة على غيرهم . والافضل والاحرى صرف المال على الفقراء والمساكين المتمسكين بشعائر دينهم من صلاة وصيام وزكاة وغير ذلك من فرائض الاسلام واركانه وواجباته ولان تقديمهم بذلك لذلك اردع لغير المتمسكين وارغب لهم فى التمسك لذلك ، ويراعى فى ذلك ما كان نفعه اعم وفائدته اشمل وثمرته اعظم ، وقوله «انفق عليك» اى اعوضه لك واعطيك خلفه بل اكثر اضعافا مضاعفة قال الله تعالى : (وما انفقتم من شىء فهو يخلفه) ولم يقيده بمقدار فنسأل الله الهداية الى الشرع الشريف والعمل باحكامه ، وروى البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا» *

٧٨ «أيما عبد من عبادى يخرج مجاهدا فى سبيلى ابتغاء مرضاتى ضمنت له أن ارجعه - إن رجعته - بما أصاب من أجر أو غنيمة وإن قبضته أن اغفر له وارحمه وادخله الجنة» رواه احمد. والترمذى. والطبرانى عن ابن عمر ه

ش الجهاد تكلمنا عليه فى تعليقنا على مختصر شعب الايمان صفحة ٧٤ فارجع اليه تجد مايسرك ، وقوله « فى سبيلى » السبيل الطريق الذى فيه سهولة وجمعه سبل . والمراد به هنا الطريق التى عبده المولى جل وعلا وشرعه لعباده وسهله واحكمه لا طريق غيره مما يخالفه، وقوله «ابتغاء مرضاتى» الابتغاء طلب الشىء فتارة يكون لله وتارة لغيره فما كان لله سبحانه وتعالى أثيب عليه صاحبه وقبل. وما كان لغيره جل وعز أحبط وعوقب او لا ثواب فيه، والغنيمة ما أصيب من أموال أهل الحرب، والحديث عزاه المنذرى الى النسائى أيضا ، وروى مالك .والبخارى . والنسائى «تكفل الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه من بيته الا الجهاد فى سبيله وتصديق بكلماته الا يدخله الجنة أو يرده الى مسكنه ، قال من اجر أو غنيمة »

والمعنى ان الله تقدست أسماؤه يخبرنا ان من خرج من عباده مجاهدا فى سبيله قاصدا بذلك مرضاة الله عز وجل ورضاه لا أمرا آخر يضمن له إن رجع، وعاش ان يرجعه الى وطنه بما أى بالذى أصاب من أجرا وغنيمة وإن لم يرجع بأن قبضه الله تعالى وتوفاه شهيدا فى ميدان القتال أو حتف أنفه أن يغفر له جل ذكره ذنوبه - ان كانت له ذنوب - ويرحمه ويدخله جنته لجوده بنفسه وبذله أياها فى رضا الذى خلقه ، وهذا غاية مايرجوه العبد، ففيه الحث على الجهاد بأقسامه كلها وان تكون نيته خالصة لاعلاء كلمة الله جل

كره وانتشار الاسلام وعدم الكفر وأهله والله أعلم ه

٧٩ «أيما مؤمن عطس ثلاث عطسات متواليات إلا كان الايمان ثابتاً في قلبه» رواه الديلمي عن انس انه عليه الصلاة والسلام قال :

«اخبرني جبريل عليه السلام عن الله ايما» الى آخره *

ش العطاس - بضم العين المهملة - معروف . ومتواليات متتابعات ، والمعنى إذا عطس الانسان ثلاث عطسات متتابعات لا يفصل بينها فاصل فحمد الله فان ايمانه يثبت في قلبه ولا يتزلزل . والحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس ، وهو مملوء من الاحاديث الضعيفة والواهية ، وتقدم ذكر ترجمة الديلمي صفحة ٦٦ فارجع اليه *

٨٠ «إني انا الله لا إله إلا انا سبقت رحمتي غضبي فمن شهد أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله فله الجنة» رواه الديلمي عن ابن عباس أنه قال «اول شيء خطه الله في الكتاب الأول» الى آخره *

ش الرحمة في الاصل رقة في القلب تقتضي الاحسان والعطف والحنان على المرحوم فتحركه الى قضاء حاجته والتلطف به ، وقد يستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الاحسان المجرد عن الرقة نحو رحم الله فلانا فاذا وصف به الباري تباركت اسماؤه وتنزهت صفاته فلا يراد به الا الاحسان المجرد دون الرقة ، وعلى هذا فان الرحمة من الله انعام وافضال . ومن الآدميين رقة وتعطف ، فالله سبحانه وتعالى ركز في طبائع الناس الرقة وتفرد بالاحسان ، ورحمة الله سبحانه في الدنيا عامة للمؤمنين والكافرين وفي الآخرة مختصة بالمؤمنين قال الله تعالى : (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون) ، والغضب تكلمت عليه صفحة ٢٨ فارجع اليه ، والمعنى ان الله سبحانه أخبر أنه

الاله المنفرد بالالوهية وقد سبقت رحمته واحسانه ولطفه غضبه وانتقامه ممن اساء لنفسه وخالف مولاه واتبع شيطانه وهواه ، وان من شهد لله جل ذكره بالوحدانية المطلقة . ولرسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة والعبودية له الجنة يدخله الله من اى باب شاء ، وهذا مقيد بمن واظب على المأمورات واجتنب المنهيات كما يؤخذ من أدلة أخرى لا تخفى على المطالع . وسند الحديث - والله أعلم - كسابقه *

٨١ « الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنِّي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ »

رواه الطبرانى . وابو يعلى عن عامر بن ربيعة *

ش الرحم تقدم الكلام عليه صفحه ٦٧ فلا حاجة الى الاعادة ، وقوله « شجنة » بكسر أوله وضمه وسكون ثانيه هى فى الاصل عروق الشجر المشتبكة والمراد بها هنا القرابة المشتبكة كاشتباك العروق ، شبهه بذلك مجازا واتساعا وباقى الكلام على الحديث تقدم غير مرة فارجع اليه *

٨٢ « الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ وَالسَّيِّئَةُ وَاحِدَةٌ أَوْ أَغْفِرُهَا وَلَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا لَمْ يُشْرِكْ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً »

رواه مسلم : وابو نعيم عن ابى ذر *

ش تقدم الكلام على بعض معانيه صفحه ١٧ ، وقراب بضم القاف وحكى كسرها مصدر قارب يقارب أى بما يقارب ملأها ، والمعنى ان الله تبارك وتعالى يخبرنا بأن الحسنة الواحدة اذا فعلها العبد لا تقل عن ثواب عشرة أمثالها الى مالا نهاية قدرا وكمية . وإذا فعل السيئة الواحدة لا يزيد عليه عقابها عن حسنة مثلها هذا اذا حاسبه الله عليها وعاقبه . وإذا شاء عز وجل غفرها له ، ولوان

العبد لقى الله تعالى ذكره بما يقارب ملأ الأرض خطايا وذنوبا ولم يشرك الله تعالى فيها بشيء لقيه مولاه وباريه بما يقرب ملأها مغفرة ؛ وهو حث على الانابة اليه تعالى وعدم القنوط من رحمته والاخلاص فى العبادة لله وحده بدون تشريك فى الأعمال والأفعال والعقائد فلا يشرك مع الله غيره من نفس وهوى وشيطان وشيخ طريقة. ومرب وولى صاحب قبة وغير ذلك مما يدخل فيها نسأل الله السلامه فى ديننا من ان نشرك أحدا مع الله تعالى فى جميع أحوالنا واطوارنا والله أعلم *

٨٣ «الحَسَنَةُ عَشْرٌ وَأَزِيدُ وَالسَّيِّئَةُ وَاحِدَةٌ وَأَمْحُوهَا وَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ كَمِجَنِّ السِّلَاحِ مِنَ السَّيْفِ» رواه البغوى عن رجل *

ش الصوم معناه فى اللغة مطلق الامساك وفى الشرع امساك مخصوص بأن يكف فمه ودبره عن ايصال شيء الى الداخل وفرجه عن الوصال من طلوع الفجر الى أذان المغرب، وقوله «جنة» بضم الجيم وتشديد النون المفتوحة ما يجنك أى يسترك ويقيك ، والمجن ـ بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون ـ الترس ، والمعنى ان الصوم لله جل ذكره لانه لا أحد يطلع عليه الا الله لانه عمل مستور لذلك أضافه الى نفسه ولما كان كذلك فالله جل ذكره يجزى به بنفسه وان كانت باقى الاعمال كذلك الا ان الله سبحانه يعتنى به زيادة عن غيره من الاعمال بدون ان يطلع احدا على ثوابه فان فيه تهذيب النفس وتشبيهها بالملائكة وهو أعظم رياضة بدنية ومعنوية للانسان الا فلي‍كثر العاقل منه مع شروطه؛ والصوم وقاية للنفس تحفظها من الوقوع فى المكاره كما ان الترس يتقى به المحارب سلاح خصمه كالسيف وغيره، فانظر كيف الشارع يبين

لنا المنافع التى تنقذنا من الآفات وكيف نتقى المعاصى والمخالفات اذا هجمت علينا وقائدها أبليس الرجيم والنفس الامارة بالسوء والهوى المتبع نسأل الله ان يلهمنا ما يدفع الشيطان وجنوده بكثرة التعبد والانكباب على الاعمال الصالحة والمشاريع الخيرية *

٨٤ «الْحَسَنَةُ بِعَشْرٍ وَالسَّيِّئَةُ بِوَاحِدَةٍ أَوْ أَغْفِرُهَا وَلَوْ لَقِينِى بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَىْءٌ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّى شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّى ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا» رَوَاهُ الطَّبَرَانِىُّ عن ابى ذر *

٨٥ «الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ وَلِى الصَّوْمُ وَأَنَا أَجْزِى بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِى لَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ» رَوَاهُ الْبَغَوِىُّ والطبرانىُّ وعبدان عن بشير بن الخصاصية

٨٦ «الصَّوْمُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا عَبْدِى مِنَ النَّارِ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِىُّ فى الكبير. والبيهقى عن ابى هريرة *

٨٧ «الصِّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ وَالصَّوْمُ لِى وَأَنَا

أجزى به يدع طعامه وشرابه من أجلي والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » رواه الطبرانى فى الكبير عن بشير بن الخصاصية . وابى هريرة *

٨٨ « الصيام جنة يستجن بها العبد من النار وهو لى وانا اجزى به » رواه أحمد والبيهقى عن جابر ه

٨٩ « الصيام لى وانا اجزى به » رواه البزار عن أبى هريرة *

ش الحديث الأول تقدم الكلام على بعض الفاظه قريبا فلا حاجة للاعادة وقوله « ومن هم » تقدم الكلام على الهم صفحة ١٧ فاغنى عن إعادته ، وكذلك قوله « ومن تقرب منى شبرا » الخ سبق ذكره صفحه ١١ ، وقوله فى الحديث الثانى « لخلوف » الخلوف بفتح الخاء المعجمة وضم اللام تغير رائحة الفم من الصوم ، وقوله فى الحديث الثانى « رواه البغوى » هو الامام الحافظ محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد صاحب المصنفات العظيمة ، منها شرح السنة والمصابيح توفى سنة ست عشرة وخمسمائة ه

٩٠ « العز إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى منهما شيئا عذبته » رواه مسلم عن ابى سعيد . وسمويه عنه ، وعن ابى هريرة معاه والطبرانى فى الاوسط والصغير عن على ه

٩١ « الكبرياء ردائى فمن نازعنى ردائى قصمته » رواه الحاكم عن ابى هريرة ه

٩٢ « الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ » رواه احمد ، وأبو داود ، وابن ماجه عن ابى هريرة

ش العز بكسر العين المهملة ضد الذل - والعزة القوة وهي حالة مانعة للانسان من أن يغلب ، والازار الثوب الذى يتزر به والكبرياء العظمة والملك ، والرداء الثوب الذى يرتدى به من الحر والبرد ، والقصم كسر الشيء وابانته ، والقذف الرمى بقوة ، وضرب الازار والرداء مثلا فى انفراده جل ذكره بصفة العظمة والكبرياء والعز والقوة أى ليست كسائر الصفات التى قد يتصف بها الخلق مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما ، شبهما ذكر بالازار والرداء لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الانسان ولانه لا يشاركه فى ازاره وردائه احد فكذلك الله تعالى لا ينبغى ان يشركه فى هذه الصفات أحد ، والمعنى ان الله عز وجل يخبرنا ويعلمنا ان العز والقوة والكبرياء والعظمة هى مختصة به لله تعالى لا يشاركه فى هذه الصفات أحد من خلقه ولا يليق لا أنس ولا جن لا ملك ولا سلطان لا فقير ولا غنى ولا صعلوك كاختصاص أحدكم بردائه وازاره فانهما يشملانه دون غيره ، وهذا ضرب مثل تقريبى الى عقول البشر حسب عادتهم وعرفهم ليفهموا ويعقلوا فمن نازع المولى جل علاه فى شيء من هذه الصفات المختصة به جل وعز قذفه فى ناره - وهو قادر على ذلك بدون مانع مطلقا - وعذبه بها وقصمه ، وفيه الزجر عن ادعاء العزة والكبرياء والعظمة والقوة لانها لا يوصف بها فى الحقيقة على الاطلاق غير الخالق البارىء الواجد العالم من العدم وهى دائمة باقية لله سبحانه وتعالى ﴿فان قيل﴾ ان كثيرا من الخلق مؤمنا كان أو كافرا عنده العزة والقوة ولاسيما الكفار فى عصرنا الحاضر ، فالجواب

ان هذه القوة والعزة هى سحابة صيف لا تستمر، وهى فى الحقيقة ذل لهم لانهم يعملون أعمال البهائم والمتوحشين والجمادات فى النوع الانسانى، وماحرب بولندة وأخذها واغتصابها من يد اهلها ببعيد فنسأل الله عزة النفس والقوة المثمرة التى تحملنا على المدافعة عن حقوقنا المقدسة ونصر المظلوم والاخذ على يد الظالم بحديد ٭

٩٣ «اَلْمُتَحَابُّونَ فِى جَلَالِى لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ» رواه الترمذى عن معاذ ٭

٩٤ «اَلْمُتَحَابُّونَ لِجَلَالِى فِى ظِلِّ عَرْشِى يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّى» رواه أحمد والطبرانى فى الكبير عن العرباض بن سارية ٭

ش المتحابون المتوادون والتحابب التوادد وتحابوا أحب بعضهم بعضا، والجلال التناهى فى عظم القدر . وخص بوصف الله سبحانه وتعالى بقوله « ذو الجلال والاكرام » ولم يستعمل فى غيره، والمنابر جمع منبر معروف، وقوله « يغبطهم » من الغبطة بكسر أوله وسكون ثانيه - يقال : غبطت الرجل أغبطه غبطا اذا اشتهيت أن يكون لك مثل ماله وان يدوم عليه ماهو فيه فالغبط حسد خاص مقبول ، والنبيون جمع نبى وهو بشر اوحى اليه بشرع يعمل به فاذا أمر بتبليغه فيكون رسولا أيضا ، والشهداء جمع شهيد وهو فى الاصل من قتل مجاهدا فى سبيل الله ثم اتسع فيه فأطلق على من سماه النبى ﷺ من المبطون والغريق والحريق وغير ذلك، والظل الفئ . الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس أى شىء كان ، وقيل : هو مخصوص بما كان منه الى زوال الشمس وما كان بعده فهو الفىء ، والعرش فى الأصل شىء مسقف ، وعرش الملك سريره . ويطلق أيضا على معان اخر منها

غرش البشر طيها بالخشب وعرش السماء . والملك والسلطان والعز ، وقد ثبت فى الاحاديث الصحيحة صفة عرش الرحمن واحاطته ، والمعنى - والله اعلم - ان المتحابين فى جلال الله أى المخلصين فى المحبة لله لا لحظ دنيوى ولا أخروى ٭

والمتحابون فى الله على ثلاثة أنواع . الأول اما ان يكون الشخصان تحابا فى الله جل علاه مع رجاء حطام فى هذه الدار معنويا كان أو حسيا فهذا طالب حاجة وهمته فى دنياه فليس له الا حاجته قضيت أو لم تقض كما قال ﷺ : « من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ، والثانى ان يكون صحبته لله مع رجاء حظ أخروى حسا كان أو معنى فهذا ايضا طالب حاجة لكن نفسه ارفع من الاول - وهو الاكثر عند المنتسبين للخير - فله حاجته قضيت او لم تقض ، والثالث الذى تكون صحبته لله ليس الا فهذا الذى يصدق عليه اسم المتحابين فى الله على حقيقة اللفظ ، واذا كان كذلك لا يغيره من أخيه شىء يصدر له منه ، واذا كان على غير هذا الوجه فما يثبت عند الامتحان فاذا كانت نية أحدهما لله ونية الآخر لغير ذلك فلكل أمرىء مانوى ، فاذا كان ذلك كذلك فينصب لهم يوم القيامة منابر من نور يقفون عليها فينظر اليهم أهل الموقف فيغبطهم على مقامهم هذا الانبياء والشهداء ، ويكونوا فى ظل عرش الرب تبارك وتعالى يوم لا ظل يقى الانسان من السوء الا ظل المولى جل جلاله - فهذا مما نؤمن به ونصدق بالاخبار الواردة فيه والكيفية لا مجال للعقل فيها ٭

فان قيل ان الظلال كلها لله سبحانه وتعالى ملك فى الدنيا والآخرة فما الحكمة فى الاخبار بهذه الصيغة هنا؟ فالجواب ان ظلال الدنيا وان كانت له جل جلاله

فنها ما قد جعلها عز وجل ملكا للعبيد تملكوها بحسب ماشرع لهم ذلك لا يتصرف فيها احد الا برضاهم حكم منه لذلك مثل ظلال الحدائق المتملكة وظلال الله عز وجل لم يجعل لاحد عليها ملكا فمن احتاج الى شيء منها أخذها دون عتب له على ذلك مثل الظلال التى فى القفر او التى قد خرج أصحابها عنها لله عز وجل وسبلوها له . وظلال الآخرة ما فيها مباح بل كلها قد تملكت بالأعمال والله أعلم *

٩٥ « النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ اِبْلِيسَ مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيمَاناً يَجِدُ حَلاَوَتَهُ فِى قَلْبِهِ » رواه الطبرانى والحاكم عن ابن مسعود *

ش النظرة - بفتح أوله وسكون ثانيه من النظر للمرة - ، والنظر تقليب البصر والبصيرة لادراك الشيء ورؤيته ، وقد يراد به التأمل والفحص ، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص - وهو الروية - يقال : نظرت فلم تنظر اى لم تتأمل ولم تترو ، والسهم واحد النبل وهو مركب النصل . أوما يرمى به وما يضرب به من القداح ونحوه . والجمع اسهم وسهام ، زاد الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب فى هذا الحديث « سهم مسموم » الخ وقال فى آخره : رواه الطبرانى . والحاكم من حديث حذيفة وقال : صحيح الاسناد . قال الحافظ : خرجاه من رواية عبدالرحمن بن اسحق الواسطى - وهو واه - انتهى *

والمعنى ان الله تباركت أسماؤه وتنزهت صفاته يخبرنا ان النظرة الواحدة من الانسان الى المرأة الاجنبية أو الصبى الامرد للتلذذ والاستمتاع أو الى أموال الناس شرها وبغضا وحسدا سهم مسموم من سهام أبليس اللعين يسلطه على العبد فيصيب به قلب المؤمن فيصليه نار المعصية والمخالفة

ويبعده عن الله جل ذكره فمن جاهد نفسه وترك هذه النظرة مخافة الله عز وجل فان الله سيبدله ايمانا ويقينا يجد حلاوته فى قلبه فليختر الانسان بين مطاوعته نفسه واعطائها حظها فيتعرض لسموم ابليس وجنوده وبين ان يكف نفسه وهواه فلا ينظر الى ماتقدم ذكره فيستجلب رضا الرحمن ويتعرض لثوابه واللذة القلبية الايمانية التى حلت فى قلبه اعراضا عن المعصية وعدم التفات الى ماترغب فيه النفس ، وقد وردت احاديث كثيرة فى هذا الباب تحث الانسان فى ان يغض طرفه عن النظر الى ما لا يحل ، فمن ذلك ماروى عن ابى امامة عن النبى ﷺ قال : « مامن مسلم ينظر الى محاسن امرأة ثم يغض بصره الا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها فى قلبه » رواه احمد. والطبرانى الاانه قال : « ينظر الى امرأة أول رمقة » والبيهقى . وقال : انما أراد ان صح - والله أعلم - ان يقع بصره عليها من غير قصد فيصرف بصره عنها تورعا ، وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال له : « ياعلى ان لك كنزا فى الجنة وانك ذو قرنيها فلا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الآخرة » رواه الامام احمد؛ وقوله « ذو قرنيها » أى ذو قرنى هذه الامة وذاك لانه كان له شجتان فى قرنى رأسه احداهما من ابن ملجم لعنه الله . والآخرى من عمرو بن ود ، والله أعلم *

٩٦ « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّ مَنِ اسْتَسْلَمَ لِقَضَائِى وَرَضِىَ بِحُكْمِى وَصَبَرَ عَلَى بَلَائِى بَعَثْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الصِّدِّيقِينَ » رواه الديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما « انه قال إِنَّ أَوَّلَ شَىْءٍ كَتَبَهُ اللهُ فِى اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ بِسْمِ اللهِ » الى آخره *

ش الاستسلام الاذعان والانقياد، والقضاء - كما قال الراغب -: فصل الأمر قولا كان ذلك أو فعلا ، وكل واحد منهما على وجهين الهى و بشرى فمن القول الالهى قوله تعالى: (وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه) أى أمر بذلك وقال تعالى: (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب) فهذا قضاء بالاعلام والفصل في الحكم أى اعلمناهم وأوحينا اليهم وحيا جزما، وعلى هذا (وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع) ومن الفعل الالهى قوله: (والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء) وقوله: (فقضاهن سبع سموات فى يومين) اشارة الى ايجاده الابداعى والفراغ منه ، ومن القول البشرى نحو قضى الحاكم بكذا فان حكم الحاكم يكون بالقول ، ومن الفعل البشرى (فاذا قضيتم مناسككم . وثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم)*

وقال صاحب النهاية: أصل القضاء القطع والفصل يقال: قضى يقضى قضاء فهو قاض إذا حكم وفصل. وقضاء الشيء احكامه وامضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق، وقال الازهرى: القضاء فى اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه وكل ما أحكم عمله أو اتم او ادى او اوجب او اعلم او انفذ او امضى فقد قضى والحكم بالشيء أن تقضى بانه كذا او ليس بكذا سواء الزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه، والصبر والبلاء تقدم تعريفهما، والقيامة عبارة عن قيام الساعة المذكور فى قوله تعالى: (ويوم تقوم الساعة - يوم يقوم الناس لرب العالمين) والقيامة أصلها ما يكون من الانسان من القيام دفعة واحدة أدخل فيها الهاء تنبيها على وقوعها دفعة ، وقوله «الصديقين» جمع صديق وهو من كثر منه الصدق ، وقيل بل يقال: لمن لا يكذب قط ، وقيل: بل لمن لا يتأتى منه الكذب لتعوده الصدق وقيل: بل لمن صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله *

والمعنى أن من استسلم وانقاد وأذعن لقضاء الله جل ذكره ورضى بحكمه وصبر على ما ابتلاه الله به من البلايا والمصائب ولم يقل ما يغضب البارى تعالى بل قابل ذلك بالحمد والشكر بعثه الله يوم القيامة - يوم العرض على رب الارباب يوم يعض الكافر على يديه ويقول : ياليتنى كنت ترابا، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه - يوم حشر الاشباح مع الأرواح. يوم المحاسبة والمجازاة - مع الصديقين الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا ما أمروا به حقا واتبعوا سنن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وصدقوا بما جاء به الشرع المنيف دين الاسلام اللهم اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين *

٩٧ «تَعجِزُ يابنَ آدَمَ أن تُصَلِّيَ أوَّلَ النَّهارِ أربعَ رَكَعاتٍ أكفِكَ آخرَ يَومِكَ» رواه البغوى عن ابى مرة الطائفى *

ش العجز - بفتح العين المهملة وسكون الجيم - نقيض الحزم يقال : عجز عن الامر يعجز - بكسر الجيم - وعجز عجزا فيهما ، والعجز الضعف وصار فى التعارف اسما للقصور عن فعل الشىء وهو ضد القدرة ؛ والمراد بالصلاة أول النهار صلاة النفل . وقيل صلاة الفجر وسنته وهو بعيد، وفيه الحث على الصلاة النافلة قبل الظهر فانها تكفى الانسان دفع ما يعرض له باقى اليوم مما يضر الانسان ويؤذيه آخر يومه ذلك وقد تقدم الحديث فى أول الكتاب *

٩٨ «تَوَسَّعتُ على عِبادى بثلاثِ خِصالٍ بعثتُ الدّابَّةَ على القَمحِ والشَّعيرِ ولولا ذلكَ لكَنَزَهما النّاسُ، وتغييرِ الجَسَدِ بعدَ المَوتِ ولولا ذلكَ لما دفنَ حَميمٌ حَميمَه وسَلَبتُ حُزنَ الحَزينِ ولولاه كانَ يَسلو»

رواه ابن عساكره عن زيد بن أرقم *

ش التوسيع خلاف التضييق ، والخصال جمع خصلة أى حالة ، والبعث والابتعاث بمعنى الارسال ، والدابة كل مايدب على الأرض من الحيوان ، والمراد به هنا السوس وهو الدود الذى يأكل الحب والخشب الواحدة سوسة فاذا وقع السوس فى الحب فلا يكاد يخلص منه ، والقمح والشعير معروفان ، والكنز - فى الأصل - المال المدفون تحت الأرض ، والمراد به هنا الجمع والادخار ، والتغيير التبديل من حالة الى اخرى ، والحميم القريب الذى يهتم لأمرك ، والسلب نزع الشىء من الغير على القهر ، والحزن - بضم الحاء المهملة وسكون الزاى وبفتحهما - ضد السرور ، والسلو الصبر يقال : سليت عن كذا وسلوت عنه وتسليت اذا زال عنك محبته *

والمعنى - والله أعلم - أن الله تبارك وتعالى اخبر أنه توسع على عباده بخصال ثلاثة ولم يضيق عليهم - كرما منه ورحمة بهم - الخصلة الأولى ان الله جل وعلا بعث وأرسل الدابة - التى تسمى السوس - على القمح والشعير وسلطها عليهما رحمة بالعباد ورأفة بهم لانهما قوت العباد الضرورى مم ولولم يفعل ذلك بل حفظهما كباقى أنواع الاصناف الآخر لاجتهد الناس فى كنزهما وادخارهما والحرص على اخفائهما عن أعين الناس أما لشدة حاجة الناس اليهما فيبيعهما المدخر بثمن متفاحش جدا أو ليأتى يوم تصيب الزرع آفة سماوية أو أرضية فيقل القمح والشعير فلا يجدهما الانسان ولو بثمن متفاحش فيخرجهما المدخر ويقتات هو وعياله ودوابه منهما فلا يحتاج حينئذ ، وفى كل منهما مشقة وحرج وتضييق على الناس فسهل الله للعباد وأرسل هذه الدودة وسلطها عليهما لئلا يدخر أحد منهما شيئا سنين فيتضيق الناس ويحرجون فسبحانه من اله ما أكرمه وأحلمه والطفه وارأفه بعباده *

الخصلة الثانية تغيير الجسد بعد الموت وتبديله من حالة مرضية مقبولة إلى حالة نتن وقذر تعافه النفوس ولا تتمكن من الاقبال اليه والاستمتاع به كما كان قبل الموت فيتبدل الى جيفة تنفر منها الطباع وتشمئز منها النفوس ويتمنون زوالها من بين أيديهم وابعادها عنهم ولو كان الجسد جسد أحب الناس اليهم وأرضاه عندهم وأقربه لديهم وذلك رفق بالناس ورحمة بهم وتوسعة ولولا ذلك لما دفن صديق قريب صديقه القريب وشح بدفنه وجعله معه يتردد اليه ويتمتع بجسده الفاني ولربما تغالى فى حبه وتعظيمه والثناء عليه فيحفظه من أن تمتد اليه يد بسوء فيموت الآخر وهكذا فتضيق الدنيا على أهلها فيكون الحرج والمشقة فرفع المولى ذلك عن عباده ووسع عليهم بأن غير الجسد فيزهد الناس فيه فيدفن ويقبر ويذهب فتأكله الأرض والدود فسبحانك يارب ما أرأفك بعبادك وأرحمك ٭

والخصلة الثالثة ان الله جل ذكره - إذا حزن عبده بسبب فقد ولده أو قريب أو أصابه بلاء أو ذهب ماله بسبب ما أو غير ذلك يسلب ويذهب من صاحب الحزن حزنه وينسيه ذلك رحمة بنا وتوسعة على خلقه وان لم يفعل الله ذلك به وتركه ونفسه لاصبح وأمسى حزينا لا يفكر فى شيء ما وكذلك غيره فتتعطل مصالح الناس وتشل حركتهم وتضيق معايشهم ويحصل الخلل والتوازن فسبحانك من اله تعبد لذاتك اللهم أنى اسألك ان توفقنى واخوانى الى شكرك والاستسلام لقضائك وحكمك والانقياد لاوامرك ٭

٩٩ « ثَلَاثٌ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ كَانَ وَلِيِّي حَقًّا وَمَنْ ضَيَّعَهُنَّ كَانَ عَدُوِّي حَقًّا الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ » رواه البيهقى عن الحسن مرسلا . وابن النجار عن انس ٭

ش الولى ضد العدو . وهو فعيل إما بمعنى مفعول وهو من يتولى الله أمره وحفظه على التوالى فلا يكله إلى نفسه طرفة عين ، قال الله تعالى فى كتابه الحكيم : (وهو يتولى الصالحين) وأما بمعنى فاعل وهو من يتولى عبادة الله وطاعته ويتوالى عليه من غير تخلل بمعصية ، وكلا الوصفين شرط فى الولاية كما ذكره القشيرى ، والمراد به هنا من حافظ على ثلاث . الصلاة . والصوم والغسل من الجنابة ، والعدو ضد الولى ، والصلاة . والصيام تقدم الكلام عليهما قبل . والغسل - بضم الغين المعجمة - اراقة الماء على جميع البدن ودلكه وتعميمه مع النية ، والجنابة امر معنوى يقوم بالانسان بسبب الجماع أو نزول المنى منه - وهى فى الأصل البعد - لأن الجنب - الذى يجب عليه الغسل بالجماع وخروج المنى - نهى ان يقرب مواضع الصلاة مالم يتطهر ، وقوله « مرسلا » يعنى أن الحديث روى مرسلا . والمرسل ما سقط منه الصحابى لان الحسن البصرى رضى الله عنه تابعى ولا يصح الاحتجاج بالحديث المرسل ، ورواه ابن النجار عن أنس فهو مرفوع من طريقه والله أعلم * والمحافظة على هذه الاشياء المواظبة والاستمرار عليها ،

والمعنى أن الله جل ذكره يخبرنا أن ثلاث أمور من حافظ عليهن أى من أتى بهن واستمر عليهن بدون تركهن مرة واحدة كان ولى الله حقا وتولى الله أموره وكان ناصرا له فيكلؤه بعنايته ويوفقه للاعمال الصالحة فلا يأتى الا بخير ، الامر الاول الصلاة بأن يأتى بها مستجمعة الاركان . والشرائط . والمندوبات فى أول أوقاتها المحددة لها شرعا - وهى أفضل الأعمال بعد الشهادتين واول ما يحاسب به العبد يوم القيامة - كما ورد الحديث بذلك عن أنس »

والثانى الصوم بأن يمسك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر الى غروب الشمس ويمسك نفسه عن الفحش وما يستقبح من الأعمال

والألفاظ المؤذية بحيث إذا أذاه أحد او شتمه او سابه أو قاتله فلا يرد عليه بل يقول له: انى صائم إنى صائم كما ورد فى الحديث القدسى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: قالَ الله عز وجل: « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم إنى صائم » رواه البخارى واللفظ له. ومسلم. وأبو داود. والترمذى. والنسائى. وابن ماجه

الثالث الغسل من الجنابة بأن يصب الماء على بدنه ويعم جميع اعضائه إذا جامع إمرأته أو احتلم فى منامه أو إذا نظر فأمنى مع المحافظة على ذلك وينوى بقلبه ذلك فمن ترك أحد هذه الثلاثة عامداً متعمداً فقد برئت منه ذمة الاسلام وخرج من ربقة الايمان وأصبح كافرا بحيث إذا مات لا يصلى عليه ولا يدفن فى قبور المسلمين، وأرى أن ناسا كثيرين ممن ينتسب الى العلم فى عصرنا الحاضر يتهاونون بأحدى هذه الأمور. ورأيت أحد الناس ممن لنا به صلة واطلاع يترك الصلاة عامدا متعمدا. والصوم فى شهر رمضان ويحمل زوجته على الفطر فتارة تأبى عليه ذلك وتقوى وتغلبه فلا تطاوعه وتظل صائمة وتارة يتسيطر عليها ويغلبها فتفطر، ولا يغتسل من الجنابة بشهادة زوجته بذلك فانا لله وإنا اليه راجعون *

فاللهم اهد قومى فانهم ارتكبوا كل معصية من المعاصى التى كانت الامم تؤاخذ بواحدة منها وتؤخذ اخذ عزيز مقتدر فما أرحمك بأمة محمد ﷺ وعدم أخذك اياهم بجريمتهم كما كنت تفعل بالأمم المتقدمة أمام رسولك ونبيك *

١٠٠ « ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا ثُمَّ أَكَلَ ثَمَنَهُ وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ حُرًّا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ

يعطه أجره » رواه أحمد . والبخارى عن أبى هريرة *

ش الخصم مصدر خصمته ـ أى نازعته ـ خصما يقال : خاصمته وخصمته مخاصمة . وخصاما ثم سمى المخاصم خصما واستعمل للواحد والجمع وربما ثنى، وقال الهروى: الواحد بكسر أوله، وقال الفراء: الاول قول الفصحاء ويجوز فى الاثنين خصمان والثلاثة خصوم، واصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر اى جانبه وان يجذب كل واحد خصم الجوالق من جانب ، والغدر الاخلال بالشيء وتركه، والغدر يقال لترك العهد ونقضه ومنه قيل : فلان غادر وجمعه غدرة ، وغدار كثير الغدر ، والحر خلاف العبد، قال الخطابى : اعتباد الحر يقع بأمرين أن يعتقه ثم يكتم ذلك أو يجحد . والثانى ان يستخدمه كرها بعد العتق والأول اشدهما، وقال الحافظ ابن حجر : وحديث الباب ـ أعنى هذا ـ اشد لأن فيه مع كتم العتق او جحده العمل بمقتضى ذلك من البيع واكل الثمن فمن ثم كان الوعيد عليه اشد .

والمعنى ان الله سبحانه يخبرنا ان ثلاثة من العباد يكون خصمهم يوم القيامة بسبب ما ارتكبوه من الآثام الفظيعة والظلم المتناهى . الأول رجل وعد من عباده اعطى به ثم غدر أى اعطى يمينه به اى عاهد عهدا وحلف بالله على ذلك ثم نقضه، ولاشك ان الغدر من اكبر الصفات المذمومة والمفاسد العظيمة وليس من اخلاق المؤمن الغدر بل الوفاء بالعهد وامضاؤه لان فى نقضه إخلال بنظام الحياة العامة والقوانين الدستورية . ويفسد على المرء تدبيره لمصلحته نفسه وغيره واضرار بمن عاهده ثم نقض عهده ولذلك جاء فى القرآن الحكيم الحث على إمضاء العهود والوفاء بها والتزامها وعدم نقضها

أيا كانت ولو مع قوم غير مسلمين بشرط ان لا يخلوا بشروطها والاتيان بما ينافيها مما يضر بصالح المعاهد ويضعفه ويحل عزائمه ويقوى اعداءه عليه قال تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون) وقال تعالى : (يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) وقال تعالى . (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا) ، وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ان الغادر يرفع له لواء يوم القيامة يقال . هذه غدرة فلان بن فلان» وما أصعب هذا التشهير بالغادر على رؤس الاشهاد يوم القيامة حيث العالم كله مجتمع ويرون حالته وما هو عليه من التشنيع والخزى والتوبيخ والتعذيب ولا ريب ان هذه الحالة هى أفظع حالة يراها الخلق لأن الغدر أكبر جريمة ترتكب وصاحبه مهان ذليل حقير تستنفر منه الطباع الحساسة وتستقبحه العقول السليمة الراقية. وأصبح فى عصرنا الحاضر الغدر منتشرا فلا تخلو عائلة منه فان قيم العائلة يعطى زوجته أو أولاده أو أخته أو أحد أقاربه العهود والمواثيق والايمان الغليظة انه سيعطى فلانا كذا او فلانة كذا ويكتب لفلان كذا ويحبى فلانا كذا ثم يصبح ثانى الايام أو بعد ايام او أشهر وينقض العهد ويعبث بالأيمان والمواثيق ولا يعبأ بما هدده الشارع به وامره بالتزامه والوفاء به وكذا تجد الغدر فى القرى والأرياف سواء كانت قريبة إلى المدن العامرة منتشرا وكذلك فى المدن الكبيرة والصغيرة وكلما ارتقت اهل المدينة فى المدنية والترفه والتأنق الحديث كلما ازداد الغدر وتنوع واختير له اساليب جديدة مموهة وآلات اصطناعية مشوهة حتى صار عادة يألفها الكبراء والعظماء والقواد والرؤساء والملوك والوزراء فامسى الانسان ولا يثق بشخص مطلقا وضاعت الذمم والشخصيات واصبح الوفاء بالعهود

والايمان فى احتضار وقريبا سيشيع، اللهم ارحم عبادك وارشدهم إلى الاخلاق المرضية وحببهم فى الاعمال الصالحة والافعال الجيدة والهمهم الرأفة والرحمة والشفقة باخوانهم ليأمنوا شرهم ه

واعلم ان سبب الحرب التى قامت الآن فى شهر رجب سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة والف الهجرية نقض العهود الملتزمة والعبث بالقوانين الوضعية الدولية وغصب بلاد الضعفاء والاستيلاء على اموالهم واستعبادهم والقضاء على استقلالهم وما اخذ بلاد الحبشة والبانيا وبولاند ببعيد فأسأل الله حسن العاقبة *

الثانى رجل من عباده باع حرا وأكل ثمنه بأن استعبده محررا اما أن يعتقه ثم يكتم ذلك أو يجحده واما ان يستخدمه كرها بعد العتق ويبيعه ؛ قال ابن حزم : ان الحر كان يباع فى الدين حتى نزلت (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) واستقر الاجماع على المنع وخص الأكل بالذكر لانه أعظم مقصود ، هذا الزجر العظيم لمن استعبد رجلا واحدا فما بالك فيمن استعبد ممالك وعبادا واغتصب حقوقهم واستولى على اموالهم وتجاراتهم وقضى على استقلالهم ؟ *

الثالث رجل استأجر اجيرا وعاملا بأجر مخصوص وعمل كذلك فاستوفى منه عمله ولم يعطه اجره وهذا يصدق بأن استخدمه واعطاه اقل مما يستحق أو منعه اجره ولم يعطه شيئا منه وهذا ايضا من باب التعبد والاستخدام بغير اجرة ولانه استوفى منفعته بغير عوض فهو ظالم له ، وقد ورد الترغيب باعطاء الاجير اجره قبل ان يجف عرقه رواه ابن ماجه والطبرانى وغيرهما ه

﴿ فان قيل ﴾ : هؤلاء كلهم ظلمة والله سبحانه وتعالى خصم لجميع الظالمين فما وجه التصريح بهذا الحديث بأن الله خصمهم ؟ والجواب والله عز وجل ، ان كان كذلك إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح لفظاعة امرهم

فى هذه الأشياء واستقباحه والله أعلم .

١٠١ « ثِنْتَانِ لَمْ يَكُنْ لَكَ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا جَعَلْتُ لَكَ نَصِيباً حِينَ أَخَذْتُ بِكَظَمِكَ لأُطَهِّرَكَ وَأُزَكِّيَكَ، وَصَلَاةُ عِبَادِى عَلَيْكَ بَعْدَ انْقِضَاءِ أَجَلِكَ » رواه عبد بن حميد عن ابن عمر .

ش الكظم - بالتحريك - هو مخرج النفس من الحلق وانقطاعه؛ والمعنى أن الله سبحانه وتعالى منح عباده خصلتين ليس لاحد خلقه تأثير فيهما . احداهما جعل الله للعبد نصيبا من ماله حين تخرج روحه وينقطع نفسه لتطهير العبد به وانتفاعه بعد موته وتزكيته نفسه، والثانية جعل صلاة العباد على الميت بعد انقضاء أجله زكاة له وطهرا أيضا ينتفع بها يوم الحساب والجزاء، فانظر ما أكرم المولى وأرأفه بعباده وما اسوأ العبد المرتكب الذنوب وما أهمله لأوامر ربه وخالقه اليس الاجدر به أن يكون ملتزما لاحكام شرعه وسنن نبيه ﷺ فلا يأتى الا ماشرع وابيح له ويتجنب المكروه والمبغوض والممقوت لباريه ومولاه ؛ اللهم اهدنا سبيل الصواب ووفقنا لما تحبه وترضاه ياأرحم الراحمين .

١٠٢ « حَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلْمُتَحَابِّينَ فِىَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِىَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِىَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِىَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِىَّ، الْمُتَحَابُّونَ فِىَّ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمْ

النبيون والصديقون والشهداء »رواه احمد . وابن حبان . والحاكم والقضاعي عن عبادة بن الصامت *

ش حقت وجبت . والمحبة ارادة ماتراه أو تظنه خيراً أو تعظم في القلب يمنع الانقياد لغير محبوبه . وقد عرفها القوم وأهل التحقيق وعبروا عنها بعبارات كثيرة كل واحد نطق بحسب ذوقه وانفسح بمقدار شوقه . وهي من الأمور الوجدانية الذوقية التي انما تعلم بآثارها وعلاماتها فكل من أدرك بعض علاماتها عبر بحسب ما أدركه وهي وراء ذلك كله *

والمتحابون تقدم الكلام عليه صفحة ١١٢ ، والمتواصلون جمع متواصل وهو من كان بينك وبينه مواصلة ووصلة والوصل ضد الهجران ، يقال وصلت الشيء بغيره وصلا فاتصل به ووصلته وصلا وصلة ضد هجرته ، والمتناصحون جمع متناصح يقال : انتصح فلان قبل النصيحة . وانتصحني فاني لك ناصح وتنصح تشبه بالنصاح واستنصحه عده نصيحا ، والنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها . واصل النصح في اللغة الخلوص يقال نصحته ونصحت له ، والمتزاورون جمع متزاور . وتزاور القوم زار بعضهم بعضا . واستزاره سأله ان يزوره ، والمتباذلون جمع متباذل بذل الشيء أعطاه وجاد به عن طيب نفس اي الذين يجود احدهم بمال او غيره لاخيه في الله والآخر كذلك . وقوله : « يغبطهم » تقدم الكلام عليه صفحة ١١٢ وقوله « النبيون . والصديقون . والشهداء » قد ذكر قريبا صفحة ١١٢ فارجع اليه فلا حاجة إلى الاعادة . وتراجم رواة الحديث تقدم الكلام عليها كل راو في محله والله اعلم

والمعنى ان الله تبارك اسمه وتعاظمت صفاته اخبرنا أن محبته قد وجبت لأنواع خمسة . الأول المتحابون فى الله عز وجل يعنى ان احدهم احب الآخر لوجه الله جل وعلا لا لعلة دنيوية ولا منفعة عظيمة اخروية، والمحبة تنقسم بحسب ثمرتها وآثارها الى قسمين مشتركة وخاصة *

فالمشتركة ثلاثة أنواع . أحدها محبة طبيعية مشتركة كمحبة الجائع للطعام . والظمآن للماء وغير ذلك، وهذه لا تستلزم التعظيم . والنوع الثانى محبة رحمة واشفاق كمحبة الوالد لولده الطفل ونحوها وهذه أيضا لا تستلزم التعظيم . والنوع الثالث محبة أنس والف وهى محبة المشتركين فى صناعة او علم أو مرافقة أو تجارة او سفر بعضهم بعضا . وكمحبة الاخوة بعضهم بعضا . فهذه الانواع الثلاثة هى المحبة التى تصلح للخلق بعضهم من بعض ووجودها فيهم لا يكون شركا فى محبة الله سبحانه وتعالى . ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب الحلواء والعسل . وكان أحب الشراب اليه الحلو البارد . وكان أحب اللحم اليه الذراع . وكان يحب نساءه . وكان يحب اصحابه واحبهم اليه الصديق *

واما المحبة الخاصة التى لا تصلح الا لله وحده ومتى حب العبد بها غيره كان شركا لا يغفره الله فهى محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وايثاره على غيره فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله اصلا . وهى التى سوى المشركون بين آلهتهم وبين الله فيها كما قال تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) *

الثانى المتواصلون فى الله عز وجل اى وصل بعضهم بعضا ولم ينقطع عن اخيه فى الله ولم يهجره . وهذا يصدق بأن احسن اليه ومنحه صلته وبره

واستمر على مواصلته قاصدا بذلك وجه الله سبحانه وتعالى . أو وصله بمودته ومحبته والتقرب اليه بمحاسن كلامه وطرائف احاديثه واستمر على ذلك ولم يهجره ويقطعه ويقصد فى ذلك كله وجه الله ورضاه ٥

الثالث المتناصحون فى الله جل جلاله بأن ينصح أحدهم الآخر فى شخصه وماله وولده وأهله وأقاربه ويتحرى ذلك بفعل أو قول فيه صلاح صاحبه، والنصيحة من اهم أمور الدين واعظمه وبها يقوم اعوجاج الخلق وتصلح حالهم لان المؤمن للمؤمن كالمرآة يرى عيوبه ويكشفها فعليه ان ينصحه ويبذل جهده فى نصيحته وان كانت ثقيلة على المنصوح احيانا قال الله تعالى. (لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين) وهى واجبة على كل مسلم لكل مسلم قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم . «الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة قلنا . لمن يارسول الله قال : لله عز وجل . ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم، وروى البخارى ومسلم عن جرير بن عبدالله قال .« بايعت النبى ﷺ على اقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « حق المؤمن على المؤمن ست فذكرمنها . واذا استنصحك فانصح له » وافضل النصيحة ما كانت سرا وقصد بها وجه الله ٥

النوع الرابع المتزاورون فى الله عز وجل اى الذين يزورون الناس والناس يزورونهم فى بيوتهم او فى مجتمعاتهم المشروعة او مكان عملهم سواء كان قريبا او بعيدا ذا رحم او صاحب وصديق لا يقصدون بذلك إلا التقرب إلى الله جل ذكره والزلفى اليه، وقد وردت احاديث كثيرة فى فضل الزيارة وما للزائر من الخير العظيم، روى مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان رجلا زار اخا له فى قرية فارصد الله تعالى

على مدرجته ملكا فلما اتى عليه قال : اين تريد ؟ قال. أريد اخالى فى هذه القرية قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال . لا غير انى احببته فى الله قال . فانى رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما احببته فيه ، والمدرجة بفتح الميم والراء الطريق ، وارصده اعدله ملكا يقعد له على الطريق يترقبه وقوله «تربها» اى تقوم بها وتسعى فى صلاحها ، وروى البزار وأبو يعلى باسناد جيد عن أنس رضى الله عنه . عن النبى صلى الله عليه وءاله وسلم قال . «ما من عبد اتى أخاه يزوره فى الله الا ناداه من السماء ان طبت وطابت لك الجنة والا قال الله فى ملكوت عرشه عبدى زارفى وعلى قراه فلم يرض له بثواب دون الجنة» فهؤلاء وجبت لهم محبة الله عز وجل والمحب مع من أحب يوم القيامة نسأل الله أن يجعلنا منهم وأن يهدينا طريقهم *

النوع الخامس المتباذلون فى الله أى من بذل ماله وجاهه ومايقدر عليه وأعطاه وسمح به لاخيه المؤمن المستحق عن طيب نفس ابتغاء مرضاة الله ولم يقصد بذلك سوى وجه الله تبارك وتعالى ، قال الباجى : أى الذين يبذلون انفسهم فى مرضاته من الانفاق على جهاد عدوه وغير ذلك مما أمروا به والله أعلم ، والحديث رواه أيضا مالك فى الموطأ مطولا *

١٠٣ «حَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلْمُتَحَابِّينَ فِى أَظِلُّهُمْ فِى ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّى» رواه ابن ابى الدنيا عن عبادة بن الصامت *

١٠٤ «حَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلَّذِينَ يَتَصَادَقُونَ مِنْ أَجْلِى وَحَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِى وَلَا مِنْ مُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ يُقَدِّمُ لِلَّهِ ثَلَاثَةً

أَوْلَادٍ مِنْ صُلْبِهِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللّٰهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ» رواه الطَّبَرَانِيُّ في الأوسط والصغير عن عَمْرِو بن عَنْبَسَة *

ش الحديث الأول تقدم الكلام عليه غير مرة فلا حاجة للتكراره وقوله في الحديث الثاني «حقت محبتي للذين يتصادقون من اجلي» فحقت وجبت والمحبة تقدم الكلام عليها قريبا، والذين تصادقوا اى صادق بعضهم بعضا لله لا لامر دنيوى ولا لغرض اخروى ، والصدق ضد الكذب يقال: صدق فى الحديث يصدق - بالضم - صدقا ، وصدقه الحديث وتصادقا فى الحديث وفى المودة ، والمصدق الذى يصدقك فى حديثك ، والصداقة والمصادقة المخالة ، والمتناصرون الذين ينصر بعضهم بعضا ويناصروا يقال: تناصر القوم نصر بعضهم بعضا واستنصره على عدوه سأله أن ينصره عليه، والنصر العون ، والصلب الظهر . والحنث الاثم والذنب *

والمعنى ان الله جل ثناؤه اخبران محبته وجبت للمتحابين فيه ويظلهم ويقيهم من هول يوم القيامة وشدة حره وعذابه فى ظل العرش يوم لاظل يقى الناس من شدة ذلك اليوم الاظله وقد تقدم الكلام على المحبة تفصيلا غير مرة فارجع اليه . ووجبت محبة الله أيضا لمن تصادق مع اخيه لله ومن اجله جل جلاله . ووجبت محبته تعالى للمتناصرين من اجله، وان المؤمن اوالمؤمنة إذا قدم لله ثلاثة اولاد من صلبه اى اولاد حقيقة لهم لانهم ربوهم صغارا وجعلوهم ابناءهم حسب التربية، وهل يدخل فى ذلك اولاد الاولاد ؟ فيه خلاف. ويخرج بهذا القيد اولاد البنات قولا واحدا، وهؤلاء الأولاد صغار لم يبلغوا مبلغ الرجال ويجرى عليهم القلم فيكتب عليهم الحنث والاثم والذنب الا ادخلهم الله جل ذكره الجنة بفضل رحمته

اياهم لا بفضل صبرهم وشكرهم لان الذى وفقهم للصبر والشكر هو الله سبحانه وتعالى والله عدل ذو رحمة واسعة وكرم متناه، وقد ورد فى حديث آخر أن من فقد له ولدان ايضا له الجنة، روى البخارى فى صحيحه عن ابى سعيد رضى الله عنه «أن النساء قلن للنبى صلى الله عليه وءاله وسلم : اجعل لنا يوما فوعظهن فقال . ايما امراة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجابا من النار قالت امرأة . واثنان قال . واثنان» وفى رواية للنسائى «ان رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم قال . «من احتسب ثلاثة من صلبه دخل الجنة فقامت امرأة فقالت : اواثنان فقال : او اثنان قالت المراة : ياليتنى قلت واحدا» والله اعلم *

١٠٥ «حَسَنَةُ ابْنِ آدَمَ عَشْرٌ وَأَزِيدُهُ وَالسَّيِّئَةُ وَاحِدَةٌ وَأَغْفِرُهَا» رواه ابو نعيم عن ابى ذر *

١٠٦ «خَلَقْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فَطُوبَى لِمَنْ خَلَقْتُهُ لِلْخَيْرِ وَاجْرَيْتُ الْخَيْرَ عَلَى يَدَيْهِ وَوَيْلٌ لِمَنْ خَلَقْتُهُ لِلشَّرِّ وَاجْرَيْتُ الشَّرَّ عَلَى يَدَيْهِ» رواه ابن شاهين عن ابى امامة *

١٠٧ «خَلَقْتُ بِضْعَ عَشْرَةَ وَثَلَثَمِائَةِ خُلُقٍ مَنْ جَاءَ بِخُلُقٍ مِنْهَا مَعَ شَهَادَةِ أَنْ لَا اِلَهَ اِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» رواه الطبرانى فى الأوسط عن انس *

١٠٨ «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي» رواه مسلم عن ابى هريرة *

ش تقدم الكلام على الحديث الاول غير مرة ، وقوله «او أزيد» على صيغة المتكلم ، ويصح ان يكون على صيغة التفضيل الا أن قوله بعد «وأغفرها» يبعده ، والحديث الثانى ذكرنا شرحه صفحة ٧١ ، وصفحة ٩٠ فارجع اليه ، والحديث الثالث تقدم ذكر مثله وتكلمت على الخلق وماجاء فى مدحه صفحة ٦٩ ، والحديث الرابع تقدم الكلام على مثله صفحة ١٠٦ فارجع اليه ، وقوله فى الحديث الثالث « بضع عشرة » البضع - بكسر الباء الموحدة وقيل بفتحها وسكون الضاد المعجمة - ما بين الثلاث إلى التسع *

وروى الحكيم الترمذى فى كتابه - سلوة العارفين وبستان الموحدين - عن عبد الله بن راشد قال : حدثنى مولاى عن عثمان بن عثمان رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ان لله مائة وسبعة عشر خلقا من أتى بواحدة منهن دخل الجنة » ، وعن مروان يقول : سمعت عثمان بن عفان يقول . سمعت رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم يقول : « ان لله تعالى مائة وسبعة عشر خلقا من جاء بخلق منها دخل الجنة بغير حساب » فقلنا : بينها لنا قال : بكظم الغيظ . والعفو عند المقدرة . والصلة عند القطيعة . والحلم عند السفه . والوقار عند الطيش . ووفاء الحق عند الجحود . والاطعام عند الجوع . والعطية عند المنع . والاصلاح عند الفساد . والتجاوز عن المسىء . والعطف على الظالم . وقبول المعذرة . والانابة للحق . والتجافى عن دار الغرور . وترك التمادى فى الباطل الا وليس فى اخلاق الله شىء احب اليه من الجود والكرم فاذا أراد الله بعبد خيرا وفقه لاخلاقه فتخلق بها وإذا أراد الله بعبد شرا خلى بينه وبين اخلاق إبليس وان من اخلاق أبليس ان يغضب فلا يرضى . وان يسمع فيحقد . وشراهية النفس وهمتها وأخذ ماليس لها ونزقها الى اللهو والباطل ، قال أبو عبد الله . فالاخلاق

موضوعة في الطبع ومعقلها في الصدر، والاخلاق منها ما هو جبلي تفضل الله بها على عبيده على قدر منازلهم عنده فمنح انبياءه منها فمنهم من أعطاه منها خمسا . ومنهم من اعطاه منها عشرا أو عشرين واكثر من ذلك واقل فمن زاده منها ظهر حسن معاملته ربه وحسن معاملته خلقه على قدر تلك الاخلاق ومن نقصه منها ظهر عليه ذلك، ولهذا ورد في الحديث الذى رواه مالك في الموطأ « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » فاخبرنا بقوله هذا ان الرسل قد مضت ولم تتمم هذه الاخلاق كأنه بقيت عليهم من هذا العدد بقية فامر أن يتممها فاعلمنا في قوله هذا ان تلك الاخلاق التي كانت في الرسل فيه ثم هو مبعوث لاتمام ما بقى منها ليقدم على الله جل ذكره بجميع اخلاقه التي ذكرها فلا يجوز لنا أن نتوهم عليه انه بعث لامر فقدم على ربه وهو غير متمم له، ومنها ما يكون بطرق الكسب والتعود وتكلف النفس وبعثها على ذلك حتى تعتاد نفسه ذلك، ومن كان هذا حاله كان تخلقه طهارة لصدره وقلبه من دنس الخلق السيء الذى هو ضد هذا الخلق فاذا تطهر من سيء الاخلاق لتخلقه بمحاسن الاخلاق بجهد وكسب شكر الله له ذلك وأدخله الجنة برحمته وعفوه *

١٠٩ «شَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِي وَكَذَّبَنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِي أَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ إِنَّ لِي وَلَدًا وَأَنَا اللهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ» رواه احمد . والنسائي . والبخاري عن ابي هريرة *

ش الشتم السب وهو الوصف بما يقتضى النقص . والاسم الشتيمة والتشاتم التساب ، والمشاتمة المسابة ، والصمد السيد الذى يصمد اليه فى الامر ، وقيل . الصمد الذى ليس بأجوف ، وماليس بأجوف شيئان . احدهما لكونه ادون من الانسان كالجمادات . والثانى اعلى منه وهو البارى والملائكة ، واذا أردت تفسيراً واسعا فى ذلك فعليك بتفسير سورة الاخلاص للامام ابن تيمية فانك تجد مايسرك ، والاعادة بدأ الشيء وارجاعه ثانيا . والمعيد الذى يعيد الخلق بعد الحياة الى الممات فى الدنيا وبعد الممات الى الحياة يوم القيامة . واهون اسهل يقال . هان الامر على فلان سهل ٭

والمعنى - والله أعلم - ان الله جل وعز أخبرنا ان ابن آدم يشتمه وينتقصه بقول لا يليق به ومالا ينبغى له أن يشتمه وينتقصه لانه خالقه وباريه وموجده من العدم بقوله «كن» وتولى خلقه فى الرحم من منى الى نطفة إلى علقة الى مضغة ثم ينفخ فيه الروح إلى ان يخرج من بطن امه ثم يضع فى قلب والديه الرأفة والرحمة والحنان فيقبلان على تربيته والمحافظة عليه الى ان يفطم وبعد ذلك ينتقل من طور إلى طور ومن حال الى حال وكل ذلك يراعيه ويكلؤه ويقدر له رزقا وسعادة ويسهل له الطرق ويضمن له العيش ويكلفه بأمور سهلة بطيقها كل انسان حتى اذا ما واظب عليها واتى بها تامة مرضية كان له ثوابها وأجزى على عملها ورفعت منزلته فى الدنيا ويوم القيامة يدخله الجنة وينعم عليه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ومع هذا فان ابن آدم ينسى هذا كله ويقابل مولاه بالشتم والسب والتكذيب بقوله : لله ولد وبقوله ليس يعيدنى كما بدأنى اول مرة ، والمراد بابن آدم بعض بنى آدم وهم من أنكر البعث من العرب وغيرهم من عباد الاوثان والدهرية ٭ ومن أدعى ان لله ولدا من العرب أيضا ، ومن اليهود والنصارى قال قتادة :

لان مشركى العرب قالوا : الملائكة بنات الله ، وقالت اليهود : عزير ابن الله وقالت النصارى : المسيح ابن الله فاكذبهم الله سبحانه وبين أنه منزه عن ذلك وانه الواحد الاحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وانه جل ذكره يعيده كما خلقه وبداه اول مرة وليس الخلق ابتداء باهون عليه من الاعادة بل بالنظر للعادة الجارية المعلومة للعباد ان الاعادة اسهل واهون من البداءة وايجاد الشىء ابتداء وعليه فلا يحق ولا يصح ان يستبعد بعض بنى آدم ذلك بل يستقربه ويستملحه ويقربه بدون دليل لان البداءة هى البعيدة عن العقل والمستغربة ، وهذا بالنسبة للمخلوق واما بالنسبة للخالق فليست احدى الحالتين بأسهل واهون عليه من الآخرى بل يقول للشىء كن فيكون ، فسورة الاخلاص اعظم سورة تنزه الله جل وعلا وتثبت عقائد التوحيد وتهدم عقائد الشرك بجميع انواعه لذلك افردها بعض الائمة بتأليف خاص بها كشيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية وطبعناه والحمد لله ، فيخبرنا الله تعالى انه الواحد اى وحدة حقيقية غير قابلة للتعدد والكثرة فى ذاته ولا فى ربوبيته ولا فى الوهيته ولا فى ملكه فهو غير مركب من اصلين كما زعمت الثانوية . ولا من ثلاثة اصول او اقانيم كما تزعم المثلثون من قدماء وثنى الهندو غيرهم وتبعهم على ذلك النصارى على خلاف اصل دين موسى وعيسى ومن قبلهما من النبيين عليهم الصلاة والتسليم . وانه الصمد القادر على قضاء كل ما يحتاج اليه عباده من الحاجات . وكفايتهم جميع ما يعجزون عنه من المهمات بما يسخره لهم من الاسباب . وما يهديهم من سننه فيها *

قال صديقنا المرحوم الاستاذ السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار : فلو كان مبتدعة عبادة القبور واسرى الخرافات يفقهون معنى هذه الكلمة ويؤمنون بها ايمانا اذعانيا صحيحا يملك قلوبهم لما صمد احد منهم الى قبر احد من

الصالحين ولا إلى رجل حى من المعتقدين ولا الى دجال يدعى استخدام الجان وتسخير الشياطين ليقضى له ما عجز عنه من منافعه ومصالحه او من دفع الاذى عن نفسه واهله وولده فان هؤلاء الاحياء الدجالين كالموتى من الصالحين عاجزون كلهم عما يظنه الجاهلون فيهم من التصرف فى عالم الغيب والشهادة وقد يغترون ببعض ما يجهلون حقيقته من شعوذة وحيل او مصادفات يوجد امثالها عند امثالهم من جميع اهل الملل ولكن هذا الغرور لا سلطان له على الموحدين المؤمنين بوحدانية الله تعالى ه

وقوله « لم الد ولم أولد » أى لم يصدر عنه ولد ولم يصدر هو جل وعلا عن شىء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا ولاحقا . والوالدية والمولودية متلازمان اذ المعهود ان ما يلد يولد وإلا فلا . والاعتراف بهذا هو الاعتراف بذاك لانه ليس بمخلوق له مزاج وجنس نشأ عن غيره ونشأ غيره عنه فتكون الربوبية والالوهية أسرة وعشيرة كسائر الاحياء الحادثة التى يتوقف وجود بعضها على بعض بل هو أحد لا شىء قبله ولده ولا شىء مثله ولد منه فيحل محله بل هو ازلى سرمدى منزه عن مشابهة كل ما فى العالم من الاجناس المتسلسلة من الافراد البسيطة والمركبة . والله غنى عن الوالدية والمولودية وهما نقص فى حقه يستلزمان الحاجة وينافيان الربوبية والالوهية ه

فان قيل . لم قدم ذكر نفى الولد مع ان الوالد مقدم ؟ وجوابه أنه قدم للاهتمام لأجل ما كان يقوله الكفار من المشركين . إن الملائكة بنات الله . واليهود عزير ابن الله . والنصارى المسيح ابن الله ولم يدع أحد أن له والدا فلهذا السبب بدا بالاهم فقال . لم ألد ولم أولد ؛ وقوله « ولم يكن لى كفوا احد » أى لم يكافئنى احد ولم يماثلنى ويشاكلنى من صاحبة وغيرها . والكفؤ النظير المكافىء . والله أعلم ه

١١٠ « صِلُوا أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّهُ أَبْقَى لَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَخَيْرٌ لَكُمْ فِي آخِرَتِكُمْ » رواه عبد بن حميد عن ابن عباس ❊

١١١ « عَبْدِي إِذَا ذَكَرْتَنِي خَالِياً ذَكَرْتُكَ خَالِياً وَإِذَا ذَكَرْتَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَأَكْبَرَ » رواه البيهقي عن ابن عباس ❊

١١٢ « عَبْدِي مَا عَبَدْتَنِي وَرَجَوْتَنِي فَإِنِّي غَافِرٌ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَيَا عَبْدِي إِنْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً مَا لَمْ تُشْرِكْ بِي لَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » رواه احمد عن ابي ذر ❊

ش الحديث الاول تقدم الكلام فيه على صلة الارحام صفحة ٦٧ وزاد في هذا الحديث قوله « فانه ابقى لكم في الحياة » الخ ولاشك ان الاحسان إلى الاهل والاقارب يجعل للانسان المحسن ذكرى وحياة في الدنيا فيبقى ذكره واحسانه خالدا في حال حياته وبعد مماته يذكر بخير وهو خير ايضا له في الآخرة لان له اجرا مخصوصا يثاب عليه ودرجات مخصوصة ايضا يفوز بها يوم التفاخر بالاعمال فاحسن ذكرى تبقى للانسان من وصل رحمه واحسن اليه واستفقده في السراء والضراء واعانه بما يقدر عليه وكل انسان بحسبه وطاقته لايكلف الله نفسا الا وسعها ، والحديث الثاني تقدم الكلام عليه غير مرة فراجعه ، وكذلك الحديث الثالث فلا حاجة للاعادة .

وقوله « عبد بن حميد » هو الامام الحافظ ابو محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي مصنف المسند الكبير والتفسير وغير ذلك . واسمه عبد الحميد

فخفف، رحل فى طالب العلم وتلقى من فحول علماء الحديث وروى عنه خلق كثير وكان من الائمة الثقات وعلق له البخارى فى دلائل النبوة من صحيحه توفى سنة تسع واربعين ومائتين والله اعلم *

٢١٣ « عَبْدِى الْمُؤْمِنُ أَحَبُّ الَىَّ مِنْ بَعْضِ مَلَائِكَتِى » رواه الطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة *

ش المؤمن من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر قولا وفعلا واعتقادا ، والايمان التصديق والاذعان مع طمأنينة وتحقيق بما تقدم ، واحب افعل تفضيل اى اكثر حبا من غيره ، والملائكة جمع ملك وهى اجسام نورانية لطيفة مبرأة من كدورات نفسانية وظلمات حيوانية مقتدرة على تشكلات مختلفة معصومون عن المخالفة ، منهم وسائط بين الله وبين انبيائه المبعوثين الى الخليقة - ومنهم الموكل بحمل العرش ومنهم الموكل بالصور : ومنهم الموكل بالموت : ومنهم الراكع يسبح الله وينزهه : ومنهم الساجد كذلك ولكل مقام معلوم ومرام مقسوم لا ياكلون ولا يشربون نعم غذاؤهم التسبيح والتهليل والتكبير الى غير ذلك من انواع العبادة ؛ وفى حديث مسلم عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا « خلقت الملائكة من نور وخلقت الجن من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم » *

والمعنى ان الله تبارك وتعالى يخبر أن عبده المؤمن الذى آمن بالله واذعن وانقاد لما جاءت به الشريعة الاسلامية وعمل باحكام دينه واخلص العمل لله فى سره وجهره لا مطلق العبد المؤمن بدليل اضافته اليه عز وجل اضافة تشريف واعظام - فلا يصح ان يضاف العبد الى الله تعالى الا اذا كان مستجمعا صفات الكمال ومتجنبا صفات النقصان - احب اليه واشد حبا له من بعض ملائكته ؛ وهذا يدل على ان بعض الآدميين افضل من بعض

الملائكة وهو القول الراجح، وقد تقدم الكلام على افضلية الملائكة مطلقا واقوال العلماء فى ذلك صفحة ٩٥ فارجع اليه . والله أعلم *

١١٤ « عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا بِمَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ »

رواه ابن حبان عن ابى ذر *

ش العاقل من اتصف بالعقل وهو غريزة يتهيأ بها الانسان الى فهم الخطاب وهو مناط التكليف وبه يدرك الانسان ماينفعه ويضره ويميز به بين الغث والسمين ويعقل صاحبه عن التورط فى المهالك أى يحبسه ويمنعه من الوقوع فى مالاخير فيه ، وبه يتميز الانسان عن سائر الحيوان وكلما كمل عقل الانسان ازداد الانسان كمالا ورفعة ووجاهة بين الناس .

اذا تم عقل المرء تمت اموره وتمت امانيه وتم بناؤه

والماديون يعدون العقل نتيجة الشعور الموجود فى الانسان . والروح نتيجة التركيب الانسانى على مثال روح الحيوان ولكن ارقى من روح الحيوان لقبول الانسان الرقى دون الحيوان ، ولما اكتشف علم التنويم المغناطيسى .وفن استحضار الارواح اثبتا أن للانسان روحا متمتعة بخصائص عالية يحجبها هذا الجسد عن الظهور، واختلف الناس فى محل العقل هل هو فى القلب أو فى الدماغ ؟ قال امام الحرمين : فذهب اصحابنا من المتكلمين أنه فى القلب وبه قال جمهور المتكلمين وهو قول الفلاسفة وقالت الاطباء هو فى الدماغ وهو يحكى عن أبى حنيفة ، احتج أصحابنا بقول الله تعالى . (أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) وقوله تعالى . (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وبقوله صلى الله

تعالى عليه وآله وسلم : «الا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب» فجعل صلى الله عليه وآله وسلم صلاح الجسد وفساده تابعا للقلب مع أن الدماغ من جملة الجسد، واحتج القائلون بالدماغ بأنه اذا فسد الدماغ فسد العقل ، والجواب أن الله تعالى أجرى العادة بفساد العقل عند فساد الدماغ مع أن العقل ليس فيه ولا امتناع فى هذا ؛ وهو قسمان غريزى ومكتسب فالغريزى - أى الجبلى والطبيعى - هو العقل الحقيقى وله حد يتعلق به التكليف لا يجاوزه الى زيادة ولا يقصر عنه إلى نقصان ، والمكتسب هو نتيجة العقل الغريزى وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة واصابة الفكرة وليس لهذا حد ومنتهى يقف عنده لانه ينمو ويزيد ان استعمل وينقص ان اهمل ؛ وهو لا ينفك عن العقل الغريزى لانه نتيجة منه . وقد ينفك العقل الغريزى عن العقل المكتسب لعدم استعماله أو لاتباعه الهوى فيكون صاحبه مسلوب الفضائل موفور الرذائل كالاحمق الذى لا تجد له فضيلة والأحمق الذى قلما يخلو من رذيلة »

والساعات جمع ساعة وهو الوقت من ليل أو نهار . والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت وان قل » . المناجاة المسارة يقال نجوته نجوا اى ساررته وكذا ناجيته ، وانتجى القوم وتناجوا تساروا . وانتجاه خصه بمناجاته والاسم النجوى » وقوله « رواه ابن حبان » تقدمت ترجمته *

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا أن على العاقل المتصف بالصفات المميزة له عن الحيوان ان يجعل له فى يومه وليلته ثلاث ساعات وأوقات . ساعة منها يجعلها للمناجات بأن يناجى ربه ويتكلم بكلام خفى وسر عن الناس لأن هذه الحالة أقرب إلى قبول المطالب والدعوات وابعد عن الرياء والسمعة بأن يسأل الله جل ذكره التوفيق للطاعات وتسهيل الطرق الصعبة

وابعاده عن المعاصى والرذائل وحفظه من المصائب والبلايا وان يختم له بسعادة الدارين وان يصلح حاله وحال إخوانه المؤمنين وان يرفع البأس والظلم والاستبداد والمطامع من أعدائه المستبدين بالضعيف والغاصبين حقه وان يغل أيدى والسنة المذبذ بين الذى يظهرون الاسلام والايمان وحب أهلهما وهم فى الحقيقة جواسيس للاجانب باجر تافه يستبدلون عرض هذه الدنيا بالنعيم الابدى والخير السرمدى والأجر العظيم الذى لاينقطع فهم اسوأ الناس فى الدنيا الزائلة ولهم يوم القيامة الخزى والعار وأشد العذاب ، وساعة يخلو فيها بنفسه ويحاسبها على ماعملته من خير وشر فى ذلك اليوم فاذا اقترفت ذنبا فيندم عليه ويستغفر الله سبحانه وتعالى ويتوب إلى الله جل ذكره ويرجع اليه ويعزم ان لا يعود إلى مثله أبدا ويخاطب نفسه ويوبخها ، واذا لم تعمل سيئة بل كان عملها دائرا بين الاعمال الخيرية والخواطر الاصلاحية فيحمد الله تعالى على أن وفقه إلى ذلك ويرجو منه استدامة التوفيق والاعانة على البر والتقوى ويحث نفسه على زيادة العمل ويرغبها ويشوقها بان كثرة العمل البار يستوجب زيادة الثواب ويرفع منزلة العبد إلى أن يكون مع النبيين والشهداء والصالحين فعليك بالمداومة على ذلك والزيادة منه؛ وساعة يخلو الانسان فيها بمطعمه ومشربه اى بما يقويه على الاعمال الصالحة من مطعم ومشرب وملبس وينوى بذلك التقوى بهذه الأشياء على طاعة الله تبارك وتعالى والقيام باداء الواجبات والمندوبات فتكون هذه الاشياء المباحة مشروعة ومسنونة فيثاب عليها ويجزى بها، ولاشك أن المطعم والمشرب والملبس من الامور الضرورية للانسان التى تصان بها حياته وجسمه وتحفظها من الانحلال والتغير والضعف وهذا بالنسبة لما يقومها ويبقيها من القوت الضرورى والمشرب

والملبس كذلك وما زاد عن القوت الضروري فيكون مباحا ما لم يؤد إلى ضرر بالجسم او العقل فيكون ممنوعا منه شرعا وطبا . « وأضيف المطعم والمشرب اليه إشارة إلى أن المطعم والمشرب والملبس الذي يختص بالشخص مما يملكه باذن شرعي ويكون حلالا أي لا يطعم الا مما اباحه الشرع وجوزه وكذلك المشرب والملبس . وهذه هي الحياة الطيبة وصاحبها دائما في نعيم وراحة فكر وصحة جسم فنسأل الله ان يوفقنا لأن نغلب أنفسنا ونصيرها مركبا تطيعنا في كل امر ونحظى بالصحة والهناء في الدنيا والسرور والثواب والجزاء في دار الآخرة *

١٥ ‌أ « قَسَمْتُ الصَّلاةَ بيني وبينَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ولِعَبْدِي ما سَأَلَ فَاذا قالَ العَبْدُ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمِينَ قالَ الله حَمَدَنِي عَبْدِي فَاذا قالَ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ قالَ الله أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي فَاذا قالَ العَبْدُ مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ قالَ مَجَّدَنِي عَبْدِي وإذا قالَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قالَ هذا بَيْنِي وبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ فَاذا قالَ اهْدِنا الصِّراطَ الى آخره قالَ هذا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ » رواه احمد . ومسلم . وابو داود . والترمذي . والنسائي . وابن حبان . وابن ماجه عن ابي هريرة *

ش القسم - بفتح أوله وسكون ثانيه - مصدر قسم الشيء فانقسم اى أفراز النصيب ، والقسم - بكسر أوله وسكون ثانيه - الحظ . والنصيب من الخير فيقال : هذا قسمي والجمع اقسام . وقسمة الميراث والغنيمة تفريقهما

على اربابهما ، والصلاة هى العبادة المخصوصة المشتملة على التكبير والتسبيح والقراءة واصلها الدعاء وهى من العبادات التى لم تنفك شريعة منها وان اختلفت صورها بحسب شرع فشرع ولهذا قال الله عزوجل . (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) والمراد بها هنا قراءة الفاتحة لاشتمالها عليها من إطلاق الكل وارادة الجزء لما يدل عليه تمام الحديث ، والحديث الذى فى أول الكتاب جاء مصرحا بذلك وقد تقدم ذكره صفحة ٤ وذكرنا ما يتعلق به اجمالا ونذكر الآن ما يتمم ذلك .

والمعنى ان الله تباركت اسماؤه وتنزهت صفاته اخبرنا أن الفاتحة التى اشتملت عليها الصلاة قسمها بينه عز وجل وبين عبده نصفين فيصح أن تكون القسمة من جهة المعنى دون اللفظ لان نصف الدعاء يزيد على نصف الثناء ونصفها الأول تحميد لله تعالى ذكره وتمجيدله وثناء عليه . ونصفها الثانى سؤال وتضرع وافتقار ، ويحتمل أن تكون باعتبار اللفظ. لأنها سبع ايات بدليل حديث أول الكتاب قال الله تعالى : « ابن آدم انزلت عليك سبع آيات ثلاث لى . وثلاث لك . وواحدة بينى وبينك » الحديث فثلاث منها ثناء . وثلاث دعاء والآية المتوسطة نصفها ثناء ونصفها دعاء . فنصفها لله عز وجل خاص به وهى الثلاث الآيات الأول ، ونصفها للعبد خاص به وهو من (اهدنا الصراط المستقيم) الى آخر السورة . وقوله (اياك نعبد واياك نستعين) بين الله عزوجل وبين عبده ، قال استاذنا الجليل الشيخ محمود محمد خطاب السبكى رحمه الله تعالى فى شرحه على سنن أبى داود : وإضافة العبد إلى ربه لتحققه بصفات العبودية وقيامه بحق الربوبية وشهوده لآثارهما وأسرارهما فى صلاته التى هى معراج الأرواح وروح الاشباح وغرس تجليات الأسرار التى يتخلى بها الاحرار عن الأغيار ، ولما كان وصف العبودية غاية الكمال اذ به ينصرف الانسان من الخلق الى الحق وصف الله تعالى به

نبينا صلى الله عليه وءاله وسلم فى مقام الكرامة فقال :(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) وقال عز وجل :(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده)وقال: (فاوحى إلى عبده ما أوحى) وقوله فى الحديث : «ولعبدى ماسأل»أى ان الله عز وجل وعد عبده اذا سأله شيئا ان يعطيه ويمنحه أياه ويجيب دعاءه بشرط أن يكون مشروعا غير مشتمل على مايمنع شرعا وعقلا،وقوله « اذاقال العبد الحمد لله رب العالمين » بيان للصلاة التى قسمها الله جل وعز بينه وبين عبده . وبيان لمعنى القسمة لها؛ فذكر صلى الله عليه وءاله وسلم مايقوله الله تعالى عند قراءة العبد كل ءاية منها وأعلم العبد أنه يسمع قراءته وحمده وثناءه عليه وتمجيده اياه ودعاءه ورغبته سماعا يليق بعظمته وجلاله فكل حمد وثناء يصدر عن نعمة مافهوله تعالى لأنه مصدر كل نعمة فى الكون تستوجب الحمد ومنها نعمة الخلق والايجاد والتربية والتنمية،وهو الرحمن كثير الرحمة وغزيرها التى وسعت كل شىء . ورحيم بعباده يعفو ويصفح يكرم ويحلم، وهو المالك ليوم الدين له السلطان المطلق والسيادة التى لانزاع فيها لاحقيقة ولا ادعاء والعالم كله يكون فيه خاضعا لعظمته ظاهرا وباطنا يرجو رحمته ويخاف عذابه ذلك اليوم يوم الجزاء يوم الحساب يوم العرض على رب الأرباب يوم تظهر فيه الأعمال ويقول: كل شخص نفسى نفسى يوم لايملك الانسان شيئا بل الأمر كله يومئذ لله قال الله تعالى :(وما أدراك ما يوم الدين ثم ماأدراك مايوم الدين يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله)؛أخرج ابن جرير . والحاكم وصححه عن ابن مسعود وناس من الصحابة انهم فسروا يوم الدين بيوم الحساب . وكذا رواه ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس . واخرج عبد الرزاق . وعبد بن حميد . وابن جرير عن قتادة قال : يوم الدين يوم يدين الله العباد بأعمالهم، وهو

الذي يعبد وبه يستعان اى لا يعبد غيره ولا يستعان استعانة حقيقية الا به، والعبادة أقصى غايات الخضوع والتذلل فاجتث الله بقوله ذلك جذور الشرك والوثنية التي كانت فاشية في جميع الامم الغابرة وهي اتخاذ أولياء من دون الله تعتقد لهم السلطة الغيبية ويدعون لذلك من دون الله . ويستعان بهم على قضاء الحوائج في الدنيا ؛ ويتقرب بهم الى الله زلفى . وجميع ما في القرءان من آيات التوحيد ومقارعة المشركين هو تفصيل لهذا الاجمال، وقوله « اهدنا الصراط المستقيم » الهداية الارشاد او التوفيق أو الالهام أو الدلالة . والصراط الطريق . والمستقيم الواضح الذي لا اعوجاج فيه - وهو دين الاسلام - ممن أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير طريق المغضوب عليهم ولا الضالين اى غير المنعم عليهم، وهما فريقان فريق ضل عن صراط الله . وفريق جحد وعاند من يدعو اليه فكان محفوفا بالغضب الالهي والخزي في هذه الحياة الدنيا وهما اليهود والنصارى، اللهم اهد الخلق لاقوم الطرق واوضحها وأسهلها وهو دين الاسلام الذي ليله كنهاره لا يضل عنه الا هالك، وفي هذا القدر كفاية والله أعلم *

١١٦ « عِبَادٌ لِي يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ مُسُوكَ الضَّأْنِ وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ وَأَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ يَخْتِلُونَ النَّاسَ بِدِينِهِمْ أَبِي يَغْتَرُّونَ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ فَبِي أَقْسَمْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً تَذَرُ الحَلِيمَ فِيهِمْ حَيْرَانَ »

رواه ابن عساكر عن عائشة *

ش المسوك - جمع مسك بفتح أوله وسكون ثانيه - الجلود جمع جلد، والضأن ذوات الصوف من الغنم الواحدة ضائنة والذكر ضائن وهو ضد

الماعز ، والقلوب جمع قلب وهو الفؤاد وسمى قلبا لكثرة تقلبه ، ويعبر بالقلب عن المعانى التى تختص به من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك ، والصبر ـ بفتح الصاد وكسر الباء الموحدة فى الاشهر وسكونها للتخفيف لغة قليلة ـ الدواء المر المعروف ، ويختلون يطلبون طلب خداع ومراوغة يقال ختله ويختله اذا خدعه وراوغه . وختل الذئب الصيد اذا تخفى له ، والدين يقال للطاعة والجزاء واستعير للشريعة ، ويغترون يخدعون يقال : اغتر الرجل واغتر بالشيء خدع به ، ويجترؤن يقدمون بجرأة أى شجاعة . والجرىء ـ بالمد ـ المقدام وجرأه عليه تجرئة فاجترأ ، واجترأ على القول أسرع بالهجوم عليه من غير توقف والاسم الجرأة ، والقسم ـ بفتح أوله وثانيه ـ اليمين . واقسم حلف ، اللبس الخلط والتشبه والتشكيك ، والفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار ، وتذر تدع ، والحليم العالم العاقل ، والحلم الاناة والتثبت فى الامور . والحيران الذى لا يدرى وجه الصواب . ورجل حائر بائر اذا لم يتجه لشيء ، وقوله « رواه ابن عساكر » تقدمت ترجمته صفحة ٦٦ وضعف الحديث لا يخفى والله أعلم ه

والمعنى أن من عباد الله جل ذكره عبادا يظهرون للناس ويلبسون جلود الشياه ـ وهو كناية عن اظهار اللين فى كلامهم وحنانهم وحسن أخلاقهم ـ وهم فى الحقيقة ذئاب قلوبهم التى يعقلون بها امر من الصبر . والسنتهم بين الناس أحلى من العسل تشتهى ان تسمع منهم وتجالسهم ولا تفارقهم يختلون الناس بدينهم ويخدعونهم ويطلبون بذلك عمل الدنيا بالآخرة ويراوغونهم كما يراوغ الذئب الصيد اذا تخفى له ، وهذا غرور منهم بالله عز وجل واغترار به وجرأة عليه جل ذكره لأن الخالق خلقه والعباد عبيده فكيف يقدمون على هذه الاعمال ولا يبالون بأن اهذه الخلائق ربا والها وخالقا يحفظهم من امثال هؤلاء المختالين الذئاب فيخبر الله بأنه اقسم وحلف

ليلبسنهم ويخلطن عليهم ويوقعهم فى الشكوك جزاء فعلهم ذلك فتنة وابتلاء وامتحانا تذر وتترك العاقل العالم المتثبت فى الأمور متحيراً لايقدر على دفعها فكيف بغير الحليم ؟ ويصدق هذا على من يتظاهر بالدين والتقوى ويلين للناس فى الكلام والاخلاق ويتساهل فى أحكام الدين فترغب فيه العوام ويقبلون عليه ويصيرون من حزبه فتجلب له الأموال ويحظى بالرياسة والوجاهة وكثرة الاتباع وهو فى الحقيقة جهول غشاش لأن ما يدعو اليه ظاهرا انما هو لغرض دنيوى ومن حطام الدنيا لذلك تجد قلوبهم غير موافقة لعملهم لأن السنتهم فى الأقوال والدعاوى احلى من العسل وقلوبهم وافئدتهم خالية من الاخلاص والورع والنية الصالحة فهى امر من الصبر فنسأل الله أن يهديهم لأقوم الطرق وأحسنها؛ ويصدق ايضا على من يدعى الولاية والخلافة من عوام الجهال ويدعون الناس الى الانضمام لشيعتهم ويحسنون لهم كثيرا من البدع والخرافات ويضلون طريق الهدى عليهم بألسنة أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر المعروف يخدعونهم بلين أقوالهم لينجذبوا اليهم ويصيروا عبيدا لهم يأتمرون بأمرهم وينتهون بنهيهم، فهؤلاء أيضا يغترون بالله عز وجل ويجترؤن عليه فلهم فتنة يلبس الله عليهم فيها تترك الحليم العاقل العالم حيران لايدرى مايفعل فما بالك بغيره والله أعلم *

١١٧ « عَلَامَةُ مَعْرِفَتِى فِى قُلُوبِ عِبَادِى حُسْنُ مَوْقِعِ قَدَرِى أَنْ لَا أُشْتَكَا وَأَنْ لَا أُسْتَبْطَأَ وَأَنْ لَا أُسْتَحْيَا » رواه الديلمى عن ابى هريرة *

ش العلامة السمة جمعها علام وعلامات . والعلامة ايضا الفصل بين الأرضين . وشىء منصوب فى الطريق يهتدى به ، والمعرفة والعرفان

ادراك الشيء بتفكر وتدبر لاثره وهو اخص من العلم . ويضاده الانكار؛ والقدر - بفتحات - وقد يسكن داله مصدر قدر يقدر وهو ماقضاه الله تعالى وحكم به من الامور ، وقوله « ان لا اشتكا » اى لا يشكو العبد من الله تعالى وحكمه . وان لا استبطأ اى يستبطيء العبد مولاه بأن دعاه وانتظر الاجابة وقال ان الله جل ذكره استبطأ اجابتي واخرها مثلا ، يقال بطؤ وتباطأ واستبطأ وابطأ فطن اذا تخصص بالبطء . وتباطأ تحرى وتكلف ذلك واستبطأ طلبه وابطأ صار ذا بطء ويقال : وبطأ وابطأه ، وقوله « وان لا استحيا » يجوز ان يكون من الاستحياء طلب الحياء ، وان يكون من الاستحياء الاستبقاء ولعل الاول أقرب الى الفاظ الحديث ه

والمعنى ان الله جل ذكره اخبر أن علامة معرفته جل وعز في قلوب عباده حسن موقع قدره وحكمه وقضائه عندهم حيث ان احدهم اذا أصابه شيء من بلايا الدنيا وامتحاناتها واختباراتها يصبر ويصمد لها ولا يشكو الله سبحانه وتعالى الى غيره ولا يشتكى أيضا إذا مسه أذى فى جسده وماله وأولاده وأقاربه بل يرضى بقضاء الله سبحانه وحكمه ولا يقول الاخيرا ويحمد الله جل ذكره ويصبر لحكمه وقضائه فعل هذا يدل أنه عرف الله وآمن بقضائه وقدره . وقدر الله يجب الايمان به كله خيره وشره ؛ حلوه ومره نفعه وضره . ومذهب أهل الحق اثبات القدر والايمان به كله . وقد جاء من النصوص القطعيات فى القرءان العزيز والسنن الصحيحة المشهورات فى اثباته ما لا يحصى من الدلالات ، وذهبت القدرية الى انكاره وان الامر أنف - أى مستأنف لم يسبق به علم الله - تعالى الله عن قولهم الباطل علوا كبيرا . وقد جاء فى الحديث تسميتهم مجوس هذه الامة لكونهم جعلوا الأفعال لفاعلين فزعموا ان الله تعالى يخلق الخير وان العبد يخلق الشر جل ثناؤه عن قولهم الباطل ، وكذلك اذا طلب من الله شيئا ولا يلح فى الطلب

ولا يستأخره ويستبطئه ويقول : أن الله تعالى أخر طلبي ولم يعجله لى ولربما ظن أن تأخير الله طلبه واجابته عدم قدرته عليه واستطاعته فيقع فى الهلاك نسأل الله العافيـة ، وأن لا يستحيي أحدنا من الله جل ذكره فيقدم على المعاصى ولا يبالى لأن المستحى ينقطع بحيائه عن المعاصى وان لم يكن تقية وان الحياء من الله فوق ذلك . روى الترمذى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « استحيوا من الله حق الحياء . قال : قلنا يانبى الله انا لنستحيى والحمـــد لله قال . ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وماحوى ولتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء » ، وروى ابن ماجه بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى ﷺ قال : « ان الله عز وجل اذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء فلم تلقه الا مقيتا ممقتا فاذا لم تلقه الا مقيتا ممقتا نزعت منه الأمانة فاذا نزعت منه الأمانة لم تلقه الا خائنا مخونا فاذا لم تلقه الا خائنا مخونا نزعت منه الرحمة فاذا نزعت منه الرحمة لم تلقه الا رجيما ملعنا فاذا لم تلقه الا رجيما ملعنا نزعت منه ربقة الاسلام » ، والربقة بكسر الراء وفتحها واحدة الربق وهى عرى فى حبل تشد به البهم وتستعار لغيره ، وروى البخارى ومسلم عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الحياء لايأتى الا بخير » . وفى رواية لمسلم « الحياء خير كله » وروى الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الحياء والايمان قرناء جميعا فاذا رفع أحدهما رفع الآخر » *

هذا أحد احتمالين فى قوله « وان لا استحيا » وهو الأقرب ويحتمل ان يكون من

الاستحياء الاستبقاء أى يعتقد الشخص اويظن ان الله سبحانه وتعالى غير باق لأن اجابته تأخرت أوطال مرضه وازمن وهو يدعو الله أن يشفيه من ذلك ويذهب ما به من البلاء ، وفى القلب من الحديث شىء . والله أعلم .

١١٨ « عَبْدِى انَا عِنْدَ ظَنِّكَ بِى وَانَا مَعَكَ اذَا دَعَوْتَنِى » رواه الحاكم عن انس .

ش الحديث تقدم ذكره وشرحه صفحة ٩٢ فارجع اليه .

١١٩ « قَالَ اللهُ لِلنَّفْسِ اُخْرُجِى قَالَتْ لَا أَخْرُجُ الَّا وَأَنَا كَارِهَةٌ قَالَ اخْرُجِى وَاِنْ كَرِهْتِ » رواه البزار . والديلمى عن ابى هريرة .

ش النفس ـ بفتح أوله وسكون ثانيه ـ الروح يقال : خرجت نفسه ، والنفس الدم يقال . سالت نفسه . والنفس الجسد . ونفس الشىء عينه ، والمراد به هنا الروح ، والروح للحيوان مذكر وجمعه أرواح . قال ابن الانبارى . وابن الأعرابى : الروح . والنفس واحد غير ان العرب تذكر الروح وتؤنث النفس ، وقال الأزهرى ايضا : الروح مذكر . وقال صاحب المحكم . والجوهرى : الروح يذكر ويؤنث وكأن التأنيث على معنى النفس ، قال بعضهم : الروح النفس فاذا انقطع عن الحيوان فارقته الحياة ، وقالت الحكماء : الروح هو الدم ولهذا تنقطع الحياة بنزفه وصلاح البدن وفساده بصلاح هذا الروح وفساده . ومذهب أهل السنة ان الروح هو النفس الناطقة المستعدة للبيان وفهم الخطاب ولا تفنى بفناء الجسد وانه جوهر لا عرض . ويشهد لهذا قوله تعالى : (بل احياء عند

ربهم يرزقون) والمراد هذه الأرواح ، والكره والكراهية المشقة التي تنال الانسان من خارج فيما يحمل عليه باكراه. أوما يناله من ذاته وهو يعافه، وذلك على ضربين احدهما مايعاف من حيث الطبع. والثانى مايعاف من حيث العقل والشرع ولهذا يصح أن يقول الانسان فى الشىء الواحد. انى أريده واكرهه بمعنى انى اريده من حيث الطبع واكرهه من حيث العقل أو الشرع او اريده من حيث العقل او الشرع واكرهه من حيث الطبع ❋

والمعنى أن الله جل ذكره يقول للنفس أى للروح التى بين جنبى العبد ومابه حياته اخرجى من جسد عبدى فقد انقضى اجله وانصرم عمره وانتهت مدة اتصالك به وحلولك فيه وتعلقك به تقول : لاأخرج من جسدى الذى حللت فيه وعلقت به وانا راضية مرضية فانه يصعب على مفارقته وتركه ولى بصحبته مدة طويلة قلت أو كثرت لأنها تمتنع وتأبى على الله وتعصى امره جل وعز بل يعز عليها الخروج وترك الجسد منفردا وحيدا بدونها - بل اذا أردت خروجى فأخرج كارهة لذلك غير راضية بذلك فيقول لها المولى جل ذكره . اخرجى وان كرهت فتخرج كارهة، والروح لها بالبدن تعلقات كثيرة تتغاير أحكامها ❋

قال العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد الشهير بابن قيم الجوزية فى كتابه - الروح -: ان الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الاحكام أحدها تعلقها به فى بطن الام جنينا ، الثانى تعلقها به بعد خروجه الى وجه الأرض ، والثالث تعلقها به فى حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه ، الرابع تعلقها به فى البرزخ فانها وان فارقته وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لايبقى لها التفات اليه البتة ، الخامس تعلقها به يوم بعث الأجساد ، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن - ولا نسبة لما قبله

من أنواع التعلق اليه اذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا فسادا وأما قوله تعالى: (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى) فامساكه سبحانه التى قضى عليها الموت لا ينافى ردها الى جسدها الميت فى وقت ما ردا عارضا لا يوجب له الحياة المعهودة فى الدنيا، واذا كان النائم روحه فى جسده -وهو حى- وحياته غير حياة المستيقظ فان النوم شقيق الموت فهكذا الميت اذا أعيدت روحه الى جسده كانت له حال متوسطة بين الحى وبين الميت الذى لم ترد روحه إلى بدنه كحال النائم المتوسطة بين الحى والميت فتأمل هذا يزيح عنك اشكالات كثيرة انتهى. واذا اردت ما يتعلق بمباحث الروح اوسع من هذا فعليك بهذا الكتاب تجد ما يشرح صدرك والله أعلم.

١٢٠ « كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا » رواه البخارى عن ابن عباس.

١٢١ « كَذَّبَنِي عَبْدِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِي » رواه ابن خزيمة عن انس.

١٢٢ « كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ وَإِنْ

سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما اذا أفطر فرح بفطره واذا لقي ربه فرح بصومه» رواه الشيخان والنسائي. وابن حبان عن ابي هريرة ٭

١٢٣ «كل عمل ابن آدم هو له الا الصوم هو لي وأنا أجزى به وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود. والطبراني وابن النجار عن ابن مسعود وابن عساكر عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ٭

ش الحديث الأول تقدم ذكره صفحة ١٣٣ بالفاظ قريبة من هذا وأشبعنا الكلام عليه. وزاد هنا لفظ «صاحبة» الصاحبة والصاحب الملازم انسانا كان أو حيوانا أو مكانا أو زمانا . ولا فرق بين ان تكون مصاحبته بالبدن - وهو الأصل والأكثر - أو بالعناية والهمة وعلى هذا قول الشاعر

لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي

ولا يقال في العرف الالمن كثرت ملازمته ٭

والحديث الثاني قريب من الحديث الأول وذكره له لاختلاف الرواة له ، والحديث الثالث تقدم ذكره صفحة ١٠٨-١١٠ وزاد هنا في هذه

الروايه الفاظاتتعرض لشرحها ان شاء الله تعالى فنقول . قوله « فلا يرفث » أى فلا يقل قول فحش اولا يجامع ، وقال الازهرى : الرفث كلمة جامعة لكل مايريده الرجل من المرأة ؛ وقال كثير من العلماء . ان المراد به فى هذا الحديث الفحش وردى . الكلام . وقوله « ولا يصخب » أى ولا يرفع صوته فى الخصام ويضطرب بهذيان يقال . رجل صخب وصاخبة وصخاب وصخبان اى كثير اللغط والجلبة ، والمراد بالنهى عن ذلك تأكيده حالة الصوم والافغير الصائم منهى عن ذلك ايضا ، وقوله « فليقل انى امرؤ صائم » يحتمل القول اللسانى ليندفع عنه الخصم أو النفسى بأن يتفكر فى نفسه انه صائم لا يجوز له الغضب او السب اوهما معا فيكون اكمل ؟ ، وقوله « والذى نفس محمد بيده » قسم من النبى صلى الله عليه وآله وسلم للتأكيد وتحقيق الحكم ، والخلوف ـ بضم الخاء وفتحها وحكى الخطابى الضم وغلط من فتح وتبعه على ذلك كثير من العلماء وبالغ النووى فى شرح المهذب فقال : لا يجوز فتح الخاء ، وهو مجاز عن القبول والرضا به ، وقوله « للصائم فرحتان » الخ قال القرطبى . معناه فرح بزوال جوعه وعطشه حيث ابيح له الفطر وهذا الفرح طبيعى وهو السابق للفهم ، وقيل . ان فرحه بفطره انما هو من حيث انه تمام صومه وخاتمة عبادته وتخفيف من ربه ومعونة على مستقبل صومه ، قال الحافظ ابن حجر . قلت . ولا مانع من الحمل على ماهو اعم مما ذكر ففرح كل احد بحسبه لاختلاف مقامات الناس فى ذلك فنهم من يكون فرحه مباحا وهو الطبيعى . ومنهم من يكون مستحبا وهو من يكون سببه شىء مما ذكره . واذا لقى ربه فرح بصومه اى بجزائه وثوابه . وقيل : الفرح الذى عندلقاء ربه اماالسرور بربه او بثواب ربه على الاحتمالين ، والثانى اظهر اذ لا ينحصر الأول فى الصوم بل يفرح حينئذ بقبول صومه

وترتب الجزاء الوافر عليه؛ وقد وردت احاديث كثيرة فى النهى عن الاعمال والاقوال غير المستحسنة فى الصيام، منها مارواه البخارى . وابو داود . والترمذى . والنسائى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه » وعند ابن ماجه « من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به »، وروى ابن خزيمة . وابن حبان فى صحيحيهما . والحاكم وقال . صحيح على شرط مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس الصيام من الاكل والشرب انما الصيام من اللغو والرفث فان سابك احد اوجهل عليك فقل انى صائم انى صائم »، وروى ابن ماجه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر » والحديث الرابع كالثالث والله اعلم *

١٢٤ « لَأَنتَقِمَنَّ مِنَ الظَّالِمِ فِي عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ وَلَأَنتَقِمَنَّ مِمَّنْ رَأَى مَظْلُومًا فَقَدَرَ أَنْ يَنْصُرَهُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ » رواه ابو الشيخ عن ابن عباس . والطبرانى عن ابى الدرداء *

ش الانتقام تقدم تفسيره صفحة ١٠١ ، والظالم ايضا تقدم صفحة ٢٨ فارجع اليهما ، والعاجل الحاضر . والعجل والعجلة ضد البطء . وعاجله بذنبه اذا اخذه به ولم يمهله ، والآجل ضد العاجل *

والمعنى ان الله سبحانه وتعالى اخبر لينتقمن من الظالم ويعاقبنه فى عاجله اى فى الدنيا وآجله اى فى الآخرة لان الظالم اضر بنفسه فأوردها المهالك، والظلم جاءت جميع الشرائع باستقباحه والتنفير منه واستفظاعه ، وجاء فى القرآن الحكيم آيات كثيرة تندد بالظالم وتتوعده بالعذاب الاليم

فى الدنيا والآخرة قال الله تعالى: (وما للظالمين من أنصار) وقال تعالى (والظالمون مالهم من ولى ولا نصير)، وقال تعالى: (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع)، وقال تعالى: (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) وقال عز وجل: (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)*

وكذلك وردت احاديث فى ذلك منها الحديث القدسى الذى تقدم ذكره صفحة ١٤١ « انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا» الحديث وذكرنا شرحه هناك مستوفى فارجع اليه، ومنها مارواه مسلم وغيره عن جابر رضى الله عنه « ان رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم قال: اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »، وروى البخارى. ومسلم والترمذى عن ابى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ. « ان الله ليملى للظالم فاذا اخذه لم يفلته ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه اليم شديد »، وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ بعث معاذا إلى اليمن فقال: اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » رواه البخارى. ومسلم وأبو داود. والنسائى فى حديث والترمذى مختصرا هكذا واللفظ له ومطولا كالجماعة، وكذلك توعد الله فى هذا الحديث بالانتقام والعذاب من قدر على نصر المظلوم وتباطأ عنه ولم ينصره، وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم: « انصر اخاك ظالما أو مظلوما قالوا: يارسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما؟ فقال: تأخذ فوق يديه» رواه البخارى. ومسلم. والترمذى، وروى ابو داود عن جابر. وأبى طلحة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم قال:

« مامن مسلم يخذل امرأ مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته ومامن امرىء ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته » ، وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم قال « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى هنا ـ يشير الى صدره ـ بحسب امرىء من الشر ان يحتقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » رواه مسلم ، وحديث الباب ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب وقال: رواه أبو الشيخ أيضا فيه من رواية احمد بن محمد بن يحيى وفيه نظر عن أبيه ، وجد المهدى هو محمد بن على بن عبدالله بن عباس وروايته عن ابن عباس مرسلة والله اعلم ٥

١٢٥ « لَسْتُ بِنَاظِرٍ فِى حَقِّ عَبْدِى حَتَّى يَنْظُرَ عَبْدِى فِى حَقِّى »

رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس ٥

ش معنى الفاظه ظاهرة ، والمعنى ان الله تبارك وتعالى اخبرنا أنه لا ينظر فى حق عبده ومصالحه حتى ينظر العبد فى حق مولاه جل وعز ، وحق الله سبحانه وتعالى ينقسم الى قسمين الأول يتعلق بالأعمال والأفعال الظاهرة من صلاة . وصيام . وحج . وزكاة . واجتناب الكبائر . والتباعد عن الصغائر ومعاونة العباد والاحسان اليهم وغير ذلك مما جاءت به الشريعة الغراء ، والقسم الثانى يتعلق بالاعتقاد والأعمال الباطنة كاعتقاد أن الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ليس كمثله شىء وهو السميع البصير وان الله أرسل رسلا وأنبياء لارشاد الخلق وتبيين

طريق الحق يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . فيذعن العبد لهم وينقاد ويؤمن بما جاءوا به اجمالا وتفصيلا ، ويؤمن بالكتب المنزلة على الرسل جميعا وأنها من عند الله جل وعز اجمالا وتفصيلا ، ويؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى وحكمه وقضائه *

وحق العبد ان يتولى الله رعاية عبده وحفظه وستره ويضمن له الرزق ويوفقه لصالح الأعمال ويحببه إلى خلقه ويسهل له الأمور ويكثر له الحسنات ويمحو عنه السيئات ويعفو عن مساويه ويرفع منزلته دنيا وأخرى ويدخله الجنة وينعم عليه باشياء كثيرة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر *

فمتى قام العبد بحقوق الله جل ذكره وتعالت اسماؤه تجلى الله جل وعلا على عبده وأسدل عليه نعمه وبره واحسانه ووفقه لما يرضى ويحب، فعلى الانسان ان لا يغفل عن الاعمال الصالحة ويضيع وقته فى قيل وقال وإذا شتم هذا وظلم ذاك وجار فانه يأتى يوم القيامة وهو صفر اليدين من الحسنات فيلقى عذاب ربه وحتف نفسه، اللهم انى اسألك ان توفقنا الى صالح الأعمال وتجنبنا مساويها انك على ماتشاء قدير *

١٢٦ « لَقَدْ خَلَقْتُ خَلْقًا أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ فَبِي حَلَفْتُ لَأُتِيحَنَّهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانَ فَبِي يَغْتَرُّونَ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ » رواه الترمذي عن ابن عمر *

١٢٧ « لَوْ أَنَّ عَبْدِي اسْتَقْبَلَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ ذُنُوبًا لَا يُشْرِكُ

بى شيئا استقبلته بقرابها مغفرة » رواه الطبرانى عن ابى الدرداء*

ش الحديث الأول تقدم ذكر مثله مع تغيير فى بعض الفاظه صفحة ١٤٥، وقوله «لاتيحنهم» لاقدرن وانزلن بهم فتنة يقال: اتاح الله لفلان كذا أى قدره له وانزله به. وتاح له الشىء، وباقى الشرح تقدم، والحديث الثانى تقدم باطول من ذلك صفحة ١٣٧ فارجع اليه والله أعلم *

١٢٨ « لو أنّ عبادى أطاعونى لأسقيتهم المطر بالليل ولأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولما أسمعتهم صوت الرعد» رواه أحمد والبزار والحاكم عن ابى هريرة *

ش السقى. والسقيا أن يعطيه ما يشرب. والاسقاء ان يجعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء، فالاسقاء أبلغ من السقى لأن الاسقاء هو أن تجعل له ما يسقى منه ويشرب قاله الراغب فى مفرداته، والمطر الماء المنسكب وماء السحاب وجمعه امطار، والرعد صوت السحاب وروى أنه ملك يسوق السحاب، وقيل: رعدت السماء وبرقت وأرعدت وأبرقت. ويكنى بها عن التهدد *

والمعنى - والله أعلم - ان الله جل وعلا يخبرنا أن عباده لو أطاعوه ليسقينهم المطر بالليل فينتفع بها الزرع والبهائم والآدميون فلا يحصل لهم عطلة فى نهارهم لمعاشهم بل يصبح كل يزاول عمله ولا تشل حركة القوافل فى البرارى والقفار وحركة المشى والسعى فى المدن والقرى تسهيلا للعباد ورأفة بهم، وليطلعن الشمس على العباد فى النهار لتجف الأراضى التى اصابتها الماء والطرق التى يسلكها العباد وتذهب المكروبات التى تدنو من الشمر

والشجر وتلصق بها ، ولما اسمع عباده صوت الرعد خوفا من ان يصيبهم رعب اواذى من صوته؛ فياعباد الله اطيعوا ربكم فى جميع أعمالكم وقوا أنفسكم من عذاب الله وارحموا الضعيف والمسكين ووقروا علماءكم وشيوخكم وكبراءكم وعاونوا المحتاج وعابر السبيل ان كنتم تنتظرون المادة والمال فان الله جل ذكره وعدكم بالخير الكثير والنعم التى لا تحصى ولا تعد اذا أنتم أطعتموه فى سركم وجهركم واظهرتم شعائر الدين ونشرتم سنة الرسول ﷺ فى كل قطر وبلد وقرية وبيت ومحفل ومجتمع فاللهم انى اسألك ان تهدينا لطاعتك وطاعة رسولك صلى الله عليه وآله وسلم *

١٢٩ « لَمْ يَلْتَحِفِ الْعِبَادُ بِلِحَافٍ أَبْلَغَ عِنْدِي مِنْ قِلَّةِ الطُّعْمِ »

رواه الديلمى عن ابن عباس *

ش التحف بالثوب تغطى به واللحاف ما يلتحف به . وكل شىء تغطيت به فقد التحفت به وجمعه لحف ، والملحفة - بكسر أوله - هى الملاءة التى تلتحف بها المرأة ، والطعم - بالضم - الأكل ، وبالفتح ما يؤديه ذوق الشىء من حلاوة ومرارة وغيرهما وله حاصل *

والمعنى أن الله تبارك اسمه أخبرنا أن العباد لم يلتحفوا ويتغطوا بلحاف وغطاء يقيهم شدة البرد ويدفع عنهم الأذى ويحفظ صحتهم ويقيها من الآلام والأمراض والعلل ابلغ واحفظ. واشد وقاية عند الله من قلة الطعام فان فى قلة الطعام راحة للجسم والعقل وحفظهما من الاسقام وقد جاء القرءان بذم الشبع والاسراف فى تناول الطعام والشراب قال الله تعالى: (كلوا وأشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين) ، وبين الشرع أن شر وعاء ملأه ابن ءادم بطنه وأنه يكفيه ثلث للطعام وثلث للشراب . وثلث لنفسه

إذ كان لامحالة فاعلا . روى الترمذى . وابن ماجه . وابن حبان فى صحيحه من حديث المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لامحالة فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » *

وانما كان ملء البطن شرا لما فيه من المفاسد الظاهرة دينية ودنيوية ، فالشبع يورث البلادة ويعوق الذهن عن التفكير الصحيح وهو أيضا مدعاة الكسل والنوم فمن أكل كثيرا نام كثيرا ومن نام كثيرا ضيع وقته وقتله وهو رأس ماله فى الحياة العملية فيخسر كثيرا من مصالحه الدينية والدنيوية *

ومن وصايا لقمان لابنه يا بنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة هذا حال الشبع . وأما حال الاقلال من الطعام والشراب فالقلب يصفو والقريحة تتقد والبصيرة تنفذ والشهوة مغلوبة . والنفس مقهورة على امرها ، وقد أرشدنا صاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة والتسليم الى المقدار المناسب فى الطعام . وهو مايقيم الحياة ويحفظ الصحة ويمكن الانسان من القيام بواجبه الشخصى والمشترك وان كان لابد مكثرا منه يجعل ثلثى المعدة للطعام والشراب ويترك ثلثها الباقى خاليا حتى يتمكن من التنفس بسهولة ، وذلك ان البطن إذا امتلأت ضغطت على الحجاب الحاجز فضغط على الرئتين فضاقت مجارى التنفس الذى هو ضرورى لاصلاح الدم الفاسد وتحويله إلى دم صالح تقوم به حياة الانسان وتحفظ صحته * ولذلك جاء الترغيب فى الصوم وان الله يجزى به بنفسه لأن أكبر مهذب للانسان هو الصوم لتقليل الطعام فيه والله أعلم *

١٣٠ « لَيْسَ كُلُّ مُصَلٍّ يُصَلِّي إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ

لعظمتي وكف شهواته عن محارمي ولم يصر على معصيتي وءاوى الغريب كل ذلك لي وعزتي وجلالي ان نور وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس على أن أجعل الجهالة له علما والظلمة نورا يدعوني فألبيه ويسألني فأعطيه ويقسم علي فابره اكلؤه بقوتي واستحفظه ملائكتي مثله عندي كمثل الفردوس لا يتسنى ثمرها ولا يتغير حالها » رواه الديلمي عن حارثة بن وهب ه

ش التواضع التذلل والخشوع يقال: تواضع لله خشع وذل، والعظمة بفتحتين الكبرياء ، والكف الترك والمنع ، والشهوات جمع شهوة واصلها نزوع النفس الى ماتريده وذلك في الدنيا ضربان صادقة وكاذبة؛ فالصادقة ما يختل البدن من دونه، كشهوة الطعام عند الجوع ، والكاذبة مالا يختل من دونه . وقد يسمى المشتهى شهوة ، وقد يقال للقوة التي تشتهي الشيء شهوة ، والمحارم تطلق على المعاصي ، وعلى المنهيات وعلى ترك المأمورات؛ والاصرار التزام الشيء والمداومة عليه ، واكثر ما يستعمل في الشر والذنوب ؛ وأوى الى كذا انضم اليه وءاواه- بالمد - رق له ورحمه وضمه اليه وأنزله عنده ، والغريب الوحيد الذي لا أهل له . والبعيد عن الوطن والأقارب والأنصار ، وبر في قسمه وابر صدق وابر الله حجه قبله ، واكلؤه احرسه والكلاءة الحراسة ، والفردوس الحديقة والبستان يذكر ويؤنث عربية واشتقاقها من الفردسة وقيل لغة رومية نقلت إلى العربية والجمع فراديس ه

والمعنى اخبر الله تبارك وتعالى ان ليس كل مصل اذا صلى له ثواب صلاته وتقبل بل لها شروط وأركان وسنن ومستحبات وهيئات۔ هذا كله ظاهرا ۔ ولها شروط باطنا ۔ من التواضع لله والخشوع وكف نفسه من الوقوع فى شهواتها والنظر الى المحارم ۔ فمن اتى بها كلها قبلت صلاته وجوزى عليها وظهرت علامة ذلك عليه ، قال الله تبارك وتعالى: (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ولاشك ان الصلاة التى تنهى عن ذلك هى الصلاة المقبولة ظاهرا وباطنا فلذلك كل شخص تجده يصلى ويكثر الصلاة وهو مرتكب الذنوب والآثام فانه لم يأت بها كما أمر فانه وان أحسن الظاهر فانه لم يحسن الباطن، وقد مدح الله فى كتابه الحكيم الخاشعين فى الصلاة قال : (قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) قال ابن لهيعة عن عطاء بن يسار رحمه الله تعالى عن سعيد بن جبير: الذين هم فى صلاتهم خاشعون ۔ يعنى متواضعين لايعرف من عن يمينه ولامن عن شماله ويلتفت من الخشوع لله عز وجل ، وخرج الامام احمد . والنسائى والترمذى من حديث الفضل بن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وءاله وسلم قال : « الصلاة مثنى مثنى تشهد فى كل ركعتين . وتخشع وتضرع وتمسكن وتقنع يديك ۔ يقول ترفعهما الى ربك عز وجل ۔ وتقول يارب يارب فمن لم يفعل ذلك فهى خداج » الخداج النقصان ومعناه هنا أنه ناقص من الاجر والفضيلة ، وكذلك الاصرار والاستمرار على المعاصى والتزامها فانه يسبب رفض الصلاة وعدم قبولها ، ويأوى الغريب ويحسن اليه كل ذلك يفعله العبد لله عز وجل ، ثم أقسم المولى جلا وعز بعزته وجلاله ان من كان موصوفا بهذه الصفات الحميدة يكون نور وجهه أضوأ عنده من نور الشمس ويجعل له الجهالة ۔ اذا كان جاهلا ۔ علما ۔

اواذا كان عالما يزده علما - ويجعل له الظلمة نورا فلا يرى ظلمة امامه لاليلا ولا نهارا فمن كان متصفا بذلك يدعو الله جل وعز فيجاب دعاؤه ويلبى ويسأل فيعطى ويقسم على الله جل علاه فيبر قسمه ويصدق يمينه وزيادة على ذلك فان الله عز وجل يكلؤه ويحرسه بقوته وحوله ويستحفظه ملائكته ويكون مثله عند الله كمثل جنة الفردوس لايتغير حالها ولا يتلف ثمرها أى ان الله سبحانه وتعالى يجعله مقبولا لكل أحد قلبا وقالبا من اين اتيته وجدته نافعا ذا فائدة دينية ودنيوية اللهم وفقنا لذلك يارب *

والحديث ذكره الحافظ المنذرى بالفاظ قريبة من هذا من رواية ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل: «انما اتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصرا على معصيتى وقطع النهار فى ذكرى ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب وذلك نوره كنور الشمس اكلؤه بعزتى واستحفظه ملائكتى أجعل له فى الظلمة نورا . وفى الجهالة حلما . ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة » رواه البزار من رواية عبد الله بن واقد الحرانى وبقية رواتـــه ثقات ه

١٣١ «لَوْلَا أَنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لِعَبْدِى الْمُؤْمِنِ مِنَ الْعُجْبِ مَا خَلَّيْتُ بَيْنَ عَبْدِى الْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ الذَّنْبِ »رواه ابو الشيخ عن كليب الجهنى ه

ش الذَّنب يستعمل فى كل فعل يستوخم عقباه اعتبارا بذنب الشيء . ولهذا يسمى الذنب تبعة اعتبارا لما يحصل من عاقبته، وجمع الذنب ذنوب، والعجب - بضم العين المهملة وسكون الجيم - يقال فلان أعجب بنفسه وبرأيه - على مالم يسم فاعله - فهو معجب بفتح الجيم والاسم العجب

بضم العين الزهو والكبر وانكار مايرد على الانسان . ويظن بنفسه ماليس عند غيره فيرى رأيه صوابا ورأى غيره خطأ ، وخلاه تركه وخاليته تاركته ، وأبو الشيخ تقدمت ترجمته ، وكليب الجهني هو صحابي ه

والمعنى - والله أعلم - ان الله سبحانه وتعالى يخبرنا أن الذنب للعبد المؤمن خير له من العجب ولولا ذلك لما خلى الله جل ذكره بين عبده المؤمن وبين الذنب بأن كفه وامسكه وحفظه عن اقتراف ذنب مالان العبد اذا أذنب ذنبا صغيرا كان أو كبيرا يشعر بأنه عمل عملا سيئاً وخالف سيده وأغضب خالقه واقترف مايستحق الذم واللوم عليه من مولاه فيتراجع ويصغر في نفسه وينقبض ويرى نفسه مخطئة فيعالج طرق الرضا ويطرق باب الصلح ويتذلل ويتواضع لمولاه ليقبل ولا يؤاخذ بذنبه ويعفى من ذلك ويسامح فمن هذا ما رواه مسلم في صحيحه وغيره عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وءاله وسلم قال . « والذى نفسى بيده لولم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم » واما إذا لم يقترف ذنبا ولم يقدم على معصية وداوم على البر والتقوى فينظر الى غيره ممن غرق فى بحار المعاصى اواتى مخالفة أو ارتكب محظورا فانه يرى نفسه خالية من كل ذلك فيدخله العجب فلا يلجأ إلى بارئه ويستفتح بابه ويسأله ويتواضع له ويتذلل فلا تظهر عظمة الرب وجلاله ويخفى سر الالوهيه ه

روى البزار عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وءاله وسلم أنه قال «لولم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أكبر من ذلك العجب العجب» لأن صاحب الذنب لايأمن من مكر الله وعذابه كما قدمنا ءانفا ، ولايرى له منة وحقا عند الله تعالى بل يكون دائما فى خوف ووجل من ذنبه راجيا عفو مولاه لأنه يعرف عصيانه فيرجو له التوبة ، والمعجب مغرور بعلمه

وعمله فتوبته بعيدة فهو من قبيل (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) فالعجب يصرف وجه العبد عن الله والذنب يصرفه اليه لأن العجب ينتج الاستكبار والذنب ينتج الاضطرار ويؤدى الى الافتقار . وخير أوصاف العبد افتقاره واضطراره إلى ربه ، وعلى هذا يظهر لك سر الحديث وما اشتمل عليه من الكنوز ؛ والله أعلم *

١٣٢ « مَا تَقَرَّبَ إِلَى الْعَبْدُ بِمِثْلِ أَدَاءِ فَرَائِضِي وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَى بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ رِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ وَقَلْبَهُ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ إِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ وَإِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ » رواه ابن السنى عن ميمونة *

ش التقرب طلب القربة وأخذ المثوبة ، والفرائض جمع فريضة بمعنى مفروضة وأصل الفرض القطع وفى الشرع ماأوجبه الله تعالى والزمه عباده ، وهو أعم من أن يكون فرض عين أو كفاية ، والنوافل جمع نافلة الزيادة ، والتنفل التطوع ، والحب تقدم الكلام عليه غير مرة ، والبطش الأخذ بعنف ، والقلب تقدم الكلام عليه ص ١٤٦ فارجع اليه ه

والمعنى أن الله عز وجل أخبر أن العبد لم يتقرب الى الله ويتطلب القربة من رحمته والمثوبة من عنايته به بوسيلة عمل اليه جل ذكره من الذى فرضه عليه والزمه به وقدره ويشمل ذلك فعل الواجبات وترك المحرمات لأن ذلك كله من فرائض الله التى افترضها على عباده ، قال الحافظ زين الدين ابن رجب : واداء الفرائض افضل الاعمال كما قال عمر بن الخطاب رضى

الله عنه : أفضل الأعمال اداء ماافترض الله والورع عما حرم الله وصدق النية فيما عند الله ، وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته : أفضل العبادات اداء الفرائض واجتناب المحارم . وذلك أن الله تعالى انما افترض على عباده هذه الفرائض ليقربهم عنده ويوجب لهم رضوانه ورحمته . وأعظم فرائض البدن التى تقرب اليه الصلاة كما قال تعالى . (واسجدوا واقترب) وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد » وقال : « إذا كان أحدكم يصلى فانما يناجى ربه وربه بينه وبين القبلة » وقال « ان الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته مالم يلتفت » ومن الفرائض المقربة الى الله تعالى عدل الراعى فى رعيته سواء كانت رعية عامة كالحاكم أو خاصة كعدل آحاد الناس فى أهله وولده كما قال صلى الله عليه وآله وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » وروى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان أحب العباد إلى الله يوم القيامة وادناهم اليه مجلسا امام عادل » ، هذه درجة أولى للعبد المؤمن فاذا قام باداء الفرائض سقط عنه الطلب وخلص من ربقة التكليف *

والدرجة الثانية هى أرقى من الأولى وارفع وحال صاحبها اعلى . وهو من أتى بالفرائض وقام بها تماما وزاد عليها تقربا الى الله جل وعز النوافل والطاعات الزائدة عن الفرائض والواجبات واجتهد فيها وانكف عن دقائق المكروهات ، وهذه درجة السابقين المقربين ، ومن أعظم ما يتقرب به العبد الى هولاء من النوافل كثرة تلاوة القرآن وسماعه بتفكر وتدبر وتفهم ، روى الترمذى عن أبى أمامة مرفوعا « ماتقرب العبد إلى الله تعالى بمثل ماخرج منه » يعنى القرآن ، ومن ذلك كثرة ذكر الله الذى يتواطأ عليه القلب واللسان ، روى البزار فى مسنده عن معاذ رضى الله عنه قال قلت : يارسول الله أخبرنى بأفضل الأعمال وأقربها إلى الله

تعالى قال : « ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى » ومتى أكثر العبد من فعل الطاعات والبعد عن المخالفات اوجب ذلك حب الله فيحبه الله ومتى أحبه الله رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته فيصير الشخص لا يرى الا الله ولا يسمع الا بالله ولا يمشي الا لله ولا ينطق الا بالله ولا ينظر الا بالله ولا يبطش الا بالله الخ ؛ قال الحافظ ابن رجب : المراد من هذا الكلام - أى قوله تعالى « كنت رجله التى يمشى بها » الخ - ان من اجتهد بالتقرب الى الله تعالى بالفرائض ثم بالنوافل قربه اليه فيمتلىء قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته واجلاله والأنس به والشوق اليه حتى يصير فى قلبه من المعرفة مشاهدا له بعين البصيرة كما قيل :

ساكن فى القلب يعمره   لست انساه فاذكره
غاب عن سمعى وعن بصرى   فسويد القلب يبصره

قال الفضيل بن عياض ان الله تعالى يقول : « كذب من أدعى محبتى ونام عنى أليس كل محب يحب خلوة محبوبه ها أنا مطلع على احبابى ، وقد مثلونى بين أعينهم وخاطبونى على المشاهدة وكلمونى بحضور غدا اقر أعينهم فى جنانى » ، ومن أشار الى غير هذا فانما يشير الى الالحاد من الحلول والاتحاد والله ورسوله بريئان منه ، واذا وصل العبد الى هذه المنزلة اقتضى أنه إذا سأل الله شيئا أعطاه اياه وإذا دعاه بشىء اجاب دعاءه فيصير مجاب الدعوة لكرامته على الله تعالى ، وقد كان كثير من السلف الصالح من الصحابة وغيرهم مجاب الدعوة ولولا الاطالة لسردت لك جملة صالحة من ذلك والله أعلم .

١٣٣ « مَا تَقَرَّبَ إِلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنُ بِمِثْلِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا

وَلَا تَعَبَّدَنِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُهُ » رواه القضاعى عن ابن عباس *

ش زهد فى الشىء تركه واعرض عنه . فهو زاهد والجمع زهاد ، والدنيا عبارة عن الأعيان الثابتة وهى الأرض وما عليها من المواليد الثلاثة . وهى الجمادات ، والنباتات . والحيوانات مما للانسان فيها حظ ولذة مالية او جاهية وله فى صلاحها شغل لحظه او لحظ غيره فيندرج فيه الحرف والصناعات ، وقد تقدم معنى التقرب إلى الله عز وجل فى الحديث المتقدم ، وقد ذكرنا صفحة ١١ ان الله جل ذكره يتصف بالتقرب واتينا هناك بما يشفى الصدر فارجع اليه *

والمعنى - والله أعلم - ان الله عز وجل يخبرنا بأن العبد المؤمن ما تقرب اليه جل وعز بعمل مثل الزهد فى الدنيا ولا تعبد الله تعالى بمثل اداء الفرائض أما الزهد فى الدنيا فقد جاء القرءان بالحث عليه وتحبيبه إلى خلقه ومدحه والتنفير من ضده وذم الرغبة فى الدنيا قال الله تعالى : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى) وقال تعالى . (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وقال تعالى : (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد) وقال تعالى : (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) وقال تعالى (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) الآية ، وقال تعالى : (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) والقرءان مملوء بذلك *

ومن الأحاديث ما رواه ابن ماجه وغيره عن ابى العباس سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يارسول الله دلنى على عمل إذا عملته احبنى الله واحبنى الناس فقال : ازهد

فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» وهو حديث حسن رواه باسانيد حسنة كما قال النووى رحمه الله، وروى مسلم فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وءاله وسلم «أنه مر بالسوق والناس مكتنفوه فمر بجدى اسك ميت فتناوله فاخذ بأذنه فقال: ايكم يحب أن هذا له بدرهم؟ فقالوا: مانحب أنه لنا بشىء وما نصنع به؟ قال: اتحبون انه لكم؟ قالوا: والله لوكان حيا لما رغبنا فيه لانه اسك فكيف وهو ميت فقال: والله للدنيا اهون على الله من هذا عليكم» وقوله أسك أى مصطلم الاذنين مقطوعهما.

وخرج الترمذى من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء».

وقد أكثر الناس الكلام فى الزهد وكل اشار الى ذوقه ونطق عن حاله وشاهده، وقد سئل الرسول صلى الله عليه وءاله وسلم عن الزهد فاجاب خرج الترمذى وابن ماجه من رواية عمرو بن واقد عن يونس بن حليس عن أبى إدريس الخولانى عن ابى ذر عن النبى صلى الله عليه وءاله وسلم قال: «الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهادة فى الدنيا ان لاتكون بما فى يديك أوثق مما فى يد الله وان تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت اصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك» قال الترمذى: غريب لانعرفه الا من هذا الوجه. وعمرو بن واقد منكر الحديث والصحيح وقفه كما رواه الامام أحمد فى كتاب الزهد، وقال سفيان الثورى الزهد فى الدنيا قصر العمل ليس بأكل الغليظ. ولا لبس العباء، وقال ابن الجلاء الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال فتصغر فى عينك فيسهل عليك الاعراض عنها، وقال الجنيد: الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد، وقال الامام أحمد: الزهد فى الدنيا قصر الأمل. وعنه رواية أخرى: انه عدم فرحه

باقبالها وحزنه على إدبارها فانه سئل عن الرجل يكون معه الف دينار هل يكون زاهدا ؟ فقال : نعم على شريطة ان لا يفرح اذا زادت ولا يحزن إذا نقصت ، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : الزهد ترك مالا ينفع فى الآخرة . والورع ترك ما تخاف ضرره فى الآخرة ، قال تلميذه العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية فى كتابه مدارج السالكين : وهذه العبارة من احسن ماقيل فى الزهد والورع واجمعها ، قال الامام احمد ابن حنبل رحمه الله : الزهد على ثلاثة اوجه . ترك الحرام وهو زهد العوام . والثانى ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص . والثالث ترك مايشغل عن الله وهو زهد العارفين ، ومتعلق الزهد ستة اشياء لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها وهى المال . والصور . والرياسة . والناس . والنفس وكل مادون الله عزوجل ، وليس المراد رفضها من الملك بل المراد رفضها من القلب فقد كان نبيا الله سليمان ، وداود عليهما السلام من ازهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء مالهما ، وكان نبينا محمد رسول الله صل الله عليه وءاله وسلم من أزهد البشر على الاطلاق وله تسع نسوة ، وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وعبد الرحمن بن عوف . والزبير وعثمان من الزهاد مع مالهم من الأموال ، وكان الحسن بن على رضى الله عنهما من الزهاد مع أنه كان من أكثر الامة محبة للنساء . ونكاحا لهن وأغناها وكان عبد الله بن المبارك من الائمة الزهاد مع مال كثير . وكذلك الليث بن سعد . وسفيان من أئمة الزهاد وكان له رأس مال يقول : لولا هو لتمندل بنا هـــؤلاء .

قال الحافظ زين الدين بن رجب : واعلم ان الذم الوارد فى الكتاب والسنة للدنيا ليس هو راجعا الى زمانها الذى هو الليل والنهار المتعاقبان

إلى يوم القيامة فان الله تعالى جعلهما خلفة لمن أراد ان يذكر أو اراد شكورا،
ويروى عن عيسى عليه السلام أنه قال : « ان هذا الليل والنهار خزانتان
فانظروا ماتصنعون فيهما» وكان يقول عليه الصلاة والسلام : اعملوا الليل
لما خلق له والنهار لما خلق له ، وقال مجاهد : مامن يوم الا يقول. ابن ءادم
قد دخلت عليك اليوم ولن ارجع اليك بعد اليوم فانظر ماذا تعمل فى
فاذا انقضى طوى ثم يختم عليه فلا يفك حتى يكون الله هو الذى يفضه
يوم القيامة ولا الليل الا تأتون كذلك ، وقد انشد بعض السلف .

انما الدنيا الى الجنة والنار طريق والليالى متجر الانسان والأيام سوق

وليس الذم راجعا إلى مكان الدنيا الذى هو الأرض التى جعلها الله لبنى
ءادم مهادا ومسكنا ، ولا إلى ما اودع الله من الجبال والبحار والانهار
والمعادن ، ولا إلى ما انبته فيها من الزرع والشجر ، ولا إلى مابث فيها
من الحيوانات وغير ذلك فان ذلك كله من نعم الله على عباده لما لهم فيه
من المنافع ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته
وعظمته وانما الذم راجع إلى أفعال بنى ءادم الواقعة فى الدنيا لأن غالبها
واقع على غير الوجه الذى تحمد عاقبته بل يقع على ما تضر عاقبته او
لا تنفع كما قال عزوجل : (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم
يهيج فتراه مصفرا) .

﴿ فائدة ﴾ اختلف الناس فى الزهد هل هو ممكن فى هذه الازمنة
ام لا ؟ فقال بعضهم : الزهد لايكون الا فى الحلال ولا حلال فى الدنيا
فلا زهد ، وقال بعضهم : بل الحلال موجود فيها وفيها الحرام كثيرا
وعلى تقدير ان لايكون فيها الحلال فهذا أدعى إلى الزهد فيها وتناول

ما يتناوله المضطر منها كتناوله للميتة . والدم : ولحم الخنزير، وفى ذلك كفاية والله اعلم .

١٣٤ « مَاغَضِبْتُ عَلَى أَحَدٍ غَضَبِي عَلَى عَبْدٍ أَتَى مَعْصِيَةً فَتَعَاظَمَهَا فِي جَنْبِ عَفْوِي فَلَوْ كُنْتُ مُعَجِّلًا الْعُقُوبَةَ أَوْ كَانَتِ الْعَجَلَةُ مِنْ شَأْنِي لَعَجَّلْتُهَا لِلْقَانِطِينَ مِنْ رَحْمَتِي وَلَوْ لَمْ أَرْحَمْ عِبَادِي إِلَّا مِنْ خَوْفِهِمْ مِنَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيَّ لَشَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُمْ وَجَعَلْتُ ثَوَابَهُمْ مِنْهُ الْأَمْنَ لِمَا خَافُوا »

رواه الرافعي عن ناجية بن محمد بن المنتجع عن جده .

ش الغضب تقدم الكلام عليه صفحة ٢٨ ، والقانطين جمع قانط اليائس والقنوط اليأس من الخير يقال : قنط يقنط بفتح الماضى وكسر المضارع ـ قنوطا . وقنط يقنط ـ بكسر الماضى وفتح المضارع ـ والشكر تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها ، والثواب المجازاة يقال أثابه يثيبه اثابة والاسم الثواب ويكون فى الخير والشر الا أنه بالخير أخص واكثر استعمالا ، والأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف ، وباقى الفاظ الحديث منها ما تقدم الكلام عليه ومنها ماهو ظاهر .

والمعنى أن الله تبارك وتعالى يخبرنا على لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أنه ماغضب على أحد من عباده غضبه على عبد أتى معصية من المعاصى صغيرة اوكبيرة فتعاظمها فى جنب عفو البارى تعالى وقنط من رحمته فلو كان الله سبحانه معجلا العقوبة لاحد من الناس أوكانت العجلة من شأنه عز وجل لعجل العقوبة للقانطين من رحمة الله، ففيه حث

على المبادرة الى الله تعالى بعد فعل الذنب واقتراف المعصية والانابة اليه واعتقاد الرجاء والعفو واستبعاد القنوط واليأس من رحمة الله وعفوه، وقد جاء القرءان الحكيم ببيان أن باب الله مفتوح للعصاة والمذنبين والمسرفين على أنفسهم مهما بلغت ذنوبهم سوى الشرك وحض المذنبين على الانابة والرجوع الى الله وعدم القنوط واليأس من رحمة الله تعالى، فمن ذلك قوله تعالى: (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) وقال تعالى: (قالوا بشرناك بالحق فلاتكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) وقال تعالى: (أنه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون) وقال تعالى: (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقد تقدم احاديث فى هذا الكتاب منها مارواه احمد عن ابى ذر رضى الله عنه قال الله تعالى: «عبدى ماعبدتنى ورجوتنى فانى غافر لك على ما كان فيك وياعبدى ان لقيتنى بقراب الأرض خطيئة مالم تشرك بى لقيتك بقرابها مغفرة» وروى الترمذى - وقال: حديث حسن - عن انس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: قال الله تعالى: «يابن آدم انك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك يابن آدم لواتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة» وروى ابن ماجه باسناد جيد - عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لو اخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم». وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه «ان نبى الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن اعلم اهل

الأرض فدل على راهب فأتاه فقال : انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم اهل الأرض فدل على رجل عالم فقال : انه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم من يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب أنه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فالى ايتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلا الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة » وفى رواية « فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها » وفى رواية « فأوحى الله الى هذه ان تباعدى والى هذه ان تقربى وقال : قيسوا بينهما فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفرله » وفى رواية قال قتادة قال الحسن : « ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها » رواه البخارى . ومسلم . وابن ماجه بنحوه *

وقوله « ولولم أرحم عبادى الا من خوفهم » الخ اى ان الله سبحانه يخبرنا انه لولم يرحم عباده الا من خوفهم من الوقوف بين يديه لشكر ذلك لهم وجعل ثوابهم ذلك الأمن لما خافوا ففيه الترغيب فى التوبة والرجوع الى الله سبحانه وتعالى ولاسيما الخائفين من الله تعالى الذين أذنبوا وخافوا من الوقوف بين يدى الله جل ذكره يوم الموقف الاكبر يوم الذى تظهر فيه عورات الناس ويشرف المطيع ويذل فيه العاصى غير التائب من الذنب، روى الترمذى وقال : حديث حسن غريب . والبيهقى عن انس رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل اخرجوا من النار من ذكرنى أوخافنى فى مقام » *

وقوله : « رواه الرافعي » هو العالم الفقيه عبد الكريم بن محمد ابن عبد الكريم الرافعي القزويني الشافعي كان من ائمة الشافعية اصحاب التآليف القيمة منها المحرر في فقه الشافعية، والتدوين في اخبار قزوين ولعله روى الحديث فيه ، وفتح العزيز - وشرعنا بطبعه وتم منه مع المجموع شرح المهذب ١٢ جزءا ونسال الله الاتمام - كان له مجلس بقزوين في التفسير والحديث وتوفي فيها سنة ثلاث وعشرين وستمائة والله أعلم *

١٣ « مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَأَكُونَ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ وَقَلْبَهُ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ فَإِذَا دَعَانِي أَجَبْتُهُ وَإِذَا سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ وَإِنِ اسْتَنْصَرَنِي نَصَرْتُهُ وَأَحَبُّ مَا تَعَبَّدَنِي عَبْدِي بِهِ النُّصْحُ لِي » رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة *

ش تقدم ذكر الحديث غير مرة بالفاظ متقاربة من هذا مع زيادة ونقص فيها فلا حاجة للاعادة ، وهنا زيادة فيه لفظ « النصح لي » فلا بأس من الكلام عليه بما يناسبه فنقول *

النصح في اللغة الخلوص يقال : نصحته ونصحت له ، والنصح تحرى فعل أو قول فيه صلاح صاحبه ، وهو من قولهم نصحت له الود اى اخلصته. وناصح العسل خالصه او من قولهم: نصحت الجلد خطته. والناصح الخياط . والنصاح الخيط ، والنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة

تجمع معناه غيرها، وقد جاء القرءان يحكى نصح الانبياء لقومهم قال حكاية عن صالح عليه الصلاة والسلام (فتولى عنهم وقال : ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) وقال تعالى حكاية عن نبى الله شعيب عليه الصلاة والسلام (فتولى عنهم وقال : ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف ءاسى على قوم كافرين) وقال تعالى : (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم) يعنى ان من تخلف عن الجهاد لعذر فلا حرج عليه بشرط أن يكون ناصحا لله ورسوله فى تخلفه فان المنافقين كانوا يظهرون الاعذار كاذبين غير ناصحين لله ورسوله؛ وقال تعالى حكاية عن نبى الله نوح عليه السلام : (ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله مالا تعلمون) . وقال تعالى حكاية عن نبى الله هود عليه السلام : (ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح أمين) وقال تعالى حكاية عن اخوة يوسف : (قالوا ياأبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإناله لناصحون) ؛ وروى مسلم فى صحيحه عن ابى رقية تميم بن اوس الدارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الدين النصيحة - ثلاثا - قلنا لمن يارسول الله ؟ قال لله عز وجل ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم . ولائمة المسلمين وعامتهم » ، وروى الامام احمد من حديث أبى امامة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال . قال الله عز وجل : « احب ما تعبدنى به عبدى النصح لى » وهو قطعة من حديث الكتاب ، وقد ورد فى احاديث كثيرة النصح للمسلمين عموما وفى بعضها النصح لولاة الأمور . وفى بعضها نصح ولاة الأمور لرعاياهم . وفى بعضها النصح لله وحده جل عزه كما فى

حديث الكتاب ، وفى الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال : « بايعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وءاله وسلم قال: « ان الله يرضى لكم ثلاثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله امركم » ، وقد تقدم ذكر الآيات الدالة على نصيحة الانبياء لاممهم ٭

والنصح لله هو ان يقوم العبد باداء واجباته على اكمل وجوهها ـ وهو أن يعبد الله كأنه يراه ـ فلا يكمل النصح لله بدون ذلك ، ومن النصيحة لله صحة الاعتقاد فى وحدانيته . واخلاص النية فى عبادته ، ووصفه بصفات الكمال والجلال واعتقاد ماجاء به القرءان والسنة الصحيحة من الصفات بدون تأويل ولا تشبيه وتنزيهه عما يضادها ويخالفها وتجنب معاصيه والقيام بطاعته ومحابه بوصف الأخلاص . والحب فيه والبغض فيه وجهاد من كفر به تعالى وكراهية أهل البدع والاهواء وما ضاهى ذلك والحث عليه ٭

ولما ذكر النصح والنصيحة هنا وبينا النصح لله جل وعز فلا بأس من ايراد جملة تتعلق بنصيحة الرسول عليه الصلاة والسلام . ونصيحة خلفه اتماما للفائدة فاقول :

النصيحة لرسوله صلى الله عليه وءاله وسلم الايمان به وبماجاء به وتوقيره وتبجيله . والتمسك بطاعته . واحياء سنته وانتشار علومه . ونشرها ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه ووالاها والتخلق باخلاقه والتأدب بادابه ومحبة ءاله واصحابه ونحو ذلك ٭

والنصيحة لائمة المسلمين معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وتذكيرهم

به وتنبيههم فى رفق ولطف . ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك *

والنصيحة لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم وتعليمهم امور دينهم ودنياهم وستر عوراتهم وسد خلاتهم ونصرتهم على اعدائهم . والذب عنهم ومجانبة الغش والحسد لهم وان يحب لهم مايحب لنفسه ويكره لهم مايكره لنفسه ، والله أعلم *

١٣٦ « مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْعُونِى فَلَا أُجِيبُ لَكُمْ وَتَسْأَلُونِى فَلَا أُعْطِيكُمْ وَتَسْتَنْصِرُونِى فَلَا أَنْصُرُكُمْ »

رواه الديلمى عن عائشة *

ش يقال امره بكذا طلب فعله منه ، والاسم الأمر واحد الاوامر ، والمعروف هو اسم جامع لكل ماعرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس . وكل ماندب اليه الشرع ، والنهى ضد الأمر ونهاه عن كذا ينهاه نهيا وانتهى عنه وتناهى أى كف وتناهوا عن المنكر نهى بعضهم بعضا ، والمنكر كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه او تتوقف فى استقباحه واستحسانه العقول فتحكم بقبحه الشريعة . وهو ضد المعروف *

والمعنى - والله أعلم - ان الله عز وجل امرنا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر لئلا يأتى يوم فتفشو فيه المعاصى والمنكرات ولا آمر ولا ناهى تتسلط علينا الآفات والبلايا والمصائب بترك ذلك فندعو الله جل ذكره فلا يجيب لنا دعاء ونسأله كشف ذلك فلا نعطى ونستنصر بالله جل وعز من عدونا وما حل بنا فلا ينصرنا .

بالمعروف والنهى عن المنكر والتنفير من ترك ذلك وتهديد من تركه فى ءايات كثيرة من القرءان الحكيم ؛ وأحاديث تبلغ حد التواتر، فمن الآيات قوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) وقال تعالى : (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)، وقال تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وقال تعالى : (وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) وقال تعالى : (كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقال تعالى حكاية عن لقمان : (يابنى اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك ان ذلك من عزم الأمور) وقال تعالى : فى وصف المؤمنين (الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) ،وقال تعالى فى وصفهم أيضا (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) الآية *

ومن الأحاديث النبوية ماروراه مسلم . والترمذى . وابن ماجه . والنسائى عن أبى سعيد الخدرى ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم قال : « من رأى منكم منكرا فغيره بيده فقد برىء ومن لم يستطع ان يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برىء ومن لم يستطع ان يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برىء وذلك أضعف الايمان » وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم قال: « ما من نبى بعثه

الله فى امته قبلى الا كان له من امته حواريون واصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها يخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل»

والحوارى هو الناصر للرجل والمختص به والمعين والمصافى ، وروى الترمذى - وقال : حديث حسن غريب - عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » ، وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدرون على ان يغيروا عليه ولا يغيرون الا اصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا » رواه أبو داود عن ابى اسحق قال. أظنه عن ابن جرير عن جرير ولم يسم ابنه . ورواه ابن ماجه . وابن حبان فى صحيحه . والاصبهانى . وغيرهم عن أبى اسحق عن عبيد الله بن جرير عن ابيه ، وروى أبو الشيخ فى كتاب الثواب . والبيهقى فى الزهد الكبير وغيره عن ذرة بنت أبى لهب رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله من خير الناس ؟ قال : اتقاهم للرب عز وجل واوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر » ، وروى الأصبهانى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم : وقيل ان تستغفروه فلا يغفر لكم ان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يدفع رزقا ولا يقرب اجلا وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما

تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان انبيائهم ثم عموا بالبلاء » ؛ وروى الامام أحمد . والترمذى - واللفظ له وابن حبان فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وءاله وسلم قال :« ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر » ٭

والامر بالمعروف والنهى عن المنكر من أعظم وظائف الشرع المحمدى وهو وظيفة الأنبياء والرسل ومن بعدهم العلماء قادة الأمة ومعلموها أهل الفراسة والذكاء وفيهما تتفاضل الامم قال الله تعالى : (كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) فوصف أمة محمد ﷺ بأنها خير امة أخرجت للناس وعلل ذلك بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله جل وعز فانها خير امة لاجل ذلك ولاشك ان الامم الغابرة كانوا يتساهلون فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويسكتون على من فعل ذلك ولذلك شنع عليهم البارى تعالى فى القرءان الحكيم فى غير آية، وقد تقدم ذكر بعضها أول الشرح ، ولاشك ان هذين الوصفين من اهم الامور التى تحفظ الامة من التدهور والسقوط وتنتشر فيها المعاصى ويكثر الفساد والفساق وتذهب ثروة البلاد . وتنحط الاخلاق، وانظر الى حال الامة الاسلامية فى بدء ظهورها وبعد أن تكونت وانتظمت واصبحت امة ودولة يخاف قوتها وبطشها جميع الامم المعاصرة لها كالروم والفرس اللتين كانتا أعظم الامم في عصرهما فاجتثت الدولة الاسلامية اصولها وقهرتهما وذلتهما فى أقرب وقت واقل زمن وذلك بسبب التآلف والتحابب بين المسلمين واتحاد كلمتهم وصفوفهم وانتشار الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الجميع لافرق بين عالم وجاهل بين كبير وصغير بين

عظيم وحقير لذلك نجحت الامة الاسلامية وتقهقرت الامم الاخرى لسلب المزايا منها التى وجدت فى الشريعة الاسلامية ولم تزل كذلك حتى قل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهاب العلماء نصيحة ملوكهم وارشاد امرائهم ففشت المعاصى وعم الفساد وتسلط العدو ووقع الغلاء والقحط وكثرت المصائب والبلايا وندعوا الله فلا يستجيب لنا ونستنصره على عدونا فلا ينصرنا ونسأله فلا نعطى، واكره العلماء على عدم النصيحة لملوكهم وأمرائهم استبداد رؤساء بنى أمية ومن سار على طريقهم ممن بعدهم، وقد كان أول أمير منهم اظهر هذه الفتنة والبدعة الشنعاء جهرة عبد الملك ابن مروان اذ قال على المنبر من قال لى اتق الله ضربت عنقه ، وقال صديقنا الاستاذ المرحوم الشيخ رشيد رضا : فقد كانت شجرة بنى مروان الخبيثة هى التى سنت فى هذه الآمة سنة الاستبداد فما زال يعظم ويتفاقم حتى سلب الامة افضل مزاياها فى دينها ودنياها بعد الايمان اهـ *

وقد أصبحنا فى زمن القابض على دينه كالقابض على الجمر فانظر الى حصول الفساد فى جميع الاقطار الاسلامية من فشو الربا والزنا والقمار بانواعه بترخيص من الحكومات المحلية واباحة ذلك رسميا . والكذب . واللواط . والسرقات وقطع الاشجار وحرق الزروع وافساد مابين المرأة وزوجها وما بين الوالد وولده . ومابين الاخ وأخيه . ومابين الصاحب وصاحبه . والغيبة . والنميمة . وتبرج النساء وخلع عذار الحياء . ووجودهن فى حمامات البحر مختلطين بالرجال الاجانب الفجرة الفسقة والاجتماع بدور الملاهى والسينمات والنوادى وغير ذلك مما يوجب غضب الله تعالى وسخطه فنسأل الله تعالى السلامة وتغير الحال الى أصلح وارجاع العباد الى مجد

صفات المؤمنين الذين قال الله تعالى فى حقهم ما قال فى غير ءاية ، ولا تكون الأمة خير الأمم الا اذا كانت متصفة بهذه الأصول الثلاثة . الايمان بالله تعالى قلبا وقالبا . والأمر بالمعروف . والنهى عن المنكر . واذا فقدت هذه الأصول أو بعضها لا تكون كذلك ولا تحفظ ولا تدوم الا باقامة هذه الأصول الثلاثة . ولذلك اشترط على هذه الامة ان يكون من غرضها فى الدفاع عن نفسها وحفظ وجودها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لأنها لولا ذلك لا تكون مستحقة للبقاء فى الارض وأكد الامر بهذه الفريضة فى آيات سورة ءال عمران بما لا يعرف له نظير فى كتاب من الكتب السابقة ولم تقم به امة من الامم على هذا الوجه .

ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يحتاجان الى تحمل مكاره وصبر على أذى فى سبيلهما فمن قام بذلك فلا يسخط ولا يمل ولا يغضب بل يواصل ذلك بصدر رحب واخلاق حميدة ولسان طلق وقلب مفعم بالايمان والصدق والاخلاص ويلين للناس جانبه حتى يتمكن من ازالة المنكر بطرق مفيدة وسبل سهلة ويكون اسلوبه ذا فنون وانواع ليقنع صاحب المنكر ويستولى على قلبه ولبه ويستعمل له الادلة الوافية كل بحسبه وينزل الناس منازلهم .

قال الحافظ ابن رجب : اعلم ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر تارة يحمل عليه رجاء ثواب الله وتارة خوف العقاب فى تركه وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه . وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء انقاذهم مما اوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لعقوبة الله وغضبه فى الدنيا والآخرة . وتارة يحمل عليه اجلال الله واعظامه ومحبته وأنه أهل ان يطاع ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وانه يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والاموال كما قال

وكان عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز يقول لابيه : وددت انى غلت بى وبك القدور فى الله تعالى ، ومن لحظ هذا المقام والذى قبله هان عليه كل مايلقى من الأذى فى الله تعالى وربما دعا لمن اذاه كما قال ذلك النبى صلى الله عليه وءاله وسلم لما ضربه قومه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول . رب اغفر لقومى فانهم لايعلمون ، وبكل حال فتبين الرفق فى الانكار قال سفيان الثورى : لايأمر بالمعروف ولاينهى عن المنكر الا من كان فيه ثلاث خصال رفيق بما يأمر . رفيق بماينهى . عدل بمايأمر عدل بماينهى عالم بمايأمر عالم بماينهى، وقال احمد : الناس محتاجون الى مداراة ورفق الامر بالمعروف بلاغلاظة الا رجل معان بالفسق فلا حرمة له قال : وكان اصحاب ابن مسعود اذا مروا بقوم يرون منهم مايكرهون يقولون : مهلا رحمكم الله مهلا رحمكم الله ، وقال أحمد . يأمر بالرفق والخضوع فان اسمعوه مايكره لايغضب فيكون يريد أن ينتصر لنفسه ، وقد ذكر الحافظ المنذرى فى كتابه الترغيب والترهيب حديث الكتاب عن عائشة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وءاله وسلم قال : «يايها الناس ان الله يقول لكم : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوا فلا أجيب لكم وتسألونى فلا أعطيكم وتستنصرونى فلا انصركم » رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه *

٣٧ « مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدِ اسْتَحَلَّ مُحَارَبَتِي وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ عَيْنَهُ الَّتِي يُبْصِرُ بِهَا وَأُذُنَهُ الَّتِي يَسْمَعُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَفُؤَادَهُ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ وَلِسَانَهُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ إِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ وَإِنْ

دعانى أجبته وماترددت عن شيء أنافاعله ترددى عن وفاته لانه يكره الموت وأكره مساءته » رواه أحمد . والحكيم . وابو يعلى. والطبرانى وأبو نعيم. وابن عساكر عن عائشة *

ش الأذى مايصل الى الحيوان من الضرر اما بنفسه أو جسمه أو تبعاته دنيويا كان أو اخرويا يقال: اذيته أوذيه ايذاء واذية وأذى ، وأذى الرجل اذى وصل اليه المكروه ، والولى تقدم الكلام عليه صفحة ١٢٠ ، واستحل الشيء عده حلالا ، وباقى الفاظ الحديث تقدم الكلام عليها غير مرة فلا حاجة للاعادة *

والمعنى أن الله جل وعز يخبرنا ان من ءاذى وليا من أولياء الله باى نوع من أنواع الأذى فقد استحل محاربة الله وتعرض لها وعدها حلالا؛ والمراد بالولى هنا كما قال النووى رحمه الله تعالى: المؤمن قال الله تعالى: (الله ولى الذين ءامنوا) وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح : المراد بولى الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص فى عبادته وهو اوجه بدليل ماذكر من الفاظ الحديث بعده ، ووصف الله أولياءه فى كتابه الحكيم قال : (الا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين ءامنوا وكانوا يتقون. لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) فكيف يليق بعاقل ان يتعرض لمحاربة الله جل ذكره، واقتراف المعاصى محاربة لله تعالى . قال الحسن : ابن ءادم هل لك بمحاربة الله من طاقة فان من عصى الله فقد حاربه وكلما كان الذنب أقبح كانت المحاربة لله أشد ولهذا سمى الله تعالى أكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله تعالى ورسوله لعظم ظلمهم لعباده وسعيهم بالفساد فى بلاده ، وكذلك

معاداة أوليائه فانه تعالى يتولى نصرة أوليائه ويحبهم ويؤيدهم فمن عاداهم فقد عادى الله تعالى وحاربه وتعرض لهلاك نفسه ، وخرج الترمذى وغيره عن النبى ﷺ قال: « الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا فمن اذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك أن يأخذه » ، ولما ذكر الله تعالى من اذى أولياءه فقد استحل محاربته وصف أولياءه الذين يحرم ايذاؤهم وتجب موالاتهم والتحبب اليهم فذكر مايقرب اليه تعالى الخ ، ثم ذكر حال العبد والموت النازل به وكراهته لذلك فقال : « وماترددت عن شىء أنا فاعله » الخ قال الحافظ ابن حجر فى الفتح نقلا عن أئمة الحديث فى اشكال هذا الحديث . قال الخطابى: التردد فى حق الله غير جائز والبداء عليه فى الأمور غير سائغ ولكن له تأويلان. أحدهما أن العبد قد يشرف على الهلاك فى أيام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمرا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه اذا بلغ الكتاب أجله لأن الله قد كتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء لنفسه . ﴿ والثانى ﴾ أن يكون معناه مارددت رسلى فى شىء أنا فاعله كترددى اياهم فى نفس المؤمن كما روى فى قصة موسى وماكان من لطمة عين ملك الموت وتردده اليه مرة بعد أخرى قال: وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه ، وقال الكلاباذى - ماحاصله - انه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات أى عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب الى ان تنتقل محبته فى الحياة الى محبته للموت فيقبض على ذلك قال . وقد يحدث الله فى قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه الى الموت فضلا عن ازالة

الكرامة عنه فاخبر انه يكره الموت ويسوؤه ويكره الله مساءته فيزيل عنه كراهية الموت لما يورده عليه من الأحوال فيأتيه الموت وهو له مؤثر واليه مشتاق قال : وقد ورد تفعل بمنى فعل مثل تفكر وفكر وتدبر ودبر وتهدد وهدد والله أعلم ٭

وعن بعضهم يحتمل أن يكون تركيب الولى يحتمل ان يعيش خمسين سنة وعمره الذى كتب له سبعون فاذا بلغها فمرض دعا الله بالعافية فيحييه عشرين اخرى مثلا فعبر عن قدر التركيب وعما انتهى اليه بحسب الاجل المكتوب بالتردد ، وعبر ابن الجوزى عن الثانى بأن التردد للملائكة الذين يقبضون الروح واضاف الحق ذلك لنفسه لان ترددهم عن امره قال . وهذا التردد ينشأ عن اظهار الكراهة (فان قيل) اذا أمر الملك بالقبض كيف يقع منه التردد ؟ فالجواب أنه يتردد فيما لم يحد له فيه الوقت كان يقال : لا تقبض روحه اذا رضى ، ثم ذكر جوابا ثالثا وهو احتمال ان يكون معنى التردد اللطف به كان الملك يؤخر القبض فانه اذا نظر الى قدر المؤمن وعظم المنفعة به لأهل الدنيا احترمه فلم يبسط يده اليه فاذا ذكر أمر ربه لم يجد بدا من امتثاله ، وجوابا رابعا وهو ان يكون هذا خطابا لنا بما نعقل والرب منزه عن حقيقته بل هو من جنس قوله « ومن أتانى يمشى أتيته هرولة » وكما ان أحدنا يريد أن يضرب ولده تاديبا فتمنعه المحبة وتبعثه الشفقة فيتردد بينهما ولو كان غير الوالد كالمعلم لم يتردد بل كان يبادر الى ضربه لتاديبه فاريد تفهيمنا تحقيق المحبة للولى بذكر التردد ، وجوز الكرمانى احتمالا اخر وهو ان المراد انه يقبض روح المؤمن بالتأنى والتدريج بخلاف سائر الامور فانها تحصل بمجرد قوله « كن » سريعا دفعة ، وقال فى قوله تعالى « فانه يكره الموت وأنا أكره مساءته » اسند

البيهقى فى الزهد عن الجنيد سيدالطائفة قال : الكراهة هنا لما يلقى المؤمن من الموت وصعوبته وكربه وليس المعنى انى اكره له الموت لان الموت يورده الى رحمة الله ومغفرته انتهى وعبر بعضهم عن هذا بأن الموت حتم مقضى وهو مفارقة الروح للجسد ولا تحصل غالبا الابالم عظيم جدا لما جاء عن عمرو بن العاص ان ابنه سأله - وهو يموت - عن حقيقة الموت فقال : والله لكأن جنبى فى تخت ولكأنى اتنفس من خرم ابرة وكأن غصن الشوك يجر به من قامتى الى هامتى ، وعن كعب ان عمر سأله عن الموت فوصفه له بنحو هذا ، فلما كان الموت بهذا الوصف والله يكره أذى المؤمن على ذلك الكراهة ، ويحتمل ان تكون المساءة بالنسبة الى طول الحياة لانها تؤدى الى ارذل العمر وتنكس الخلق والرد الى أسفل سافلين ه

وجوز الكرمانى ان يكون المراد اكره مكرهه الموت فلااسرع بقبض روحه فاكون كالمتردد ، قال الشيخ أبو الفضل بن عطاء فى هذا الحديث عظم قدر الولى لكونه خرج عن تدبيره الى تدبير ربه وعن انتصاره لنفسه الى انتصار الله له وعن حوله وقوته بصدق توكله اه قال الحافظ ابن رجب : واما الانبياء فلا يقبضون حتى يخيروا ، قال الحسن : لما كرهت الانبياء الموت هون الله عليهم بلقائه لما احبوه من تحفة وكرامة حتى ان نفس احدهم تنزع من بين جنبيه وهو يحب ذلك لما قد مثل له ، وقالت عائشة : ما اغبط احدا يهون الله عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ قالت : وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول : اللهم اعنى على سكرات الموت قالت : وجعل يقول : لااله الا الله ان للموت سكرات ، وجاء فى حديث مرسل أنه ﷺ «كان يقول : اللهم انك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل اللهم فاعنى على الموت وهونه على » ، وقد كان بعض السلف يستحب أن يجهد

سواء كان مشتملا على اهانة ام لا يعد محاربة لله تعالى ، وثانيا ان الرواة له مختلفة . والله أعلم *

١٢٩ * مَنْ تَرَكَ الْخَمْرَ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَأَسْقِيَنَّهُ مِنْهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ وَمَنْ تَرَكَ الْحَرِيرَ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَأَكْسُوَنَّهُ إِيَّاهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ *

رواه البزار عن أنس *

ش الخمر مؤنثة في اللغة الفصيحة المشهورة ، واصل الخمر ستر الشيء وتغطيته وسميت خمرا لكونها خامرة لمقر العقل ، قال الواحدى . الخمر عند أهل اللغة سميت خمرا لسترها العقل : قال الليث : اختمار الخمر ادراكها وغليانها ومخمرها متخذها وخمرت الدابة اخمرها سقيتها الخمر . قال الكسائي : يقال اختمرت خمرا ولا يقال أخمرتها . واصل هذا الحرف التغطية ، وقيل : سميت خمرا لانها تغطى حتى تدرك . وحظيرة القدس الجنة وهى فى الأصل الموضع الذى يحاط عليه لتأوى اليه الغنم والابل يقيهما البرد والريح ، ويطلق أيضا على الشريعة وكلاهما صحيح فالشريعة حظيرة منها يستفاد القدس أى الطهارة . والتقديس التطهير ومنه بيت المقدس ، والحرير معروف *

والمعنى أن من ترك شرب الخمر بان لم يشربه ابتداء أو تركه بعد أن شربه مدة وهو يقدر على شربه ليسقينه المولى جل ذكره من خمر الجنة فى حظيرة القدس - أى فى الجنة - التى قال الله تعالى فى وصفها فى كتابه المبين (يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) أى يطاف على أهل الجنة بكأس فيها خمر يجرى كما تجرى العيون على وجه الأرض وهذه الكأس بيضاء صافية اللون ترى من الظاهر ذاته

لذة واشد بياضا من اللبن وليس كخمر الدنيا يغتال العقول ويذهب بها ولا يسكرون بعد شربها فلا يصيبهم منها مرض ولا صداع وتغيب بل يملكون حواسهم وشعورهم ويجدون لذة لو عرضت على أهل الدنيا لماتوا من شدة لذتها واستطابتها اللهم لاتحرمنا منها •

والخمر جاء الشرع بتحريمها واستنكارها وبيان مضارها واستفظاعها والتهديد لمن شربها ووعيده قال الله تعالى • (يايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) وقال تعالى:(يايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ، وقال تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما) الآية . أخبر سبحانه بان الخمر والميسر فيهما اثم كبير لان مضرتهما كبيرة ولا اثم الا ما كان ضارا فاثم شارب الخمر ينشأ من فساد عقله واضعاف القوة العاقلة فيصدر عنه مايصدر عن فساد العقل من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور وافشاء السر لاسيما فى السياسة الدولية فان كثيرا من الاسرار الحربية تؤخذ بطريق السكر وله حوادث كثيرة متكررة .وتعطيل الصلوات وسائر ما يجب عليه .ومخالطة الفساق والفجار وغشيان بيوت الدعارة والملاهى وضياع الأموال وغير ذلك مما فساده ظاهر لكل عاقل هذه مضاره الخلقية والمالية ، وأما مضاره الصحية افساد وفقد شهوة الطعام وتغيير الخلق فالسكارى يسرع اليهم التشوه فتجحظ اعينهم وتمتقع سحنتهم وتعظم بطونهم . ومرض الكبد والكلى . وداء السل الذى يفتك فى البلاد الاوربية

فتكا ذريعا على عناية أهلها بقوانين الصحة ولكن لا وقاية من شرور السكر الابتركه . وقد قيل: ان نحو نصف الوفيات فى بعض بلاد أوربا بداء السل ه

قال الاستاذ المرحوم السيد رشيد رضا : ولم يكن هذا الداء معروفا أو منتشرا فى مثل هذه البلاد ـ مصر ـ قبل شيوع السكر فيها فهو من الادواء التى حملها اليها الاوربيون وقد كثر كثرة فاحشة فى مصر على أن جوها لايساعد على انتشاره ، وقال أحد اطباء المانيا : اقفلوا لى نصف الحانات اضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات . والبيمارستانات . والتكايا والسجون ، وقد قال بعض الأطباء . ان المسكر لا يتحول الى دم كما تتحول سائر الاغذية بعد الهضم بل يبقى على حاله فيزاحم الدم فى مجاريه فتسرع حركة الدم وتختل موازنة الجسم وتتعطل وظائف الأعضاء أو تضعف وتخرج عن وضعها الطبيعى المعتدل ، فمن تأثيره فى اللسان أضعاف حاسة الذوق وفى الحلق الالتهاب . وفى المعدة ترشيح العصارة الفاعلة فى الهضم حتى يغلظ نسيجها وتضعف حركتها وقد يحدث فيها احتقانا والتهابا . وفى الأمعاء التقرح . وفى الكبد تمديده وتوليد الشحم الذى يضعف عمله . وكل هذا يتعلق بما يسمونه الجهاز الهضمى ، ومن تأثيره فى الدم أنه بممازجته له يعيق دورته ، وقد يوقفها أحيانا فيموت السكور فجأة . ويضعف مرونة الشرايين فتتمدد وتغلظ حتى تنسد احيانا فيفسد الدم ولو فى بعض الأعضاء فتكون الغنغرينا التى تقضى بقطع العضو الذى تظهر فيه لئلا يسرى الفساد الى الجسد كله فيكون هالكا ، ومن تأثيره فى جهاز التنفس اضعاف مرونة الحنجرة وتهييج شعب التنفس ، واهون ضرر ذلك بحة الصوت والسعال واعظمها تدرن الرئة أى السل الفاتك بالشبان والقاطع لجميع لذات الانسان ه

وأما تأثيره فى المجموع العصبى فهو الذى يولد الجنون ويهلك النسل فولد

السكور لايكون نجيبا وولده ولده يكون شرا من ولده واضعف بدنا وعقلا، وقد يؤدى تسلسل هذا الضعف الى انقطاع النسل بالمرة لاسيما اذا جرى الأبناء على طريق الآباء كما هو الغالب، وأطباء الأفرنج وعلماؤهم مجمعون على ان ضرر الخمر اكبر من نفعها ، وقد ألفت جمعيات فى اوربا . وامريكا ومصر للسعى فى ابطال المسكرات فهم يتعاهدون على عدم الشرب وعلى الدعوة الى ذلك والسعى لدى الحكومات بالتشديد على بائع الخمور فالأيام والأجيال كلما تقدمت وارتقت تؤيد قول القرءان بان اثم الخمر والميسر أكبر من نفعهما فان اطباء هذا العصر يصفون من مضرات الخمر مالم يكن معروفا عند الأطباء المتقدمين وهو ما أطلقه الله تعالى لعباده ليبحثوا فيه ويتبينوا صدقه بانفسهم لتكون عقولهم مؤيدة لكتابه بوجوب اجتنابه ٭

واما اثم الميسر اى اثم متعاطيه فما ينشأ عن ذلك من الفقر وذهاب المال فى غير طائل . والعداوة وايحاش الصدور وضياع مستقبل نفسه اذا لم يكن صاحب عائلة اوضياعه وضياع مستقبل عائلته فاذا كان مستخدما فى مصالح الحكومة أو الشركات الأجنبية أو الاهالى فانه بسبب الميسر يتطلع الى مافى يديه من مال الغير أو مافى يدى غيره من المال فتحدثه نفسه باغتيال ذلك ويحسن له الشيطان ذلك ويوقع فى قلبه بانه لو مد يده الى اموال الغير التى تحت يده وبددها فى القمار لربما يربح فى اقرب وقت مالا كثيرا فيرد مااغتاله من أموال الناس ولا يطلع عليه احد فيتجاسر ويأخذ شيئا فشيئا الى أن ينكشف امره ويؤخذ على يديه ويفتضح وتذهب منه وظيفته ويحكم عليه بالحبس ويعد من المجرمين ويقتل مستقبله قتلا مؤبدا حيث يموت موتا معنويا فلا يرفع بعد ذلك رأسا وتمسى عائلته فقراء يتطلبون [illegible] فلا يجدونه وهذا كثير فى زماننا تنشره الجرائد على [illegible] ٭

فانالله وانااليه راجعون ، ومن مضاره افساد التربية بتعويد النفس على الكسل وانتظار الرزق من الطرق الوهمية واضعاف القوة العقلية بترك الأعمال المفيدة فى طريق الكسب واهمال المقامرين الزراعة والصناعة والتجارة التى هى أركان العمران ، وأما منافع الخمر على ادعاء ذلك فربح التجارة . وما يصدر عنها من الطرب والنشاط وقوة القلب وثبات الجنان واصلاح المعدة وقوة الباءة وقد اشار شعراء العرب الى شيء من ذلك قال :

وإذا شربت فاننى رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فاننى رب الشويهة والبعير

وقال ءاخر :

ونشربها فتتركنا ملوكا واسدا ماينهنها اللقاء

وقال بعض الشعراء واشار الى مافيها من المفاسد والمصالح :

رأيت الخمر صالحة وفيها خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله اشربها صحيحا ولا أشفى بها ابداً سقيما
ولا أعطى بها ثمنا حياتى ولا أدعو لها أبدا نديما

ومنافع الميسر - على زعم أنه فيه منافع - مصير الشيء الى الانسان بغير تعب ولا نصب ، وسرور الرابح واريحيته عند ان يصير له منها سهم صالح وغـــير ذلك *

وقد جاء فى السنة النبوية تشديد عظيم فى شرب الخمر وبيعها وشرائها وعصرها وحملها وأكل ثمنها . وترغيب عظيم فى ترك ذلك والتوبة منه *

اخرج الشيخان وغيرهما عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وءاله وسلم قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن »

زاده مسلم فى رواية له . وأبو داود ءاخره «ولكن التوبة معروضة بعد» وفى رواية للنسائى قال «لا يزنى الزانى وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن - وذكر رابعة فنسيتها - فاذا فعل ذلك فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه فان تاب تاب الله عليه» وروى أبو داود «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه» ورواه ابن ماجه وزاد «وءاكل ثمنها» وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم قال : «ان الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه» رواه أبو داود وغيره ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم يقول : «أتانى جبريل فقال يا محمد ان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وساقيها ومسقاها» رواه احمد باسناد صحيح . وابن حبان فى صحيحه . والحاكم وقال : صحيح الاسناد ، وروى ابن ماجه عن خباب ابن الارت رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «اياك والخمر فانها تفرع الخطايا كما ان شجرها يفرع الشجر» قال الحافظ المنذرى : وليس فى اسناده من ترك ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم : «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا فمات وهو يدمنها لم يشربها فى الآخرة» رواه البخارى . ومسلم . وأبو داود . والترمذى . والنسائى . والبيهقى ولفظه فى احدى رواياته قال قال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم : «من شرب الخمر فى الدنيا ولم يتب لم يشربها فى الآخرة وان دخل الجنة» وفى رواية لمسلم قال . «من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها

فى الآخرة » قال الخطابى ثم البغوى فى شرح السنة : وفى قوله « حرمها فى الآخرة » وعيد بأنه لايدخل الجنة لان شراب أهل الجنة خمر الا أنهم لايصدعون عنها ولا ينزفون ومن دخل الجنة لايحرم شرابها انتهى؛ وعن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وءاله وسلم قال : «ثلاثة لايدخلون الجنة مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر ومن مات مدمن الخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة قيل : ومانهر الغوطة ؟ قال نهر يجرى من فروج المومسات يؤذى أهل النار ريح فروجهم » رواه الامام أحمد . وأبو يعلى . وابن حبان فى صحيحه . والحاكم وصححه ، وفى رواية لابن حبان قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . « لايدخل الجنة مدمن خمر ولامؤمن بسحر ولا قاطع رحم » ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ . « اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر » رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد ، وعن جابر رضى الله عنه ان رجلا قدم من جيشان ـ وجيشان من اليمن ـ فسأل رسول الله ﷺ عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المذر فقال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم . او مسكر هو ؟ قال . نعم قال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم : كل مسكر حرام وان عند الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا : يارسول الله وما طينة الخبال ؟ قال عرق أهل النار اوعصارة أهل النار، رواه مسلم . والنسائى، وفى الباب احاديث كثيرة تركتها خشية التطويل ٠

واختلف العلماء فى حد الخمر وحقيقته الشرعية فقال سفيان الثورى . وأبو حنيفة واهل الرأى الخمر مااعتصر من العنب والنخلة فيغلى بطبعه دون عمل النار وماسوى ذلك ليس بخمر، وقال مالك . والشافعى . واحمد . وأهل الاثر من

المحدثين رضى الله عنهم . ان الخمر كل شراب مسكر فسواء كان عصيرا أو نقيعا مطبوخا كان أو نيئا ، واللغة تشهد لهذا قال الزجاج : القياس ان ماعمل عمل الخمر يقال له خمر وان يكون فى التحريم بمنزلتها قاله الواحدى ونقله عنه الامام النووى فى تهذيب الاسماء واللغات المطبوع فى ادارتنا وهو من الكتب المفيدة المحققة ه

واما الحرير فقد ورد بتحريمه أحاديث صحاح وحسان كثيرة ، منها مارواه البخارى . ومسلم . والترمذى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم : « لاتلبسوا الحرير فانه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » والنسائى وزاد : وقال ابن الزبير . « من لبسه فى الدنيا لم يدخل الجنة قال الله تعالى : (ولباسهم فيها حرير) » وروى البخارى عن حذيفة رضى الله عنه قال . « نهانا رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم ان نشرب فى ءانية الذهب والفضة وان ناكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وان نجلس عليه » ، والديباج ـ بكسر الدال وقد تفتح ـ الثياب المتخذة من الابريسم سداها ولحمتها منه ، وذكره له بعد الحرير من باب ذكر الخاص بعد العام ، وعن ابى امامة رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وءاله وسلم يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريرا ولا ذهبا » رواه احمد ورواته ثقات ، وعن خليفة ابن كعب قال . سمعت ابن الزبير يخطب ويقول : « لا تلبسوا نساءكم الحرير فانى سمعت عمر بن الخطاب يقول قال رسول الله ﷺ لاتلبسوا الحرير فانه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » رواه البخارى . ومسلم والنسائى وزاد فى رواية « ومن لم يلبسه فى الآخرة لم يدخل الجنة قال الله تعالى . ولباسهم فيها حرير » ، وحديث الكتاب ذكره المنذرى

فى كتاب الترغيب والترهيب وقال . رواه البزار باسناد حسن *

وأما حكم لبس الحرير فقال العلامة ابن دقيق العيد فى شرحه عمدة الاحكام : الحديث يتناول مطلق الحرير وهو محمول عند الجمهور على الخالص منه فى حق الرجال وهو عندهم نهى تحريم ، وأما الممتزج بغيره فللفقهاء فيه اختلاف كثير فمنهم من يعتبر الغلبة فى الوزن ومنهم من يعتبر الظهور فى الرؤية واختلفوا فى العتابى من هذا ومن يقول بالتحريم لعله يستدل بالحديث ويقول : انه يدل على تحريم مسمى الحرير فما خرج منه بالاجماع حل ويبقى ماعداه على التحريم انتهى ، والحديث الذى اشار اليه ابن دقيق العيد هو مارواه البخارى ومسلم والامام أحمد بن حنبل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم « لا تلبسوا الحرير فانه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » واذا أردت ان تتوسع فى ذلك فانظر تعليقنا على احكام الاحكام شرح عمدة الاحكام تجد ما يسرك *

١٤٠ « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَإِنِ اسْتَعَاذَ بِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ

يكره الموت وأنا أكره مساءته » رواه البخاري عن أبي هريرة *

ش الحديث تكرر ذكره غير مرة اما لزيادة بعض الفاظ أو اختلاف في اللفظ او في السند وهنا فيه « وإن استعاذ بي لاعيذنه » بدل قوله « وان دعاني اجبته » يقال عذت به أعوذ عوذا وعياذا ومعاذا أي لجأت اليه . والمعاذ المصدر والمكان والزمان ، والعوذ الالتجاء إلى الغير والتعلق به . والله أعلم *

١٤١ « من عادى لي وليا فقد ناصبني بالمحاربة وما ترددت عن شيء انا فاعله كترددي عن موت المؤمن يكره الموت وانا أكره مساءته وربما سألني وليي المؤمن الغنى فاصرفه من الغنى إلى الفقر ولو صرفته الى الغنى لكان شرا له وربما سألني وليي المؤمن الفقر فاصرفه الى الغنى ولو صرفته الى الفقر لكان شرا له ان الله قال وعزتي وجلالي وعلوي وبهائي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هوى نفسه الا اثبت اجله عند بصره وضمنت السماء والارض رزقه وكنت له من وراء تجارة كل تاجر »

رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس *

ش تقدم ذكر الحديث غير مرة بالفاظ قريبة من هذا الا ان ماهنا فيه زيادة الفاظ لم تذكر قبل فلا مانع من التعرض لشرحها وبيانها فاقول: قوله « ناصبني بالمحاربة » النصب التعب . وانصبني كذا أي اتعبني

وازعجنى قال الشـــاعر : « تأوبنى هم مع الليل منصب »
ويقال ناصبه الحرب والعداوة ونصب له ، والمعنى هنا والله أعلم اجتهد العبد فى المحاربة على مثال قوله تعالى . (فاذا فرغت فانصب) اى اجتهد فى الدعاء ، والغني - بكسر الغين المعجمة والقصر اليسار تقول منه غني بالكسر غنى فهو غنى وتغنى أيضا أى استغنى وتغانوا استغنى بعضهم عن بعض . والفقر قلة المال وضيق اليد ، ويؤثر يفضل . وباقى الفاظ الحديث منها ماتقدم تفسيره ومنها ماهو ظاهر ، ووقع فى كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى فى هذا الحديث « عند نصره » بالنون بدل « عند بصره » بالباء الموحدة ولعله تصحيف .

والمعنى - والله أعلم بمراده - من عادى لله وليا من أوليائه الصالحين - الذى تقدم وصفه سابقا - فقد ناصب الله واجتهد واتعب نفسه وتهيأ لمحاربة الله جل ذكره - ومن يقدر ويجسر على ذلك الا هالك؟ - وماتردد الله عن شيء هو فاعله كتردده عن موت المؤمن يكره الموت الذى من شأنه ذلك لما يعترى المؤمن من الشدائد والأهوال والله سبحانه وتعالى يكره مساءة عبده المؤمن وربما سأل الله الولى المؤمن الغنى فى بعض الاوقات - وهو لايدرى ما الاحسن له هل الغنى ام الفقر ؟ والله تعالى يعلم ما يناسب حال العبد فلا يجيب طلبه بل يعطيه مايوافق حاله ويصرف عنه مالا يوافقه وينفعه ولو صرفه الى طلبه الذى هو الغنى مثلا . ويكون شرا له فى ماله وولده لكان شرا له ، وربما سأل الله الولى المؤمن الفقر - وهو لايناسب حاله فلا يجيب طلبه - ويصرفه إلى الغنى وهو مما يناسب حاله بالنسبة لعلم الله تعالى ولو صرفه الى الفقر - وهو كذلك - لكان شرا له والله جل أسمه لا يرضى له ذلك ، ثم أخبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ان الله اقسم وقال وعزتى وجلالى وعلوى على خلقى وبهائى وارتفاع مكانى - نة من بذلك ، نعتقده

ولا نؤول ولا نصرف بل نقول : الله سبحانه وتعالى اخبر بذلك ووصف نفسه بذلك بدون تشبيه وننزه المولى عن المثل والشبه والصفات التى لا تليق به قال الله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وهذا مذهب السلف الصالح وعليه ائمة الهدى وارباب الفتوى وهم أعلم بما تضمن كلام البارى تعالى واسلم عقيدة ومذهبا ـ لا يؤثر ويفضل هوى المولى جل علاه وامره ونهيه على هوى نفسه الا اثبت اجله المقدر له ازلا عند بصره ليراه حين يريد فيعرف متى دنوه وانتهائه فيجتهد لاكتساب الطاعات وتكثير الحسنات فانه قادم على يوم يحتاج فيه الى كثرة العمل الصالح ولا يقدم على معصية ويتجنب المضار فلا ينهمك بالشهوات ويتباعد عن المنهيات لانه لا يسوف الا إذا غاب عنه أجله وخفى عليه وقته فانه يطمع ان يعيش كثيرا فيؤثر هوى نفسه وشيطانه على هوى مولاه فيغشى اللذات الدنيوية يتساهل فيأتى يومه المقدر له بغتة وهو لا يشعر فلا يجد وقتا للتوبة والانابة ، فمن آثر وفضل هوى مولاه على هوى نفسه يضمن الرب جل وعز السماء والأرض رزقه أى يكلفهما ضمان رزقه من أن السماء تمطر . والأرض تخرج الأقوات قال الله تعالى : (وفى السماء رزقكم وما توعدون) وقال تعالى : (وما أنزل الله من السماء من رزق) . وقال تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والأرض) وقال تعالى : (قل من يرزقكم من السموات والأرض) وزيادة على ذلك الخير العظيم والنعم الجسيمة فان الله عز جلاله يكون له من وراء تجارة كل تاجر أى ينمى له تجارته ويبارك له فيها ويحفظها له من كل ما يطرأ عليها مما يذهبها ويشينها ويمحقها فسبحانه من اله ما أرحمه وارأفه وا كلأه واحرسه وأمنعه لعبده المطيع افلا يطيع العبد العاصى ربه وينيب اليه فيتمتع بذلك كله ويحظى بنعيم مؤبد وثواب عظيم ومال لا ينفد ولا يبيد

اللهم وفقنا لطاعتك وجنبنا معاصيك ومخالفتك ، والحديث رواه الطبرانى فى معجمه الكبير كما قال المصنف ودرجته غير معلومة وفى القلب منه شىء والله أعلم .

١٤٢ « مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ » رواه البخارى عن أبى هريرة .

ش تقدم الكلام عليه غير مرة واعاده هنا لوجود لفظة « آذنته بالحرب » ولاختلاف الراوى ، وآذنته بهمزة ممدودة أى اعلمته بانه محارب لى والله اذا حارب العبد أهلكه قاله النووى ويؤيده ماوقع فى بعض الروايات « فقد بارزنى بالحرب ـ او بالمحاربة ، وقال بعض العلماء: أى اعلمته بانى محارب له أى معامل له معاملة المحارب وهو أبلغ ، ففى الحديث تسلية الاصفياء عن معاداة الأعداء وتحذير للاعداء عن ايذاء الاولياء وترك حرمتهم . وتنبيه على تعظيم شأنهم وحفظ قلوبهم ودفع كربتهم لمانى مفهومه حيث جاء فى معاداة الولى عظيم الوعيد يكون فى موالاته جسيم القرب والتأييد كما قيل :

وكم لله اشراف البرايا لهم قدر عظيم بالكرامه
فمن والاهم حقا وصدقا كرامته الشفاعة فى القيامه

١٤٣ « مَنْ تَوَاضَعَ لِي هَكَذَا وَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَطْنَ كَفِّهِ إِلَى الْأَرْضِ رَفَعْتُهُ هَكَذَا وَجَعَلَ بَطْنَ كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ » رواه احمد . والبزار . وأبو يعلى . والطبرانى فى الاوسط عن عمر .

ش التواضع التخاشع والتذلل وهذه صفة المؤمنين حقا وهى من أكمل

الصفات وأدلها على حسن اخلاق المتصف بها وهى منزلة من منازل (اياك نعبد وإياك نستعين) واختلفت عبارات القوم فى حقيقته سئل الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى عن التواضع ؟ فقال : يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله ، وقيل: ان لاترى لنفسك قيمة فمن رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب وهذا مذهب الفضيل وغيره ، وقال الجنيد رئيس الطريقة رحمه الله : هو خفض الجناح ولين الجانب ، وقال ابو يزيد البسطامى رحمه الله :هو ان لا يرى لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى فى الخلق شرا منه ، وقال ابن عطاء رحمه الله : هو قبول الحق ممن كان والعز فى التواضع فمن طلبه فى الكبر فهو كتطلب الماء من النار وهذا مبالغة من ابن عطاء رحمه الله كالفضيل فى التواضع فصيره ذلة ، وعرفه العلامة الهروى فى منازل السائرين بقوله : « التواضع ان يتواضع العبد لصولة الحق » قال العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية فى شرحه : يعنى أن يتلقى سلطان الحق بالخضوع له والذل والانقياد والدخول تحت رقه بحيث يكون الحق متصرفا فيه تصرف المالك فى مملوكه فبهذا يحصل للعبد خلق التواضع ، ولهذا فسر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الكبر بضده فقال : « الكبر بطر الحق وغمص الناس » فبطر الحق رده وجحده والدفع فى صدره كدفع الصائل . وغمص الناس احتقارهم وازدراؤهم انتهى ، وقسمه الى ثلاث درجات، الأولى التواضع للدين وهو ان لا يعارض بمعقول منقولا ولا يتهم للدين دليلا . ولا يرى الى الخلاف سبيلا ، والدرجة الثانية ان ترضى بما رضى الحق به لنفسه عبدا من المسلمين أخا وان لا ترد على عدوك حقا . وتقبل من المعتذر معاذيره ، والدرجة الثالثة ان تتضع للحق فتنزل عن رأيك وعوائدك فى الخدمة . ورؤية حقك فى الصحبة . وعن رسمك

ن المشاهـــدة ٭

وقد وردت ءايات كثيرة فى مدح التواضع وذم الكبر منها قوله تعالى: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) ، وقال تعالى : (يايها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) وقال تعالى : (انه لايحب المستكبرين) وقال تعالى : (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين) ٭

ومن الآحاديث مارواه مسلم فى صحيحه . والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه « ان رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم قال : مانقصت صدقة من مال ومازاد الله عبدا بعفو الاعزا وماتواضع احد لله الارفعه الله »، وروى الطبرانى بلفظ «قال عمر بن الخطاب على المنبر : أيها الناس تواضعوا فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم يقول : من تواضع لله رفعه الله وقال : انتعش نعشك فهو فى أعين الناس عظيم وفى نفسه صغير ومن تكبر قصمه الله وقال : اخسأ فهو فى أعين الناس صغير وفى نفسه كبير » ، وروى الطبرانى أيضا فى الاوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم : « من تواضع لاخيه المسلم رفعه الله ومن ارتفع عليه وضعه الله » وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم قال : « مامن ءادمى الا فى رأسه حكمة بيد ملك فإذا تواضع قيل للملك : ارفع حكمته واذا تكبر قيل للملك ضع حكمته » رواه الطبرانى . والبزار بنحوه من حديث أبى هريرة

واسنادهما حسن هكذا قال الحافظ المنذرى ﴿ الحكمة ﴾ بفتح الحاء المهملة والكاف هى ماتجعل فى رأس الدابة كاللجام ونحوه ، وحديث الكتاب ذكره الحافظ المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب وقال . رواه أحمد . والبزار ورواتهما محتج بهم فى الصحيح *

كان امام المتقين ورسول رب العالمين كثير التواضع لين الجانب بعيدا من الكبر . قال الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية فى مدارج السالكين وكان النبى ﷺ يمر على الصبيان فيسلم عليهم ، وكانت الامة تأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت ، وكان اذا أكل لعق أصابعه الثلاث ، وكان يكون فى بيته فى خدمة أهله ولم يكن ينتقم لنفسه قط ؛ وكان يخصف ويرقع ثوبه ، ويحلب الشاة لأهله ، ويعلف البعير ويأكل مع الخادم ويجالس المساكين ويمشى مع الأرملة . واليتيم فى حاجتهما ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، ويجيب دعوة من دعاه ولو الى أيسر شىء ، وكان هين المؤنة لين الخلق كريم الطبع جميل المعاشرة ، طلق الوجه بساما متواضعا من غير ذلة ، جوادا من غير سرف ، رقيق القلب رحيما بكل مسلم . خافض الجناح للمؤمنين ، لين الجانب لهم ، وقال « الا أخبركم بمن يحرم على النار أو تحرم عليه النار ؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل » رواه الترمذى وقال : حسن ، وقال : « لو دعيت الى ذراع أو كراع لأجبت ، ولو اهدى الى ذراع أو كراع لقبلت » رواه البخارى ، وكان يعود المريض ويشهد الجنازة ويركب الحمار ، ويجيب دعوة العبد ، وكان يوم قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف من ليف والله أعلم *

١٢٤ «مَنْ ذَكَرَنِى حِينَ يَغْضَبُ ذَكَرْتُهُ حِينَ أَغْضَبُ وَلَا أَمْحَقُهُ فِيمَنْ

ا محق » رواه الديلمي عن انس *

ش الغضب تقدم تفسيره غير مرة والبارى تعالى يتصف به كما يليق به ليس كمثله شيء وليس كما نعرفه ونعهده فى الحادث جل الله عن ذلك ، والمحق - بفتح الميم وسكون الحاء المهملة - النقص والمحو والابطال يقال محقه إذا نقصه وأذهب بركته ومنه قوله تعالى : (يمحق الله الربا ويربى الصدقات) . وقال تعالى : (ويمحق الكافرين) *

والمعنى ان الله جل ذكره يخبرنا ان من ذكره من عباده فى حالة غضبه ذكره الله تعالى حين يغضب ولا يمحقه المولى فيمن يمحق حينئذ، ففيه ترغيب فى ذكر الله تعالى ولو حال الغضب لأن ذكر الله تعالى شفاء من كل داء ولاشك ان حال الغضب قل ان يملك الانسان نفسه فانه يريد أن يفتك بخصمه ويهلكه أو يذهب مايراه فالله سبحانه وتعالى اذا ذكر الانسان فى حال الغضب لا يهلكه ولا يذهب ويمحو من غضب عليه أو يذهب بركة حاله أو ولده بل يعفو عن ذلك، فعلى الانسان إذا اشتد به الغضب ان يذكر الله ويصلى على النبى صلى الله عليه وءاله وسلم أو يتوضأ، وفيه تنفير عن الغضب والتباعد عنه وعدم الانتقام وقت الغضب ، روى البخارى ومسلم . وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه «ان النبى صلى الله عليه وءاله وسلم قال : ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب» ورواه ابن حبان فى صحيحه مختصرا « ليس الشديد من غلب الناس انما الشديد من غلب نفسه » وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ادفع بالتى هى أحسن قال: الصبر عند الغضب والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم » ذكره البخارى تعليقا ، وعن معاذ بن انس رضى الله عنه « ان رسول الله ﷺ قال : من كظم غيظا وهو قادر على

أن ينفذه دعاه الله سبحانه على رؤس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء » رواه أبو داود . والترمذى وحسنه . وابن ماجه كلهم من طريق ابى مرحوم ، وروى أبو داود عن ابى وائل القاص قال: دخلنا على عروة ابن محمد السعدى فكلمه رجل فاغضبه فقام فتوضأ فقال: حدثنى ابى عن جدى عطية رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ » ، وهذا كله اذا لم يكن لله جل وعز بل كان لامر دنيوى أو شخصى كما لا يخفى على العاقل ، والحديث رواه الديلمى كما قال المصنف ولا يخفى ما فيه. والله أعلم *

١٤٥ « مَنْ زَارَنى فى بَيْتِى أَوْ فى مَسْجدِ رَسُولِ الله ﷺ أَوْ فى بَيْتِ الْمَقْدِس فَمَاتَ مَاتَ شَهِيدًا » رواه الديلمى عن انس *

ش الزيارة فى العرف قصد المزور اكراما له واستئناسا به ، وزاره يزوره زيارة وزورا قصده فهو زائر وزور ، وقوم زور وزوار ، والمزار موضع الزيارة ، والمراد بقوله « بيتى » الكعبة ، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم فى المدينة ، وبيت المقدس معلوم . والشهيد فى الأصل من قتل مجاهدا فى سبيل الله ويجمع على شهداء ثم اتسع فيه فاطلق على من سماه النبى صلى الله عليه وءاله وسلم من المبطون. والغرق. والحرق. وصاحب الهدم. وذات الجنب وغيرهم ، وسمى شهيدا لان الله وملائكته شهود له بالجنة . وقيل: لأنه حى لم يمت كأنه شاهد أى حاضر ، وقيل: لأن ملائكة الرحمة تشهده ، وقيل : لقيامه بشهادة الحق فى أمر الله حتى

قتل ، وقيل . لأنه يشهد ماأعد الله له من الكرامة بالقتل . وقيل : غير ذلك ، فهو فعيل بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول على اختلاف التأويل قاله العلامة ابن الجزرى فى النهاية ، والمراد به هنا ان له ثواب الشهيد وفضله .

والمعنى - والله اعلم - ان الله تعالت اسماؤه وتنزهت صفاته يخبرنا ان من زاره وقصده فى بيته الذى هو الكعبة شرفها الله وزادها رفعة وحفظها من كل سوء واذى فمات بعد الزيارة أو قبلها - من باب انما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى - مات شهيدا اى يشبه ثواب الشهيد وله اجره ، وينبغى لزائر الكعبة اذا وصلها وأراد دخولها ان يدخلها متواضعا خاشعا خاضعا لما رواه البيهقى عن سالم بن عبد الله « ان عائشة رضى الله عنها كانت تقول : عجبا للمرء المسلم اذا دخل الكعبة كيف يرفع بصره قبل السقف يدع ذلك اجلالا لله تعالى واعظاما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكعبة ماخلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها » ولانه اشرف بقعة فى الأرض ومحل الرحمة . والأمان ، وكذلك من زار مسجد المدينة الذى فيه قبر رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم وجسده الشريف بابى وأمى ومالى واولادى افديه عليه الصلاة والسلام فانه يكون كذلك ، وقد وردت أحاديث صحيحة فى شد الرحال اليه وقصده . روى البخارى . ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم قال . « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد . المسجد الحرام . والمسجد الاقصى . ومسجدى هذا » ، وروى البخارى . ومسلم من حديث ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم قال . « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من الف صلاة فى غيره من المساجد الا المسجد الحرام » وروى احمد فى مسنده . والبيهقى باسناد حسن عن عبد الله بن الزبير

رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم : « صلاة
فى مسجدى هذا أفضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام. وصلاة
فى المسجد الحرام أفضل من مائة فى مسجدى » وروى البيهقى عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم . « صلاة فى مسجدى هذا
تعدل الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام فهو أفضل »
وكذلك من زار بيت المقدس له ذلك ، وقد وردت احاديث كثيرة فى
فضله وشد الرحال اليه والصلاة فيه، وكذلك جاء القرءان بالتنويه بفضله
وانه بورك فيه قال الله تعالى. (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
إلى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله) ، وثبت فى الصحيحين من رواية
ابى سعيد الخدرى . ومن رواية أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قال . « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد. المسجد الحرام.
والمسجد الأقصى . ومسجدى هذا »، وعن عمرو بن العاص عن رسول
الله ﷺ. « ان سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم لما بنى بيت المقدس
سأل الله عز وجل خلالا ثلاثا. سأل الله تعالى حكما يصادف حكمه فأوتيه.
وسأل الله تعالى ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فأوتيه. وسأل الله عز وجل
حين فرغ من بناء المسجد لا يأتيه احد لا ينهزه الا الصلاة فيه ان يخرجه
من خطيئته كيوم ولدته امه » رواه النسائى باسناد صحيح ، ورواه ابن ماجه
وزاد « فقال النبى صلى الله عليه وءاله وسلم اما اثنتان فقد اعطيهما وأرجو
ان يكون قد اعطى الثالثة » ، وعن ميمونة بنت سعد ويقال بنت سعيد
مولاة النبى صلى الله عليه وءاله وسلم قالت : يا نبى الله افتنا فى بيت المقدس
« قال المنشر والمحشر ائتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه كألف صلاة قالت :
أرأيت من لم يطق ان يتحمل اليه لو يأتيه قال . فليهد اليه زيتا يسرج فيه فانه

من اهدى له كان كمن صلى فيه » رواه الامام احمد بن حنبل فى مسنده بهذا اللفظ، ورواه به أيضا ابن ماجه باسناد لا بأس به ، ورواه أبو داود مختصرا قالت . « قلت . يارسول الله افتنا فى بيت المقدس فقال . ائتوه فصلوا فيه وكانت البلاد اذ ذاك حربا فان لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج فى قناديله » هذا لفظ رواية ابى داود ذكره فى كتاب الصلاة باسناد حسن، واورده النووى فى كتاب المجموع شرح المهذب، وحديث الكتاب رواه الديلمى كما قال المصنف وسنده لا يخلو من خدش والله اعلم ¤

١٤٦ « مَنْ ذَكَرَنِى فِى نَفْسِه ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى وَمَنْ ذَكَرَنِى فِى مَلَاءٍ ذَكَرْتُهُ فِى مَلَاءٍ أَكْثَرَ مِنْهُ وَأَطْيَبَ » رواه ابن شاهين عن ابى هريرة ¤

١٤٧ « مَنْ سَلَبْتُ كَرِيمَتَيهِ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ » رواه الطبرانى فى الكبير ، والأوسط عن جرير ¤

ش الحديث الأول تقدم ذكر ما يشبهه الفاظا ومعنى وذكر مايتعلق به انظر صفحة ١٤ ، ٩٥ والذكر فى الجملة اعظم دواء للقلب فانه يجلوه من الظلمات ويريه الحق والباطل وله فوائد عظيمة ذكر بعض المصنفين فى الاذكار له مائة فائدة، وافيد كتاب فى ذلك كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب للامام ابن قيم الجوزية فعليك به ، والحديث الثانى تقدم ذكر مثله أيضا صفحة ٩ فارجع اليه والله أعلم ¤

١٤٨ « مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِى عَنْ مَسْأَلَتِى أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيتُ

السَّائلينَ » رواه البخاري . والبزار . والبيهقي عن ابن عمر *

١٤٩ « مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِي »

رواه ابو نعيم والديلمى *

١٥٠ « مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ القُرْآنِ عَنْ دُعَائِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ ثَوَابَ

الشَّاكِرِينَ » رواه ابن حذيفة شاهين عن ابى سعيد الخدرى *

شَ الحديث الاول يخبرنا المولى جل ذكره فيه ان من شغله ذكر الله عز وجل من عباده عن مسألة الله وطلبه يعطيه ويمنحه افضل مايعطى السائلين اذا كان طلبهم مشروعا مقبولا واجيب، ففيه الحث والترغيب فى ذكر الله عز وجل والاكثار منه وجعله في أول درجة الأعمال المطلوبة للعبد لأن فيه فوائد تعود على العبد لاتنحصر فنسأل الله التوفيق لذلك، والحديث الثاني كالحديث الأول الا ان فيه ان الله تبارك يعطيه ويجيب طلبه قبل ان يسأله، ولاشك ان الله سبحانه يعلم مافى القلوب قبل اظهاره على الالسن فعلى العبد ان يهتم بذكر الله ويداوم عليه ويكثر منه ، والحديث الثالث فيه الحث والترغيب فى قراءة القرءان ولاريب ان اعظم الذكر هو تلاوة كلام الله الحكيم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد تقدم ذكر احاديث كثيرة ترغب فى الذكر وتحث عليه صفحة ٩٢ ؛ ١٣٧ من هذا الكتاب ، وأزيدك هنا احاديث لم تذكر قبل، منها مارواه الترمذى ـ واللفظ له وقال: حديث حسن وغريب ـ ابن ماجه .وابن حبان فى صحيحه . والحاكم وقال: صحيح الاسناد

عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه «ان رجلا قال : يارسول الله ان شرائع الاسلام قد كثرت على فاخبرنى بشيء اتشبث به قال : لايزال لسانك رطبا من ذكر الله » ، وقوله « اتشبث به » اتعلق ، وعن جابر رضى الله عنه رفعه الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ماعمل آدمى عملا انجى له من العذاب من ذكر الله تعالى قيل : ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد فى سبيل الله الا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع » رواه الطبرانى فى الصغير . والاوسط ورجالهما رجال الصحيح ، وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم ؟ قالوا : بلى قال : ذكر الله » قال معاذ بن جبل : ماشيء انجى من عذاب الله من ذكر الله ، رواه احمد باسناد حسن . وابن ابى الدنيا . والترمذى وابن ماجه . والحاكم . والبيهقى وقال الحاكم : صحيح الاسناد . ورواه احمد ايضا من حديث معاذ باسناد جيد الا ان فيه انقطاعا ، وقد شرحت هذا الحديث فى تعليقى على الكلم الطيب بما لا تجده لغيرى فعليك به فانه اشتمل على فوائد كثيرة وارجو الله ان يوفقنى الى تكميله ، وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون » رواه الامام احمد . وابو يعلى . وابن حبان فى صحيحه . والحاكم وقال : صحيح الاسناد ❊

ومن الآيات الدالة على فضل القرءان وتلاوته قول الله تعالى : (شهر رمضان الذى انزل فيه القرءان هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) وقوله تعالى . (ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا

وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور) وقال تعالى : (ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال . رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك اتتك .اياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى)ومن الاحاديث الدالة على ذلك ما رواه البخارى . ومسلم . وابوداود . والترمذى . والنسائى. وابن ماجه . وغيرهم عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وءاله وسلم قال .« خيركم من تعلم القرءان وعلمه » ، وروى مسلم . وابوداود. وغيرهما عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم قال . « مااجتمع قوم فى بيت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده »،وعن ابى ذر رضى الله عنه قال .قلت يارسول الله اوصنى قال: عليك بتقوى الله فانه رأس الأمر كله قلت: يارسول الله زدنى قال . عليك بتلاوة القرءان فانه نورلك فى الأرض وذخر لك فى السماء » رواه ابن حبان فى صحيحه فى حديث طويل ، والحديث الثالث ذكره الحافظ المنذرى بزيادة عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم يقول الرب تبارك وتعالى : «من شغله القرءان عن مسألتى اعطيته افضل ماأعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب، والحديث الثانى صححه الحاكم ونازعه الحافظ الذهبى فى ذلك انتهى والله أعلم *

١٥١ «مَنْ عَلِمَ أَنِّى ذُو قُدْرَةٍ عَلَى مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أُبَالِى مَا لَمْ يُشْرِكْ بِى شَيْئًا » رواه الحاكم . والطبرانى فى الكبير عن

ابن عباس *

١٥٢ « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ وَأَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ » رواه ابن جرير عن ابى هريرة *

ش قوله « ذو قدره » اى صاحب قدرة . والقدرة هى الصفة التى يتمكن الحى من الفعل وتركه بالارادة . وهى من صفات القهر، قال الراغب الاصفهانى : فاذا وصف بها الانسان فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل شيء ما واذا وصف الله تعالى بها فهى نفى العجز عنه، ومحال ان يوصف غير الله بالقدرة المطلقة معنى وان أطلق عليه لفظا بل حقه يقال : قادر على كذا، ومتى قيل هو قادر فعلى سبيل معنى التقييد ولهذا لا أحد غير الله يوصف بالقدرة من وجه الا ويصح ان يوصف بالعجز من وجه والله تعالى هو الذى ينتفى عنه العجز من كل وجه، والقدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضى الحكمة لا زائدا عليه ولا ناقصا عنه . ولذلك لا يصح ان يوصف به الا الله تعالى ، والمقتدر يقاربه ، والمغفرة هى أن يستر القادر القبيح الصادر ممن تحت قدرته ، والمغفرة من الله والغفران هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب ، والذنوب جمع ذنب وهو الاثم اى ما يحجبك عن الله تعالى ، ولا ابالى اى لا احتفل ولا اكترث به ، والشرك ان يعتقد ان لله شريكا أو الكفر ، والغنى السعة *

والمعنى ان الله جل اسمه يخبرنا ان من اعتقد فيه أنه جل عزه ذو قدرة على غفران ذنوب العبد اذا اساء وارتكب بعض المعاصى يغفر الله جل بجلاله ذلك ولا يبالى اى لا يكترث بذلك ولا يحتفل مهما بلغت ذنوبه

فان جرائم العباد وءاثام اهل العناد فى جنب عظمة الرب كذرة صغيرة فى ارض فلاة ولان الاعتراف بالذنب سبب الغفران الا اذا اشرك فى اعماله غير الله جل وعز واعتقد ذلك فان الله لا يغفر له ذنوبه قال الله تعالى فى كتابه الحكيم :(ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) والشرك اعظم كفر، قال تعالى : (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) وقال تعالى : (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) وهذا الشرك الاكبر ، والشرك الأصغر وهو مراعاة غير الله معه فى بعض الأمور وهو الرياء والنفاق المشار اليه بقوله تعالى: (شركاء فيما ءاتاهما فتعالى الله عما يشركون) وقوله تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ومن هذا قوله عليه الصلاة والسلام :«الشرك فى هذه الامة أخفى من دبيب النمل على الصفا» ومن عمل عملا اشرك فيه غير الله فهو كله لمن اشرك وهو كناية عن رده وعدم قبوله ، والله جل وعز اغنى الشركاء عن الشرك ففيه التنفير من الشرك مطلقا وان من اشرك ولو فى بعض اعماله فعمله كلـه مردود عليــــه والله اعلم *

١٥٣ « مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِى وَقَدَرِى فَلْيَلْتَمِسْ رَبًّا سِوَاىَ - وَفى رِوَايَة - غَيْرِى » رواه البيهقى عن ابن عمرَ والطبرانى. وابن حبان عن أبى هند: والبيهقى. وابن النجار عن أنس *

١٥٤ « مَنْ لَانَ بِحَقِّى وَتَوَاضَعَ لِى وَلَمْ يَتَكَبَّرْ فِى أَرْضِى رَفَعْتُهُ حَتَّى أَجْعَلَهُ فِى عِلِّيِّينَ » رواه ابو نعيم عن ابى هريرة *

١٥٥ «من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليلتمس رباً سواى»
رواه ابن حبان . والطبرانى . وأبو داود . وابن عساكر عن ابى هند الدارى *

ش القضاء . والقدر تقدم الكلام عليهما قبل ، والالتماس الطلب ، والرب فى الأصل التربية وهو انشاء الشىء حالا فحالا الى حد التمام يقال ربه ورباه وربيه ، ويطلق فى اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم ، ولا يطلق غير مضاف الا على الله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات ، وإذا أطلق على غيره تعالى اضيف فيقال : رب الدار . ورب الفرس ، ومنه قوله تعالى : (اذكرنى عند ربك) وقوله تعالى : (فانساه الشيطان ذكر ربه) وقوله تعالى : (ارجع إلى ربك) . والسوى الغير ، واللين ضد الخشونة ويستعمل ذلك فى الاجسام ثم يستعار للخلق وغيره من المعانى فيقال : فلان لين وفلان خشن وكل واحد منهما يمدح به طورا ويذم به طورا بحسب اختلاف المواقع ، والتواضع تقدم الكلام عليه صفحة ١٦٢ ، ٢٠٤ ؛ والكبر ضد التواضع وهو الحالة التى يتخصص بها الانسان من اعجابه بنفسه وذلك أن يرى الانسان نفسه اكبر من غيره ، وعليين - كما قال الراغب - اسم اشرف الجنان كما ان سجينا اسم شر النيران ، وقيل : بل ذلك فى الحقيقة اسم سكانها وهذا اقرب فى العربية اذ كان هذا الجمع يختص بالناطقين قال : والواحد على نحو بطيخ ، وقال العلامة ابن الاثير فى النهاية : عليون اسم للسماء السابعة وقيل . هو اسم لديوان الملائكة الحفظة ترفع اليه اعمال الصالحين من العباد ، والصبر لغة الحبس والكف وفى الشرع حبس النفس على مايقتضيه العقل والشرع اوعما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمائه بحسب

اختلاف مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمى صبرا لاغير ويضاده الجزع . وان كان فى محاربة سمى شجاعة ويضاده الجبن . وان كان فى نائبة مضجرة سمى رحب الصدر ويضاده الضجر . وان كان فى امساك الكلام سمى كتمانا ويضاده المذل *

والمعنى ان الله جل ذكره يخبرنا فى الحديث الأول ان من لم يرض بقضائه وقدره وسخط ذلك وضجر فليلتمس ويطلب ربا سواه تعالى وكأن المولى يقول لنا : هذا لا يرضانا ربا حين سخط فليتخذ ربا ءاخر يرضاه ، وهذا غاية التهديد - ولاشك ان الله تبارك اسمه عالم باحوال العبد وظروفه فانه يقضى عليه باشياء هى خير له اذا اتسع لها صدره وقبلها ووضعها فى محالها واستعملها فى الحكمة والمعرفة ولم يضق بها ذرعا فانها تنفعه فى حياته وفى معاده ، واما اذا تلقاها بسخط وضجر فانها تكون عليه وبالا واثما ، وهكذا ماقدره الله عز وجل على العبد من الامور هى فى الحقيقة خير للعبد وانفع مما يظنه العبد اويريده فعلى العبد ان يسلم للقضاء والقدر ويحمد الله سبحانه فى السراء والضراء وافق هواه أم لا ويذعن لما قدره وقضاه عليه ، والحديث قال المناوى فى شرح الجامع الصغير : رواه الطبرانى عن ابى هند الدارى واسناده ضعيف ، ورواه البيهقى عن انس انتهى *

والحديث الثانى يخبرنا ان من لان وتساهل ووطأ نفسه للاخذ بحق الله وواجبه والقيام بما فرضه عليه من العقائد والأحكام - ولم يجف لها ويخشن ويتباعد من الانقياد لحقه تعالى وامره - وتواضع واستكان وتذلل تذلل عبد منكسر خاشع لله جل عزه ولم يتكبر فى ارض الله على خلقه رفعه الله جل جلاله منازل عالية حتى يجعله فى اعلى عليين وهو اسم لاشرف الجنان فيحظى بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر اللهم انا

نسألك ان توفقنا لطاعتك حتى نفوز بدرجاتك •

والحديث الثالث يخبرنا ان من لم يرض بقضاء الله عز وجل ولم يصبر على بلائه الذى ظاهره بلاء وباطنه دواء وشفاء من الأمراض الظاهرة والباطنة، والصبر من الصفات التى تحتاج الى جهاد النفس والشيطان والهوى وهو من آكد المنازل فى طريق المحبة والزمها للمحبين وهم احوج الى منزلته من كل منزلة ، قال الامام احمد بن حنبل: ذكر الله تعالى الصبر فى القرءان فى نحو تسعين موضعا على ماحكاه ابن قيم الجوزية فى كتابه مدارج السالكين، وهو واجب باجماع الأمة وهو نصف الايمان فان الايمان نصفان. نصف صبر . ونصف شكر ، وهو من الايمان ايضا بمنزلة الرأس من الجسد ولا ايمان لمن لاصبر له كما ان لاجسد لمن لارأس له ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: خير عيش ادركناه بالصبر - واخبر النبى صلى الله عليه وءاله وسلم فى الحديث الصحيح : انه ضياء وقال : « ومن يتصبر يصبره الله » ، وفى الحديث الصحيح « عجبا لامر المؤمن ان امره كله خير وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له » ، وامر الأنصار بأن يصبروا عل الأثرة التى يلقونها بعده حتى يلقوه على الحوض ، وامر عند ملاقاة العدو بالصبر ، وامر بالصبر عند المصيبة . واخبر انه انما يكون عند الصدمة الأولى ، وأمر المصاب بأنفع الأمور له وهو الصبر والاحتساب فان ذلك يخفف مصيبته ويوفر اجره ، والجزع . والتسخط والتشكى يزيد فى المصيبة ويذهب الاجر ، واخبر ان الصبر خير كله فقال . « ما اعطى احد عطاء خيرا له واوسع من الصبر »

وهو ينقسم الى ثلاثة انواع . الاول صبر على طاعة الله تعالى . وصبر

عن معصية الله تعالى . وصبر على امتحان الله تعالى : فالأولان صبر على مايتعلق بالكسب والثالث صبر على ما لا كسب للعبد فيه ، قال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى : سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز عن شأنها أكمل من صبره على القاء اخوته له فى الجب ، وبيعه وتفريقهم بينه وبين ابيه، فان هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها ، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر . واما صبره عن المعصية فصبر اختيار ورضاء ومحاربة للنفس ، ولا سيما مع الاسباب التى تقوى معها دواعى الموافقة ، فانه كان شابا ، وداعية الشباب اليها قوية ، وعزبا ليس له مايعوضه ويرد شهوته ، وغريبا والغريب لايستحى فى بلد غربته مما يستحى منه بين اصحابه ومعارفه وأهله ، مملوكا والمملوك أيضا ليس وازعه كوازع الحر ، والمرأة جميلة وذات منصب وهى سيدته ، وقد غاب الرقيب ، وهى الداعية له إلى نفسها ، والحريصة على ذلك أشد الحرص ، ومع ذلك توعدته ان لم يفعل بالسجن والصغار . ومع هذه الدواعى كلها صبر اختيارا وايثارا لما عند الله . وأين هذا من صبره فى الجب على ماليس من كسبه ؟ وكان يقول : الصبر على اداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وافضل ، فان مصلحة فعل الطاعة احب الى الشارع من مصلحة ترك المعصية ، ومفسدة عدم الطاعة ابغض اليه واكره من مفسدة وجود المعصية انتهى ، وهذا القدر كاف نسأل الله الصبر *

١٥٦ « مَنْ لَا يَدْعُونِى أَغْضَبْ عَلَيْهِ » رواه العسكرى عن ابى هريرة *

ش الدعاء النداء والابتهال إلى الله بالسؤال . والدعاء إلى الشيء الحث على قصده ؛ وقد جاء القرءان بالدعاء وحث عليه فى غير آية قال الله تعالى: (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لايحب المعتدين) وقال تعالى : (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) وقال تعالى . (وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) وقال تعالى : (قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى) الآية، وقال تعالى . (وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين)، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . « الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض » رواه الحاكم وقال . صحيح الاسناد ، ورواه أبو يعلى من حديث على ، وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم . « لاتعجزوا فى الدعاء فانه ان يهلك مع الدعاء احد » رواه ابن حبان فى صحيحه . والحاكم وقال . صحيح الاسناد ، وعن ثوبان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم . « لايرد القدر الا الدعاء ولايزيد فى العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يذنبه » رواه ابن حبان فى صحيحه . والحاكم واللفظ له وقال صحيح الاسناد ، وعن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم قال . « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذى وقال . حديث غريب . والحافظ المنذرى أورده بصيغة « روى » وهو يدل على ضعفه ، وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم قال . « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له»

رواه مالك . والبخارى . ومسلم . والترمذى . وغيرهم ، وفى رواية لمسلم «إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول : هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح » وهذا الحديث أفرده شيخ الاسلام تقى الدين أبو العباس ابن تيمية بالتأليف وشرحه شرحا لم يترك لغيره مجالا ولا كلاما فانه حقق ودقق فيه بما لا ترى العيون مثله من فوائد ومسائل وتنشرح له الصدور وطبع فى الهند، وهو من امهات الكتب التى يؤخذ منها مذهب الامام الجليل ابن تيمية وعقيدته السلفية الموافقة للكتاب والسنة وجماهير العلماء والمحققين فانه تكلم على نزول الرب واتى باقوال علماء السلف والخلف وحل اشكالات كثيرة ، والكتاب الثانى التوسل والوسيلة فانه حقق الوسيلة لغة وشرعا وعرفا ونفى كل ما فيه شائبة من كفر او تلويث من رجس ، والكتاب متداول بين أيدى العلماء والعوام ، ومما يستغرب منه ان أبا عبد الله بن بطوطة قال فى رحلته المسماة تحفة الانظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار أنه رأى عالم الحنابلة تقى الدين بن تيمية كبير الشام وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه ان قال : إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارضه فقيه مالكى يعرف بابن الزهراء وانكر ما تكلم به فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدى والنعال ضربا كثيرا حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير فانكروا عليه لباسها واحتملوه إلى دار عز الدين بن مسلم قاضى الحنابلة فأمر بسجنه وعزره بعد ذلك» الخ ، فانظر أرشدك الله إلى قول الحق والحجة البينة كيف يكون هذا النقل فى نظرك ورأيك الم يكن تخبط من صاحب الرحلة فانه سمع هذا القول بزعمه من شيخ الاسلام ابن تيمية ولم يرد عليه

قوله أو رفع امره إلى حاكم تلك الجهة أو شهره بين علماء الشام وغيرها من بلاد الاسلام التى تجول فيها المؤلف واجتمع بملوكها وامرائها وعلمائها ، ولاريب ان من يصلى فى مسجد عام لمثل هذا يجتمع فيه العالم والجاهل والعاقل والمتعصب والمنصف فحكاية ابن بطوطة لهذا تحامل منه ظاهر وبعيد كل البعد فان التلفظ بهذا يعد كفرا فان الله يقول فى كتابه الحكيم: (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) والامام ابن تيمية يقول على زعم صاحب الرحلة - ان الله له مثل وهذا كفر باجماع المسلمين فان كان صحيحا لقام عليه علماء عصره وقتئذ وكفروه وشكوه إلى الحاكم ولألف فى ذلك رسائل رد فيها على ابن تيمية وبيان كفره وكل ذلك لم يحصل فدل على انه خطأ فى النقل. وفى كلام صاحب الرحلة سقط وهو قوله «لا» أى لا كنزولى هذا، ويشهد لذلك تآليف شيخ الاسلام ابن تيمية ولم نجد انزه من ابن تيمية فى عصره لله تعالى ، وهذا السقط يقع كثيرا فى التآليف ، وواجب على العلماء ان يحترموا أنفسهم ويقدروا تفرق غيرهم ويقروا لهم بالفضل والسبق وشيخ الاسلام ابن تيمية يرفع الرأس به ويفتخر المسلمون بوجود مثله فى عصره فانه كان هادما للتقاليد الضارة وداعية إلى الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله ومن طالع مؤلفاته وترك التعصب لمذهب اورأى يرى ذلك ويتحقق *

والمعنى ان الله جل اسمه يخبرنا على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان من لايدعوه يغضب عليه، ومفهومه ان من يدعوه يحبه ويرضى عنه ويستجيب له ففيه حث على الدعاء والاكثار منه وقد تقدم ذكر الآيات القرآنية والاحاديث النبوية فى ذلك ، قال المناوى فى شرح الجامع الصغير فى حديث الكتاب : رواه العسكرى فى كتاب المواعظ عن أبى هريرة باسناد حسن *

